

ديوان أبي فراس الحمداني

أبو فراس الحمداني

ديوان أبي فراس الحمداني

تأليف
أبو فراس الحمداني



ديوان أبي فراس الحمداني

أبو فراس الحمداني

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢١١٦ ٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩١٠.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٠.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧

٩

ترجمة أبي فراس
ديوان أبي فراس الحمداني

ترجمة أبي فراس

نقلًا عن كتاب الأعلام، تأليف شاعر الشام: السيد خير الدين الزركلي

أبو فراس الحَمْداني، الحارثُ بن سعيد بن حمدان التَّغْلبي الرَّبِعي، أميرٌ شاعرٌ فارسٌ، وهو ابنُ عمِّ سيفِ الدولة. كان الصاحبُ ابنُ عبادٍ يقولُ: «بُدئَ الشُّعْرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ.» يعني: امرأ القيس وأبا فراس. وله وقائعُ كثيرةٌ قاتلَ بها بين يدي سيفِ الدولة. وكان سيفُ الدولة يحبُّه ويُجلُّه ويستصحبُه في غزواته، ويُقدِّمه على سائرِ قومه. كان يسكنُ مَنبِجَ (بين حلبٍ والفُراتِ)، ويتنقَّلُ في بلادِ الشَّامِ. وأسرتهُ الرُّومُ في بعضِ وقائعها بمَنبِجَ (سنة ٣٥١هـ) وكان مُتقلِّدًا لها، فامتازَ شعرُه في الأسرِ برُوميَّاتِه، وماتَ قتيلاً في صدَدِ (على مقربةٍ من حمص)، قتله أحدُ أتباعِ أبي المعالي بنِ سيفِ الدولة، وكان أبو فراس خالَ أبي المعالي وبينهُما تنافسٌ.

مولده سنة عشرين وثلاثمائة - ووفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمائة هـ.

ديوان أبي فراس الحمداني

قال:

الشُّعْرُ دِيوانُ العَرَبِ
لم أَعُدْ فِيهِ مفاخِرِي
ومقَطَعاتِ رَبِّما
لا في المَدِيحِ ولا الهِجا
أَيْضاً وَعُنوانُ الأَدَبِ
ومدِيحِ آبائِي النُّجُبِ
حَلَّيْتُ مِنْهُنَّ الكُتُبُ
ءِ ولا المَجونِ ولا اللَعِبِ

وقال:

فما نعمةً مكفورةً قد صنعتها
سأتي جَميلاً ما حَيَّيْتُ فَإِنني
إلى غيرِ ذِي شُكْرٍ بما تَبَتَّغِي أُخْرِي
إِذا لم أَفُذْ شُكْرًا أَفُذْتُ بِهِ أَجْرًا^١

وقال، وهي من قصائده المشهورة:

لَعَلَّ خيالَ العامريَّةِ زائِرُ
فِيُسَعَدَ مَهجورُ وَيُسَعَدَ هاجِرُ

^١ يخاطبُ سيفَ الدولة: إن النعمة التي صنعتها عن قاتلي الصيَّاح الذي وليته قنَّسرين، فحيثُ إنها مكفورة لا يجبُ أن تُعادَ عليهم مرَّةً أُخرى، إنما عادتِي أن أفعلَ الجميلَ؛ فإن لم أستفدْ منه الشُّكْرَ استفدْتُ الأجرَ.

وإني على طول الشَّماسِ عن الصِّبا
وفي كِلْتَيِ ذاك الخِباءِ خريدةٌ
تقولُ إذا ما جئْتُها متدَّرِّعاً
تثنتت فغصنٌ ناعمٌ أم شَمائلٌ
وقد كنتُ لا أرضى من الوصلِ بالرِّضا
فأمّا وقد طالَ الصُّدودُ فإنَّه
تنامُ فتاةٌ الحيِّ عني خَلِيَّةٌ
وتُسعِدُنِي غيرَ البَوادي لأجلِها
وما هي إلا نظرةٌ ما احتسبتُها
كلِّفتُ بها والرِّكْبُ والحيُّ كلُّه
وما ظللتُ عن رائقِ الحُسنِ إنما
فيا نفسُ ما لاقيتِ من لامجِ الهوى
ويا عفتي ما لي ومالكِ كلِّما
كانَ الجى والصَّونَ والعقلَ والتُّقى
وهنَّ وإنْ جانبتُ ما يبتغيَنه
وكم ليلةٌ خُضتِ الأسنَّةَ نحوها

أحنُّ وتصبيني إليك الجأزرُ^٢
لها من طعانِ الدَّارعينَ ستائرُ^٣
أزائرُ شوقٍ أنتَ أم أنتَ ثائرُ
وولتَ فليلٌ فاجمُ أم غدائرُ^٤
ليالي ما بيني وبينك عامرُ
يقرُّ بعيني الخيالُ المزاورُ^٥
وقد كثرتُ حولي البواكي السَّواهرُ
وإن رغمتُ بين البيوتِ الحواضرُ^٦
بُعربٍ أضرَّتني إليها المصايرُ
حيارى إلى وجهه به الحسنُ حابرُ
نممنَ على ما تحتهنَّ المعاجرُ^٧
ويا قلبُ ما جرَّت عليك النواظرُ؟
هممتُ بأمرٍ همَّ لي منك زاجرُ^٨
لدي ورباتُ الجبالِ ضرائرُ
حبائبُ عندي منذ كُنَّ أثائرُ^٩
وما هدأتُ عينٌ ولا نامَ ساهرُ

^٢ الشَّماسُ مأخوذٌ من شَمَسَ الفرسُ، إذا منعَ ظهره. والجأزرُ: جمعُ جؤذر، وهو ولدُ البقرةِ الوحشيَّة.

^٣ «كِلْتَيِ» تثنيةٌ كلَّةٌ بالكسر وهي سترٌ رقيق، والدَّارعين: اللابسين الدُّروع.

^٤ الثائرُ: المجدُّ بأخذِ ثأره.

^٥ يعني: إذا أدبرت لا يدري السَّوادُ الذي خَلَفَها؛ هل هو ليلٌ فاجمُ أم غدائرُها.

^٦ يقول: لما كانتِ المحبةُ عامرةً بيني وبينك كنتُ غيرَ قانعٍ بالوصول، وبعد الهجرِ صارتُ عيني تقرُّ إذا زارها خيالك.

^٧ البوادي والحواضرُ ضدَّان.

^٨ المعجِرُ: ثوبٌ يَمَنِّي، ويُقصد به النِّقابُ.

^٩ يلومُ عفتهَ ويشكو منها؛ لأنها تمنَّعه عن قضاءِ وطَّره من محبوبته.

^{١٠} أي أنَّ العقلَ وغيره المذكور في البيتِ المتقدِّمِ حبائبُ عندي، منذ كُنَّ متوارثاتٍ عن آبائي وأجدادي، وإن لم أطاوعهنَّ في الامتناعِ عن المحبوبة.

فَلَمَّا خَلَوْنَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ
وَبِتُّ يَظُنُّ النَّاسُ فِيَّ ظَنُونَهُمْ
وَكَمْ لَيْلَةً مَاشَيْتُ بَدَرَ تَمَامِهَا
وَلَا رَيْبَةَ إِلَّا الْحَدِيثُ كَأَنَّهُ
أَقُولُ وَقَدْ ضَجَّ الْحَلِيُّ بِجَرَسِهِ
فِيَا رَبِّ حَتَّى الْحَلِيُّ مِمَّا نَخَافُهُ
وَلِي فِيكَ مِنْ فِرطِ الصَّبَابَةِ أَمْرٌ
عَفَافُكَ غَيٌّ إِنَّمَا عَفَّةُ الْفَتَى
نَفَى الْهَمِّ عَنِّي هَمَّةٌ عَلَوِيَّةٌ
وَأَسْمَرُ مِمَّا يُنْبِتُ الْخَطُّ ذَابِلٌ
وَقَلْبٌ تَقَرُّ الْحَرْبُ، وَهُوَ مُحَارِبٌ
وَنَفْسٌ لَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ لُبَانَةٌ
إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي كُلِّ فِجٍّ عَشِيرَةً
وَلَا حِقَّةَ الْإِطْلَاقِ مِنْ نَسْلِ لَاحِقٍ
مَنْ اللَّاءِ تَأَبَى أَنْ تُعَانِدَ رَبُّهَا
وَحَرْقَاءُ وَرَقَاءُ بَطِيءٌ كَلَّالُهَا

لَقَدْ كَرَّمْتَ نَجْوَى وَعَفَّتْ صَمَائِرُ
وَتُوبِي مِمَّا يَرْجُمُ النَّاسُ طَاهِرٌ ١١
إِلَى الصُّبْحِ لَمْ يَشْعُرْ بِأَمْرِي شَاعِرٌ
جَمَانٌ وَهَى أَوْ لَوْلُوُ مَتَنَائِرُ
وَلَمْ تُرْ مِنْهَا لِلصَّبَاحِ بِشَائِرُ ١٢
وَحَتَّى بِيَاضِ الصَّبْحِ مِمَّا نَحَاذِرُ ١٣
وَدُونَكَ مِنْ حُسْنِ الصِّيَانَةِ زَاجِرُ
إِذَا عَفَّ عَنْ لِدَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
وَقَلْبٌ عَلَى مَا شَتَّتْ مِنْهُ مَوَازِرُ ١٤
وَأَبْيَضُ مِمَّا يَطْبَعُ الْهِنْدُ بَاتِرُ ١٥
وَعَزْمٌ يُقِيمُ الْجِسْمَ وَهُوَ مُسَافِرُ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ أُسْرَةٌ وَمَعَاشِرُ ١٦
فَإِنَّ الْكِرَامَ لِلْكَرَامِ عَشَائِرُ
أَمِينَةٌ مَا نِيِطَتْ إِلَيْهِ الْحَوَافِرُ ١٧
إِذَا حَسَرَتْ عِنْدَ الْمُغَارِ الْمَآزِرُ ١٨
تَكَلَّفَ بِي مَا لَا تُطِيقُ الْأَبَاعِرُ ١٩

١١ يَرْجُمُ: يَنْهَمُ.

١٢ الْجَرَسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. وَالضَّمِيرُ فِي مَنِهَا رَاجِعٌ لِلَّيْلَةِ فِي بَيْتِ سَابِقِ.

١٣ يَعْنِي أَنَّ صَوْتَ الْحَلِيِّ وَبِيَاضَ الصُّبْحِ يُطْلَعَانِ النَّاسَ عَلَى اجْتِمَاعِهِ بِمَحْبُوبِيَّتِهِ، فَيَخَافُهُمَا لِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ

الْعَفَّةِ وَالصِّيَانَةِ.

١٤ الْمَوَازِرُ: الْمَسَاعِدُ.

١٥ الْخَطُّ: مَوْضِعٌ تُبَاعُ فِيهِ الرَّمَاحُ.

١٦ اللَّبَانَةُ: الْحَاجَةُ. وَالْأُسْرَةُ بِالضَّمِّ: الدَّرْعُ الْحَصِينَةُ وَرَهْطُ الرَّجُلِ.

١٧ الْإِطْلَاقُ: تَثْنِيَةٌ يُطْلَقُ بِالسَّكْرِ، وَهُوَ الْخَاصِرَةُ. وَلاَحِقَةٌ: مَضْمُومَةٌ؛ أَي: مَضْمُومَةٌ الْخَاصِرَتَيْنِ. وَلاَحِقٌ:

أَفْرَاسٌ جَيِّدٌ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ.

١٨ يَعْنِي أَنَّهَا مَطَاوِعَةٌ لِصَاحِبِهَا، حَتَّى فِي وَقْتِ الشَّدَةِ وَانْكَشَافِ أَثْوَابِهِ عَنْهُ حَالَةً إِغَارَتِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

١٩ الْحَرْقَاءُ: الْحَمَقَاءُ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهَا. وَالرَّقَاءُ: الْبَيْضَاءُ. وَالْكَلالُ: التَّعَبُ؛ يَصِفُهَا بِبُطْءِ التَّعَبِ.

غَرِيرِيَّةٌ صَافَتْ شَقَائِقَ دَابِقٍ
 وَحَمَّضَهَا الرَّاعِي بِمِثَاءِ بُرْهَةٍ
 أَقَامَ بِهَا حَتَّى اطْمَأَنَّتْ وَضَمَّنتْ
 وَخَوَّضَهَا بَطْنَ السَّلْوَطِحِ رَيْثِمًا
 فَجَاءَ بِكُومَاءٍ إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
 فَيَا بُعَدَ مَا بَيْنَ الْكَلَالِ وَبَيْنَهَا
 دَعِ الْوَطْنَ الْمَالُوفَ رَابِكَ أَهْلُهُ
 فَأَهْلُكَ مَنْ أَصْفَى وَوُدُّكَ مَنْ صَفَا
 تَبَوَّأْتُ مِنْ قَرْمِي مَعَدُّ كَلِيهِمَا
 لِئَن كَانَ أَصْلِي مِنْ مَعَدِّ نِجَارِهِ
 وَمَا كَانَ لَوْلَاهُ لِيَنْفَعِ أَوْلُ
 لَعَمْرُكَ مَا الْأَبْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا
 فَهَلْ يَنْفَعُ الْخَطِيئِي غَيْرَ مَثَقَفٍ
 أَنْاضِلْ عَنِ أَحْسَابِ قَوْمِي بِفَضْلِهِ
 وَأَسْعَى لِأَمْرِ عُدَّتِي لِحُصُولِهِ
 أَيَشْغَلُكُمْ وَصْفُ الْقَدِيمِ وَدُونَهُ

مَدَى قَيْظِهَا حَتَّى تَضَرَّمَ نَاجِرٌ^{٢٠}
 تَنَاوَلُ مِنْ خِذْرَافِهِ وَتَغَاوِرُ^{٢١}
 بَقِيَّةَ صَفْوَانٍ قَرَاهَا الْمَنَاطِرُ
 أُدْبِرَتْ بِمِلْحَانِ الشُّهُورِ الدَّوَائِرُ^{٢٢}
 ظَنَنْتَ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَهُوَ حَاسِرٌ^{٢٣}
 وَيَا قُرْبَ مَا يَرْجُو عَلَيْهَا الْمُسَافِرُ
 وَعَدُّ عَنِ الْأَهْلِ الَّذِينَ تَكَاشَرُوا^{٢٤}
 وَإِنْ نَزَحْتَ دَارَ وَقَلَّتْ عَشَائِرُ
 مَكَانًا أَرَانِي كَيْفَ تُبْنِي الْمَفَاخِرُ^{٢٥}
 فَفَرَعِي سَيْفُ الدَّوَلَةِ الْقَرْمِ نَاصِرُ
 إِذَا لَمْ يُزَيِّنْ أَوْلَ الْمَجْدِ آخِرُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ
 وَتَظْهَرُ إِلَّا بِالصِّقَالِ الْجَوَاهِرُ
 وَأَفْخَرُ حَتَّى لَا أَرَى مِنْ أَفْخَرُ
 وَأَوَاخِيهِ مِنْ آرَائِهِ وَأَوَاصِرُ^{٢٦}
 مَفَاخِرُ فِيهَا شَاغِلٌ وَمَاثِرُ^{٢٧}

٢٠ الغَرِيرِيَّةُ: غيرُ المَجْرِبَةِ لِحَدَاثَةِ سَنِّهَا. صَافَتْ: أَقَامَتْ زَمَنَ الصَّيْفِ فِي شَقَائِقِ دَابِقٍ، وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ.
 النَّاجِرُ: الْعَطْشَانَةُ.

٢١ حَمَّضَهَا: أَطْعَمَهَا نَوْعًا مِنَ النَّبَاتِ مَعْرُوفًا. مِثَاءً: بِلْدَةِ بِالْعِرَاقِ. الْخِذْرَافُ بَكْسَرِ الْخَاءِ: نَبَاتٌ رِبْعِيٌّ
 إِذَا مَسَّ بِالصَّيْفِ يَبَسُ. وَالْمَغَاوِرَةُ الْقَيْلُولَةُ.

٢٢ السَّلْوَطُحُ: عَيْنُ مَاءٍ. رَيْثِمًا أُدْبِرَتْ الْخ: أَي مَضَى عَلَيْهَا الْحَوْلُ فِي الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِمِلْحَانِ.

٢٣ الْكُومَاءُ النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا إِذَا أَقْبَلَتْ مَعَ أَنَّهَا غَرِيَانَةٌ ظَنَّ أَنَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا؛ لِسَمْنِهَا.

٢٤ تَكَاشَرُوا: تَضَاحَكُوا.

٢٥ أَرَادَ بِقَرْمِي مَعَدُّ سَيْفِ الدَّوَلَةِ، وَابْنَ عَمِّهِ سَعِيدًا.

٢٦ الْأَوَاصِرُ: الْأَقَارِبُ.

٢٧ أَي كَيْفَ يَشْغَلُكُمْ وَصْفُ الْقَدِيمِ مِنَ الْآبَاءِ، مَعَ أَنَّ فِي وَصْفِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَاثِرِ مَا بِهِ
 مَشْغَلَةٌ عَنِ الْآبَاءِ.

وباطنٌ مجدٍ تغلبيٍّ وظاهرٌ
 غدافرةٌ غيرانئةٌ وعذافرٌ^{٢٨}
 على نأيها وهي القوافي السّواير^{٢٩}
 فقد قرّبتني نيةً وضمائرُ
 به نشرَ العضبِ اليمانيّ ناشِرُ
 وودٌ وأرحامٌ هناك سَواجِرُ
 فلا العهدُ منسيٌّ ولا الودُ دائِرُ
 فقد قرّبت قربيّ وشدّت أوامرُ^{٣٠}
 فلا طِبَنٌ يومَ الإفْتخارِ العناصرُ
 وقد غمرتُ تلك الأوالي الأواخرُ
 وتتركُ العزَّ الذي هو حاضرٌ^{٣١}
 مفاخرُ تُفنيه وتبقى مفاخرُ
 إذا لم يسُدّ في القومِ إلا الأخيرُ
 وقد طارَ فيها للتفرُّقِ طائرُ
 حمولٌ لما جرّت عليه الجرائِرُ
 مواردٌ مرّت ما لهنّ مصادرُ^{٣٢}
 ولا جودٌ إلا ما يضيف العساكرُ
 وللدهرِ نابٌ فيهما وأظافرُ
 أشمُّ طويلُ الساعدينِ عُرايرُ^{٣٣}

لنا أولٌ في المَكْرَماتِ وآخرُ
 أيا راكبًا تَخْدُو بأعوادِ رحله
 ألكني إلى أبناءِ ورقا رسالةً
 لئن باعدتكم نيةً طالَ شحطها
 ونشرُ ثناءٍ لا يغيّبُ كأنما
 ويجمَعنا في وائلٍ عَشْرِيَّةُ
 فقل لبني ورقاءٍ إن شطّ منزلُ
 وكيف ترث الخيلُ أو تضعفُ القوى
 أبا أحمدٍ مهلاً إذا الفرعُ لم يطبُ
 أتسمو بما شادت أوائلُ وائلٍ
 وتطلبُ العزَّ الذي هو غائبُ
 عليّ لأبكارِ الكلامِ وعونه
 أنا الحارثُ المختارُ من نسلِ حارثٍ
 فجديّ الذي لم العشيّة جوده
 تحمّلَ قتلها وساقَ دياتها
 ودَى مائةً لولاه جرّت دماؤهم
 ومنا الذي ضافَ الإمامَ وجيشه
 وجدّي الذي ساسَ الديارَ وأهلها
 ثلاثة أعوامٍ يكابد محلها

^{٢٨} الخَدُو ضربٌ من سِرِّ الإبلِ والخَيْلِ، والغدافرةُ المجدّةُ في السيرِ والغيرانةُ من الغيرة. والعذافر الأسد.

^{٢٩} ألكني أي: أحمل إليّ رسالة، من الألوكة، وهي: الرسالة. والنأي البعد.

^{٣٠} يخاطب الراكب إذ يقول لبني ورقاء: إنه وإن بعدت الديار بيننا؛ فإننا مقيمون على حفظ العهد، والودُ بيننا مقيم. وكيف تضعفُ الخيلُ من الوصولِ إليكم مع أن القربى التي بيننا تقرب، والقرباة تشدُّ القوى.

^{٣١} يقول لأحمد ابنِ ورقاء: إن أصولنا واحدة فكيف تطلبُ العزَّ من الأجانب وتترك العزَّ الذي هو حاضرٌ عند سيفِ الدولة.

^{٣٢} يعني أن جدّه أعطى ديةً مائةً واحدٍ، ولولاه لجرّت عليهم المصائب التي لا اندفاعَ لها.

^{٣٣} العرايرُ الشريفة.

وما فيهما في صَفْقَةِ المجد حَاسِرُ
وفي قلبِ مَلِكِ الرُّومِ داءٌ مُخَامِرُ
نتائِجٌ فيها السَّابِقَاتُ الصُّومَرُ^{٣٤}
معوَدٌ رَدُّ الثُّغَرِ والثُّغَرُ دَائِرُ
جَلَاها ونابُ الموتِ بالموتِ كَاشِرُ
فأمَرَعَ بادٍ واجتَنَى العيشَ حَاضِرُ^{٣٥}
يُقاسِمُهُم أموالَهُ ويشاطِرُ
وما الفارسُ القَتَالُ إلا المُجَاهِرُ^{٣٦}
مُثاورٌ غاراتِ الزَّمانِ مُساوِرُ
ولا طاعةٌ للمرءِ والمرءُ جائِرُ
وقد جرَّتِ البلوى عليه الجَرائِرُ^{٣٧}
فحرَّقَها والجيشُ بالدَّارِ دائِرُ
أذلُّ بنا الباغِي وعزُّ المُجاوِرُ
وللقيدِ في يَمْنَى يديه ضفائِرُ
سماوَةٌ كَلِبِ بَيْنَها والعُراعرُ^{٣٨}
وأضَلَّنا عن سُبُلِهِ وهو خابِرُ^{٣٩}
تساوَى البَوادي عندها والحواضِرُ^{٤٠}
من الطَّعِنِ سُقياها المنايا الحواضِرُ^{٤١}

فأبوا بجدواه وباءً بشكرهم
أسى داءٍ ثغرٍ كان أعيا دواؤه
بني الثُّغَرِ الباقي على الدهرِ ذكره
وسوف على رغمِ العدو يُعيدُها
ولما أَلَمَّتْ بالديارينِ أزمَةٌ
كفى عداوتِ الغيثِ وارفُ كَفِّه
أناخوا بوهابِ النفائسِ ماجدُ
وعمِّي الذي أَرَدَى الكِمامَةَ وفاتِكا
أذاقَها كأسَ الحِمامِ مُشيِعُ
يُطيعُهُم ما أصبحَ الدهرُ فيهِمُ
لنا في خلافِ الناسِ عثمانَ أسوَةٌ
وسار إلى دارِ الخِلافَةِ عَنوَةٌ
أذلُّ تَمِيمًا بعد عَزِّ وطالِما
فأقبلَ بالساري يُقاد أَمامَه
وشنَّ على ذي الخالِ خيلاً تناهبتُ
أضقنَّ عليه البيدُ وهي فضافضُ
أماطَ عن الأعرابِ ذلِ إناءةٍ
وأجلتُ لنا عن فتحِ مصرَ سحائبُ

^{٣٤} يعني أن جدّه بنى الثُّغَرِ الذي يَبقى ذكرُه طولَ الدهرِ، وفي هذه الأفعال نتائِجٌ ما فيها من الفُرسانِ على الخيلِ المُضَمَّرَةِ.

^{٣٥} أي أغنى جودُ جدّه عن نزولِ المطرِ، فاستغنى من جدواه البادي والحاضرِ.

^{٣٦} المُجَاهِرُ بالحربِ، ويُشير إلى قصةٍ معهودَةٍ.

^{٣٧} أراد بجرائرِ قومِ عثمانَ من بني أميَّةِ.

^{٣٨} شنَّ: أَعَارَ، وفي الأبياتِ إشارةٌ إلى قصصِ ماضيةٍ من القبائلِ التي ذكرها.

^{٣٩} الفضافضُ المُتَّصِفُ بالسَّعَةِ.

^{٤٠} أماط: كَشَفَ، والأناةُ: الضَّعْفُ.

^{٤١} الحواضِرُ في البيتِ السابقِ ضدُّ البوادي، وفي هذا البيت من الحُضورِ.

تَخَالطَ فِيهَا الْجَحْفَلانَ كِلاهُما
وقاد إلى أرض السبْكُرِيِّ جَحْفَلًا
تَناسَى بِهِ الْقِتالُ فِي العَدُوِّ قَتْلَهُ
وعمِّي الذي سُلِّتَ بِنَجْدِ سِيوْفُهُ
تَناصرتِ الأَحْياءُ مِنْ كلِّ وَجْهَةٍ
فلم يُبْقِ غَمْرًا طَعَنَهُ الغَمْرُ فِيهِم
وساق إلى ابنِ الدِيوْدادِ كَتِيبَةً
جَلَّاهَا وَقَد ضاقَ الخِناقُ بِضَرْبَةٍ
بِحيثِ الحُسامِ الهِنْدوانِيِّ خاطِبُ
وعمِّي الذي سَمَّته قِيسَ مُزْرَفانًا
ورَدَّ ابنَ مَزروعَ يَنوؤُ بِصَدْرِهِ
وعمِّي الذي أَفْنَى السُّراةَ بِوَقْفَةٍ
أَصْبَنَ وِراءَ السَّنِّ صالِحَ وِابنِهِ
كفاه أَخِي وَالخَيْلَ فَوْضى كَأَنَّها
غِداةٌ وَأَجْزاتُ المِدامِ بِمَنْزِلِ
وعمِّي الذي ذَلَّتْ حَبِيبُ لِسِيفِهِ

فَتَعَفَوُ القَنا عَنها وَتَنبُو البَواتِرُ
يَسافِرُ فِيهِ الطَرفُ حِينَ يَسافِرُ^{٤٢}
وَدارتُ بَرَبُّ الجِيشِ فِيهِ الدَوائِرُ
فَرَوَّعَ بِالعَورِينَ مِنْ هُوَ غائِرُ^{٤٣}
وَلِيسَ لَه إِلا مِنَ اللَهِ ناصِرُ
وَلَمْ يُبْقِ وَتَرًا ضَرْبُهُ المِتاواتِرُ^{٤٤}
لِها لَجَبٌ مِنْ دَونِها وَزِماجِرُ^{٤٥}
لِها مِنْ يَدِيه فِي المِلوِكِ نَظائِرُ
بَلِيعُ وَهَما مَاتُ الرِجالِ مِنابِرُ^{٤٦}
وَقَد شَجَرَتُ فِيهِ الرِماحُ الشَّواجِرُ^{٤٧}
وَفِي صَدْرِهِ ما لا تَنالُ المَسابِرُ^{٤٨}
شَهِيدانَ فِيها رابِيانَ وَحادِرُ^{٤٩}
وَمَنهَنَ نَوءُ بِالبَوارِحِ ماِطِرُ^{٥٠}
وَقَد عَضَّتْ الحَربُ النَعامَ النَوافِرُ^{٥١}
يَعاشرُ فِيهِ المِراءَ مَن لا يُعاشرُ
وَكانتُ وَمَراعاها مِنَ العِزِّ ناضِرُ^{٥٢}

٤٢ الجحفل: الجيش والمعنى أنه لكثرتة لا يغيب عن العين.

٤٣ روع: أخاف.

٤٤ يعني أن طعنه الكثير لم يبق فيهم كثرة، وضربه المتتابع لم يبق منهم فردًا.

٤٥ اللجّب: اختلاف الأصوات، والزماجر: أصوات الحرب.

٤٦ شبه علو السيف على الأعناق بعلو الخطيب المنابر، وهو تشبيهة بليغ.

٤٧ المررفن: الطويل. والتشاجر التطاغن.

٤٨ ينوء يجتهد، والمسابر: جمع مسبر، وهو آلة من حديد يسبر بها غور الجرح.

٤٩ يستشهد على أن عمه أفنى أعظم الأعداء بالرّجلين رابيان وحادر.

٥٠ السن: اسم مكان. النوء: النجم مال للغروب.

٥١ يعني أن أحاه كفى عمه مؤنة الأعداء والخيل، عندما استعرت الحرب متفرقة كالنعام النافرة.

٥٢ حبيب: اسم قبيلة، والنضرة: الحُسن والبَهجة.

وعمي حَرُونُ قلب كل كتيبة
 أولئك أعمامي ووالدي الذي
 بحيث نساء الغادرين طوالق
 له بسليم وقعة جاهلية
 وأذكت مذاكيه بسرح وأرضها
 شفت من عقيل أنفس شفها السرى
 وأول من شد المجيد بعينه
 غزا الروم لم يقصد جوانب غزّة
 فلم تر إلا فالقا هام فيلق
 ومستردفات من نساء وصبية
 فإن يمض أشياخي فلم يمض مجدها
 نشيد كما شادوا ونبني كما بنوا
 ففينا لدين الله عز ومنة
 هما وأمير المؤمنين مشرد
 ورداه حتى ملكاه سريره
 وساسا أمور المسلمين سياسة
 ولما طغى عجل العراق ابن زايق

تخفُ جبالٌ وهو للموت صابر^{٥٣}
 حمى جنّبات المُلك والمُلك شاغر^{٥٤}
 وحيث إماء الناكثين حرائرُ
 تقرُّ بها قنْدٌ وتشهد حاجر^{٥٥}
 من الضرب نارا جمرها متطاير^{٥٦}
 فهوَمَ عجلانٌ ونوم ساهر^{٥٧}
 وأول من قدّ الكميّ المظاهر^{٥٨}
 ولا سبقتّه بالمُراد النذائرُ
 وبحرا له تحت العجاجة زاجر^{٥٩}
 تثنّى على أكتافهنّ الجواهر^{٦٠}
 ولا دُثرت تلك العلى والمآثر^{٦١}
 لنا شرفٌ ماضٍ وآخر غابرُ
 ومنا لدين الله سيفٌ وناصرُ
 وجاراه لَمّا لم يجد من يجاورُ
 بعشرين ألفا بينها الموتُ سافرُ
 لها الدينُ والإسلامُ واللهُ شاكِرُ
 شفى منه لا طاغٍ ولا متكاثِرُ

^{٥٣} كنى بالحرون للثبات في الحرب.

^{٥٤} شغّر المكان؛ إذا لم يكن له من يحفظه ويضبطه.

^{٥٥} قند وحاجر: مكانان.

^{٥٦} المذاكي من الخيل: التي مرّ عليها بعد قروجها سنة أو سنتان، وأذكت بمعنى أشعلت.

^{٥٧} السرى السير. والتّهويم هزُّ الرأس من النعاس؛ أي: كانت الخيل بسرعة سيرها سبباً للراحة بعد

الانتقام عليها من الأعداء.

^{٥٨} المجيد والمظاهر: أسماء رجلين من عشيرته.

^{٥٩} الفيلق: الجيش.

^{٦٠} أي: ولم تُر أيضاً إلا نساءً وصبية أردفن الغزاة خلفهم، وعلى أكتافهنّ الجواهر تتحرك.

^{٦١} يعني بأشياخه آباءه وأجداده.

وَمَنَّا لَهُ طَاوٍ عَلَى الثَّارِ ذَاكِرٌ
 عَوَاقِبَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِ الْجَرَائِرُ^{٦٢}
 وَقَبْلَهُمَا لَمْ يَقْرَعِ النِّجْمَ حَافِرٌ^{٦٣}
 وَتِلْكَ غَوَانٍ مَا لَهْنٌ مَزَاهِرٌ^{٦٤}
 رَمَاهُ بِكُفْرَانَ الصَّنِيعَةِ غَادِرٌ
 وَإِنْ أَيْادِيهِ لَغُرٌّ غَرَائِرٌ^{٦٥}
 عَلَى كُلِّ قَوْلٍ مِنْ مَعَالِيهِ حَاطِرٌ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرٍ وَصِفِكَ قَادِرٌ
 فَمَجْدُكَ غَلَابٌ وَفَضْلُكَ بَاهِرٌ
 لَمَا سَارَ عَنِي بِالْمَدَائِحِ سَائِرٌ
 أُسَاهِمُ فِي عُلْيَائِهِ وَأَشَاطِرُ
 مَكَانِي مِنْهَا بَيْنَ الْفَضْلِ ظَاهِرٌ
 وَتَهْلِكُ فِي أَوْصَافِهِنَّ الْخَوَاطِرُ
 وَعَامِرُ دِينِ اللَّهِ وَالِدَيْنُ دَاثِرٌ^{٦٦}
 لَجُوجٍ إِذَا نَادَى مَطُولٌ مَصَابِرُ^{٦٧}
 بِأَرْضِ سَلَامٍ وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ^{٦٨}

إِذِ الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ تَنْبِي عَمَادَهُ
 أَذَاقَ الْعِلَاءِ الثَّعْلَبِيِّ وَرَهْطَهُ
 وَأَوْطَأَ حَصْنِي رَسْتَنِيْسَ خِيَوْلَهُ
 فَآبَ بِأَسْرَاهَا تَغْنِي كَبُولُهَا
 وَصَبَّ عَلَى الْأَتْرَاكِ نَقْمَةً مُنْعَمٍ
 وَإِنْ مَعَالِيهِ لَكُثْرٌ غَوَالِبُ
 وَلَكِنْ قَوْلِي لَيْسَ يَفْضُلُ عَنْ فَتَى
 أَلَا قُلْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرَمِ إِنْنِي
 فَلَا تُلْزِمْنِي خَطَةً لَا أُطِيقُهَا
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَخْرِي وَفَخْرُكَ وَاحِدًا
 وَلَكِنْنِي لَمْ أَغْفِلِ الْقَوْلَ عَنْ فَتَى
 وَعَنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ لَنَا وَمَوَاقِفِ
 مَسَاعٍ يَضِلُّ الْقَوْلُ فِيهِنَّ كُلُّهُ
 بِنَاهُنَّ بَانِي الثَّغْرِ وَالثَّغْرُ دَارِسُ
 وَنَازِلٌ مِنْهُ الدِّيْلَمِيُّ بِأَرْدَنِ
 وَشَقٌّ إِلَى نَفْسِ الدَّمَسْتَقِ جَيْشُهُ

^{٦٢} يعني إذا نسبت العربُ عماده وقوته؛ فمننا من هو طاوٍ؛ أي: مضمّر الانتقام وأخذ الثَّارِ ذَاكِرٌ له، أذاق

العلاء وعشيرته جزاء ما كان ارتكبه من الجرائم.

^{٦٣} أراد بالنجم الكواكب تشبيهاً لذينك الحصنين بالنجوم في الارتفاع، ويقصد أنه قد وصل بخيله إلى الحصنين اللذين قبلهما لم يطأ تلك الديار حافرٌ فرس.

^{٦٤} أب: رجع، والمزاهر الدفوف.

^{٦٥} يعني أن معاليه كثيرةٌ تزيد عن الوصف، وأيديه بيضٌ غزيرة العطا.

^{٦٦} يعني أن تلك المساعي بناها جدِّي الذي بنى الثغر بعد أن اندرس وعمّر الدين بعد أن فني ودثر.

^{٦٧} أي نازل جدّه بوقعة أردن الديلمي، وقد ألحَّ عليه بالمحاربة وهو يُماطل خصمه ويصبر عليه.

^{٦٨} الدمستق كبير الروم، وأرض سلام: مكان.

سقى أرسياً مثله من دماءهم
وبات يُدير الرأي من أين وجهه
وساق نميلاً أعنف السوق بالقنا
وناهض أهل الشام منه مشيع
له وعليه وقعة بعد وقعة
فلا هو فيما سره متناول
فلما رأى الإخشيد ما قد أظله
رأى الصهر والرسول الذي هو عاقد
وأوقع في خلياط الروم وقعة
وأوردها بطن اللقان فظهره
أخذن بأنفاس الدمستق وابنه
وجبن بلاد الروم ستين ليلة
تخر لنا تلك القبائل عنوة
ولما وردنا الدرب والروم فوقه
ضربنا بها عرض الفرات كأنما
إلى أن وردنا الرقتين نسوقها
ومال بها ذات اليمين بمرعش

عشية غصت بالقلوب الحناجر^{٦٩}
وذو الحزم ناهيه وذو العزم أمر
فلم يمس شامي ولم يضح حادراً^{٧٠}
يسايره الإقبال فيمن يساير
لوع بأطراف الأسنان عاقر
ولا هو فيما ساءه متقاصر
تلافاه يثني عزمه ويكاشر^{٧١}
تنال به ما لا تنال العساكر
به الغمق واللغام والروج فاخر^{٧٢}
يطأن به القتل خفاف جوازراً^{٧٣}
وعبرن بالتيجان من هو عابر
تغادر ملك الروم فيمن تغادر
وترمي لنا بالأهل تلك المظاهر^{٧٤}
وقدر قسطنطين أن ليس صابراً^{٧٥}
تسيرنا تحت السروج حائر
وقد نكلت أعقابها والمخاصر
مجاهيد يتلو الصابر المتصابر^{٧٦}

^{٦٩} يعني أنه سقى الأرض المعروفة بأرسيا، مثل ما سقى الدمستق من دماء أهلها في عشية، يوم بلغت

فيه القلوب الحناجر.

^{٧٠} نمير: اسم قبيلة.

^{٧١} الإخشيد اسم رجل، وكثر في وجه الرجل: أراه المودة.

^{٧٢} يشير إلى أن وقائع مجده معلومة مشهورة، تفتخر بها تلك المواقف التي ذكرها.

^{٧٣} اللقان اسم واد.

^{٧٤} المظاهر جمع مظهر وهو المصعد.

^{٧٥} قسطنطين ملك القسطنطينية.

^{٧٦} يعني أن قسطنطين ظن أننا لا نرجع حتى نصل إليه، فلما بها إلى جانب الفرات بخيل جيد إلى أن
أوردنا الرقتين، ونحن نسوق أهلها وقد تعبت أقدامها ومال بالسبايا لجهة مرعش. مجاهد: أتعبهم
السير، والمتصابر: الذي يظهر الصبر.

فلما رأى جيشَ الدمستق زاحمتُ
وما زلن يَحْمِلَنَ النفوسَ على الوجى
وأين لقسطنطينَ وهو مكبَّل
وولَّى على الرسمِ الدمستق هارِبًا
فدَى نفسه بابنِ عليه كنفِسه
وقد يُقطعُ العضوُ النفيسُ لغيره
وحسبي بها يومَ الأحيدةِ وقعةً
عدلنا بها في قسمةِ الموتِ بينهم
إذا الشيخُ لا يلوي ويقفو محجَّرُ
فلم يبقَ إلا صهره وابنُ بنته
وأجلى إلى الجولانِ كلبًا وطِيئًا
وباتتْ نزارٌ يقسمُ الشامَ بينها
علاءُ كليبٍ للضبابِ علاؤه
وأنقذَ من مسِّ الحديدِ وثقله
وآبِ براسِ القرمطيِّ أمامه
وقد يكبرُ الخطبُ اليسيرُ ويجتني
كما أهلكتْ كلبًا غواةً جناتها
شَرِينا وبعنا بالسيوفِ نفوسهم

عزائمها واستنهضتها البصائرُ
إلى أنْ خُصِبْنَ بالدماءِ الأشاعرُ^{٧٧}
تحفُّ بطاريقُ به وزازورُ^{٧٨}
وفي وجهه عُدْرٌ من السيفِ عاذِرُ^{٧٩}
وللشدةِ الصماءِ تُقنى الذخائرُ^{٨٠}
وتُدفعُ بالأمرِ الكبيرِ الكبائرُ
على مثلها في العزِّ تُثنى الخناصرُ^{٨١}
وللسيفِ حُكْمٌ في الكتيبةِ صائرُ
ففي القيدِ ألفُ كالليوثِ قساورُ^{٨٢}
وثورٌ بالباقيين من هو ثائرُ
وأقفرُ عجب منهم وأشاعرُ
كريمُ المحيَّا لوزعيِّ مُغاورُ
وحاضرُ طيِّ للجعافرِ حاضرُ^{٨٣}
أبا وائلٍ والدهرُ أجدعُ صاغرُ
له جسدٌ من أكعبِ الرمحِ ضامرُ^{٨٤}
أكابرُ قوم ما جناه الأصاغرُ
وعمَّ كلبًا ما جناهُ الجعافرُ
ونحنُ أناسٌ بالسيوفِ نتاجرُ

^{٧٧} أي لم تزلْ تحمل مشقةَ المشي حافيةً، حتى تخضبتُ بالدماءِ.

^{٧٨} التكبيل التقيدُ بالحديد. وزازور: جمع زرور وهو البطريق، عطفه عن البطارقة.

^{٧٩} يعني أن الدمستق هرب وله عذر؛ لأنه جرح بالسيف في وجهه.

^{٨٠} يعني: هرب وترك ابنه العزيز عليه فدية، ومثل هذه الشدة تُقنى نفائس الأشياء وتذخر.

^{٨١} ثنى الخناصر على الشيء يدلُّ على نفاسته والحرص عليه.

^{٨٢} محجَّر اسمُ رجل. وقساور: جمعُ قسورةٍ من أسماء الأسد.

^{٨٣} يعني أن كليبًا إذا علتْ فعلاؤها كالضباب يعلو بنفسه، وهو ضيعٌ وطِيءٌ وإن انتسبت بأنها من أهل

الحَصْر فإن انتسابها لجدها جعفر، ومن جعفر لتفتخر به.

^{٨٤} يعني أن الممدوح رجع برأس القرمطي، جعل الرمح له جسدًا ضامرًا؛ أي هزيلًا.

وصناً نساءً نحن أولى بصونها
يُنَادِينَهُ وَالْعَيْسُ تُزَجِّي كَأَنَّهَا
ألا إن من أبقيت يا خير منعم
فنرجوك إحساناً ونخشاك صولة
وجشّمها بطنَ السماوة قايضاً
فيطرد كعباً حيث لا ماء يُرْتَجِي
ويطلب كعباً حيث لا الإثر يقتفى
فَجَعْنَا بِنَصْفِ الْجَيْشِ حُوبَةَ كُلِّهَا
أبو الفيض مارَ الجيشَ حولاً محرّماً
يناديكم يا سيفَ دولةِ هاشمٍ
فإننا وإياكم ذراها وهامها
ترى أيها لاقيتَه من بني أبي
وكان أخي إن يسعَ ساعٍ بمجده
فإن جدّ أو لفَ الأمورِ بعزمه
أزال العدى عن أردبيل بوقعة
وجازَ أراضِي أذربيجانَ بالقنا

رجعنَ ولم تكشفَ لهنَّ ستائرُ
على سُرفاتِ الرومِ نخلُ مُواقِرُ^{٨٥}
عبيدُك ما ناحِ الحمامِ السواجرُ
لأنك جبّارٌ وإنك جابِرُ
وقد أوقدتِ نارَ السّمومِ الهواجِرُ^{٨٦}
لتعلمَ كعبُ أَيِّ قَرمِ نخاصِرُ
لتعلمَ كعبُ أَيِّ عودِ تكاسِرُ
وأرهبَ جَرّاحٌ وولّى مغاورُ^{٨٧}
وكان له جدُّ من القومِ مائِرُ^{٨٨}
تطولُ بني أعمامنا وتفاخِرُ
إذا الناسُ أعناقُ لها وكراكرُ^{٨٩}
له حالبٌ لا يستفيقُ وجازِرُ
فلا الموتُ محذورٌ ولا السّم ضائرُ^{٩٠}
فقلّ هو ماثورُ الحشى وهو آثرُ^{٩١}
صريعانِ منها عاذلٌ ومساورُ^{٩٢}
وأدى إليه المرزبانُ مسافرُ^{٩٣}

^{٨٥} المواقِرُ: جمعُ مُوقرة، وهي النخلُ الحاملُ.

^{٨٦} النَّجْشِيمُ: تكليفُ الأمرِ على مشقّة.

^{٨٧} يقول: أوقَعْنَا المَكْرُوهَ بِنَصْفِ جَيْشِ حُوبَةٍ، فَحَمَلَ الجارِحونَ مِجاريحَهُم وهربَ المِغاورُ مِنَ الأعداءِ.

^{٨٨} مارَ: أَطعَمَ، يَعْنِي أَن جَدَّهُ أبا الفَيْضِ أَطعَمَ الجَيْشَ حَولاً كامِلاً، وَقَدْ كانَ قَبْلَهُ جَدُّه دأبَهُ إِطعامَ الطعامِ.

^{٨٩} الكراكرُ: جَمْعُ كَرَكَرَةٍ، وَهِيَ صَدْرُ البَعيرِ اسْتعملَ فِي مُطلقِ الصَدْرِ اسْتعمالَ المُقَيّدِ فِي المُطلقِ.

^{٩٠} يَعْنِي أَن أَخاهُ إِذا سَعَى فِي طَلبِ المِجدِ: لا يَخشى المِوتَ ولا يَضُرُّهُ السّمُ.

^{٩١} أَي: صاحِبُ عِزمٍ صادِقٍ ورأى صائِباً، والمِاثورُ: المِتهمُ، والآثرُ: الَّذِي يَخْتارُ لِنَفْسِهِ الأَشياءَ الحِسنَةَ،

ويروى: «مأبور» وكلاهما بمعنَى واحدٍ.

^{٩٢} المُساورُ: المُواثِبُ.

^{٩٣} المرزبانُ: رَئيسُ القومِ، ومِساوِرُ: اسمُ رِجلٍ.

وناهض منه الرقتين مشيعٌ
 فلما استقرت بالجزيرة خيله
 ممالكها للبيض بيض سيفنا
 وحل بنا لباً عرى الجيش كله
 له يوم عدل موقف بل مواقف
 غداة يصب الجيش من كل جانب
 بكل حسام بين حديه شعله
 على كل طيار الضلوع كأنه
 إذا ذكرت يوماً غطريف وائل
 ومنا الفتى يحيى ومنا ابن عمه
 له بالهمام ابن المعمر فتكة
 ومنا أبو اليقظان منتاش خالد
 شفي النفس يوم الخالدية بعدما
 ومنا ابن قناص الفوارس أحمد
 فتى حاز أسباب المكارم كلها
 ومنا ابن عدنان العظيم بقومه
 فهذا لذي التاج المعصب قاتل
 ومنا الأعر ابن الأعر مهلهل

بعيد المدى عبلى الذراعين قاهر^{٩٤}
 تصضع باد بالشام وحاضر^{٩٥}
 سبايا ومنها للملوك مهائر^{٩٥}
 وحكم حران ومولاه داغر^{٩٦}
 رددن إلينا العز والعر نافر^{٩٦}
 بصير بضرب الخيل والخيل ماهر^{٩٦}
 بكف غلام حشو درعيه خازر^{٩٦}
 إذا انقض من علياء فتحاء كاسر^{٩٧}
 فنحن عاليها ونحن الجماهر^{٩٨}
 هماما هما للتغر سمع وناظر^{٩٨}
 وفي السيف فيها والرماح عواذر^{٩٩}
 ومنا أخوه الأفعوان المساور^{٩٩}
 حللن بإحدى جانبيه البواتر^{١٠٠}
 غلام كمثل السيف أبلج زاهر^{١٠٠}
 وما شمرت منه الخدود النواضر^{١٠١}
 ومنا قريبا العز جبر وجابر^{١٠١}
 وهذا لذي البيت الممنع أسر^{١٠٢}
 خليلي إن دام الخليل المعاشر^{١٠٢}

^{٩٤} ناهض أي قارع أهل الرقتين، ومشيع مشجع، وعبلى ضخ.

^{٩٥} المهائر: مفصلات متلاصقة في الصدر.

^{٩٦} الخازر: الرمخ؛ أي: إن قامته تشبه الرمخ.

^{٩٧} الفتحاء: العقاب.

^{٩٨} الغطريف: السيد، والجماهر من الناس أجلاؤهم.

^{٩٩} أبو اليقظان كنيته، ومنتاش لقبه، وخالد اسمه، والأفعوان المساور الحية اللداعة.

^{١٠٠} البواتر من السيوف.

^{١٠١} أي: لم يثبت في خدوده شعر.

^{١٠٢} يعني أن أحدهما قتل الشخص الملقب بالتاج المعصب، والآخر أسر الملقب بالبيت الممنع.

فإن أدع في اللاواء فهو محاربٌ
ولما أظلل الخوف دارَ ربيعةِ
شفى داءها يوم الشراةِ بوقعةِ
ومنا عليٌّ فارسُ الجيشِ صنوهُ
ومنا حسينُ القرمُ مُشبهُ جدّه
لنا في بني عمي وأحياء أخوتي
وأنهم الساداتُ والغررُ التي
ولولا اجتنابُ العتبِ في غير مُنصفٍ
ولا أنا فيما قد تقدّم طالبُ
يسرُّ صديقي أن أكثر واصفي
نطقتُ بفضلِي وامتدحتُ عشيرتي
وأن أسخ في العلياء فهو مظاهرُ
ولم يبق إلا ما حمته الحفائرُ
حدودُ بني شيبان فيها العواترُ^{١٠٣}
عليّ ابنُ نصر خيرٌ من زار زائرُ
حمى نفسه والجيشُ للجيشِ غامرُ
على حيث سار النيران سواثر
أطول على خصمي بها وأكابرُ
لما عزني قولٌ ولا خان خاطرُ
جزاءٌ ولا فيما تأخرٌ وازرُ^{١٠٤}
عدوي وإن ساءته تلك المفاخرُ^{١٠٥}
فما أنا مداحٌ ولا أنا شاعرُ

قال أبو فراس: ولما وصلت هذه القصيدة إلى أبي أحمد بن ورقاء، ظن أني عرضتُ به في البيتَيْن اللذَيْن ختمتُ بهما القصيدة وهما يسرُّ صديقي ... إلخ. فكتب إليّ قصيدة تصرّف فيها في التشبيب ومطلّعها:

أشأقتك في الحال الديار الدوائرُ روايح مَحَّت آلهَا وبواكرُ

وكتب أبو فراس إلى أبي أحمد جعفر بن ورقاء، وجعله حكماً بينه وبين أحمد بن ورقاء فقال:

أنا من إذا اشتدَّ الرِّمًا نُ ونابَ خطبُ وادلهمُ^{١٠٦}
ألفيت حول بيوتنا عددَ الشجاعة والكرمُ

^{١٠٣} العواتر: الرماح.

^{١٠٤} الوزر الإثم.

^{١٠٥} أي يسرُّ صديقه أن الأعداء يمدحونه رغماً على أنوفهم.

^{١٠٦} ناب: نزل، وادلهم أسودٌ وأظلم.

لِلِقَا الْعِدَا بِيضُ السُّيُوفِ فِ وَلِلنَّدَا حُمْرُ النِّعَمِ
هَذَا وَهَذَا دَابُّنَا يُودِي دَمٌ وَيِرَاقُ دَمٌ
قَل لَابِنِ رِقَا جَعْفَرِ حَتَّى يَقُولَ بِمَا عِلْمٌ
إِنِّي وَإِنْ شَطَّ الْمَزَا رُ وَلَمْ تَكُنْ دَارُ أَشْمِ
أَصْبُو إِلَى تِلْكَ الْخِلَا ل وَأَصْطَفِي تِلْكَ الشَّيْمِ ١٠٧

وقال قد كتبت بها إلى أبي أحمد بن ورقاء في العراق:

قَلُوبٌ فِيكَ دَامِيَةَ الْجِرَاحِ وَأَكْبَادُ مَكَلَّمَةِ النُّوَاحِي ١٠٨
وَحِزْنٌ لَا نِفَادَ لَهُ وَدَمْعٌ يِلَاحِي فِي الصَّبَابَةِ كُلِّ لَاحٍ ١٠٩
أَتَدْرِي مَا أَرُوحُ بِهِ وَأَعْدُو فَتَاةَ الْحَيِّ حَيِّ بِنِي رِيَّاحِ
أَلَا يَا هَذِهِ هَلْ مِنْ مَقِيلِ لَضَيْفَانِ الصَّبَابَةِ أَوْ مِرَاحِ
فَلَوْلَا أَنْتَ مَا قَلِقْتُ رِكَابِي وَلَا هَبَّتْ إِلَى نَجْدِ رِيَّاحِي
وَمِنْ جِرَاكَ أَوْطَنْتُ الْفِيَّافِي وَفِيكَ غُذِيَتْ أَلْبَانَ اللَّقَاحِ ١١٠
رَمْتِكَ مِنَ الشَّامِ بِنَا وَجَابٌ قِصَارِ الْخَطُوطِ دَامِيَةَ الصَّفَاحِ ١١١
تَجُولُ نُسُوعَهَا وَتَبِيْتُ تَسْرِي إِلَى غِرَاءِ جَائِلَةِ الْوَشَاحِ ١١٢
إِذَا لَمْ تَشْفِ بِالْغِدَوَاتِ نَفْسِي وَصَلَتْ لَهَا غَدُوبِي بِالرَّوَّاحِ
يَقُولُ صَحَابَتِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَقَدْ هَبَّتْ لَنَا رِيحُ الصَّبَاحِ
لَقَدْ أَخَذَ السُّرِّي وَاللَّيْلُ مَنَّا فَهَلْ لَكَ أَنْ تُرِيحَ بِحَوْ رَاحِ ١١٣

١٠٧ يقول: قل لجعفر يقول لأحمد ابن ورقاء: إني وإن كنتُ بعيدًا عنه، فأميلُ إلى صفاته الحميدة وأختارُ من شيمه السعيدة.

١٠٨ أي: مجروحةٌ من كل ناحية.

١٠٩ أي يجادلُ في عشقك كل من لأم.

١١٠ ألبان الإبل.

١١١ يقول: رمتُ بنا إليك من أرض الشام إبلٌ أضرتُ بها الحفَاء، فقصرتُ خطاها ودميتُ صفحاتُ أرجلها من كثرة السير.

١١٢ النسوع: جمع نسع، وهو السيرُ يُشدُّ به الرجلُ.

١١٣ أي تستريحُ بالمكان المعروف بجوِّ راح.

فقلتُ لهم على كره أريحوا
أرادت أن يقال: أبو فراس
فكم أمرُ أغالبٍ فيه نفسي
أصاحبُ كلِّ خلٍ بالتَّجافي
وأنا غيرُ بُخالٍ لنحيمي
لأملاكِ البلادِ عليَّ ضربُ
ويومٍ للكُمة به عناقُ
وما للمالِ يزوي عن ذويه
لنا منه وإن لويتُ قليلاً
لسيفِ الدولة القِدحِ المعلى
لأرْسعهم ندى إن غبَّ رادٍ
أتاني من بني ورقاء قولُ
وأطيب من نسيمِ الروضِ حفتُ
وتبكي في نواحيه الغواذي
عتابك يا ابنَ نجمٍ بغيرِ جُرمٍ
وما أرضى انتصافاً من سواكم
أظننا إن بعضَ الظنِّ إنثمَّ

وفي الذَّمْلانِ رُوحِي وارتياجي^{١١٤}
على الأصحابِ مأمونُ الجِماجِ^{١١٥}
ركبتُ مكانَ أذني للنجاحِ
وأسو كلَّ داءٍ بالسماحِ^{١١٦}
حماءَ الماءِ والمرعى المباحِ
يحل عزيمةَ الدُّرعِ الوقاحِ^{١١٧}
ولكنَّ التصافحِ بالصِّفاحِ^{١١٨}
ويُصبح في الرِّعاديدِ الشِّحاحِ^{١١٩}
ديون في كفالاتِ الرماحِ^{١٢٠}
إذا سبق الملوكِ إلى القِدادِ^{١٢١}
وأغزهم مدافعِ سيبِ راحِ
ألدُّ جنى من الماءِ القُراحِ
به اللذاتِ من روحِ وراحِ
بأدمعها وتبتسم الأجاجي
أشدُّ عليَّ من وخزِ الجراحِ
وأغضي عنك عن ظلمِ صراحِ
أمزحاً ربُّ جدِّ في مزاحِ

^{١١٤} الذَّمْلان: نوعٌ من السيرِ والهَرولةِ.

^{١١٥} عبارة عن الانقياد.

^{١١٦} أراد بالتَّجافي التباعَدَ عن المخالفةِ، أو الجفاءَ على نفسه.

^{١١٧} الدُّرعُ الصُّلبُ.

^{١١٨} أي لا بدَّ لي من يومٍ حربٍ أعانقُ به الشِّجعانَ، وتتصافحُ ولكن بالسُّيوفِ وما أحسنَ التعانقَ والتصافحَ في هذا المقام.

^{١١٩} الرعيديُّ: الجبانُ وكثيرُ الكلامِ، وأراد الأسافلَ البخلاءَ.

^{١٢٠} لكن لنا ديونٌ مقرَّرةٌ، لا بدَّ من تحصيلها بالرماحِ التي ضمنتُ تحصيلها.

^{١٢١} القِداد: الرَّمي بالسَّهامِ.

أرَيْتَكَ يَا ابْنَ نَجْمِ بَأْيِ عَذْرِ
أَجْعَلُ فِي الْأَوَائِلِ مِنْ نَزَارِ
أَمِنْ تَعَبِ نَشَا بَحْرِ الْعَطَايَا
وَصَاحِبِ كُلِّ عَضْبٍ مُسْتَبِيحِ
وَهَذَا السَّيْلُ مِنْ تِلْكَ الْغَوَاذِي
وَكَيْفَ أُعِيبَ مَدْحَ شَمُوسِ قَوْمِي
وَلَوْ شِئْتُ الْجَوَابَ أُجِبْتُ لَكِنْ
وَلَسْتُ وَإِنْ صَبَرْتُ عَلَى الْأَثَافِي

غَدوتُ عَنِ الصَّوَابِ وَأَنْتِ لَاحٍ ١٢٢
كَفَعَلِكِ أُمُّ بَأْسَرْتَنَا افْتِتَاحِي
وَأَكْرَمِ مُسْتَغَاثِ مُسْتَبَاحِ
أَعَادِيهِ وَمَالِ مُسْتَبَاحِ
وَهَذِي السُّحْبُ مِنْ تِلْكَ الرِّيَاحِ
وَمَنْ أَضْحَى امْتِدَاحَهُمْ امْتِدَاجِي
خَفَضْتُ لَكُمْ عَلَى عِلْمِ جِنَاجِي
الْأَحْيَى أُسْرَتِي وَبِهِمُ الْأَحْيَى ١٢٣

وقال أيضًا يخاطب ابنَ ورقاء:

اللَّوْمُ لِلْعَاشِقِينَ لَوْمٌ
وَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلُومًا
وَمَقَلْتِي مَلُومًا دَمُوعٌ
يَا قَوْمُ إِنِّي امْرُؤٌ كَتُومٌ
اللَّيْلُ لِلْعَاشِقِينَ سِتْرٌ
نَدِيمِي النِّجْمُ طَوْلٌ لَيْلِي
أَسْلَمْنِي الصَّبْحُ لِلْبَلَايَا
بِرْمَلْتِي عَالِجٌ رَسُومٌ

لَأَنَّ خُطْبَ الْهُوَى عَظِيمٌ
وَعِنْدِي الْمَقْعَدُ الْمُقِيمُ
وَأَضْلَعِي حَشْوَهَا كَلُومٌ ١٢٤
تَصَحَّبْنِي مَقْلَةً نَمُومٌ
يَا لَيْتَ أَوْقَاتِهِ تَدُومٌ
حَتَّى إِذَا غَارَتِ النُّجُومُ
فَلَا حَبِيبٌ وَلَا نَدِيمٌ
يَطُولُ مِنْ دُونِهَا الرَّسِيمُ ١٢٥

١٢٢ أرَيْتَكَ: اسمُ فعلٍ بمعنى: أخْبِرْنِي.

١٢٣ معنى الأبيات: إنما كان عتبتك على تحمسي وامتداجي لقومي؛ فكيف أعيب مدحهم على زعمك، والحال أن امتداحهم امتداحٌ لي. ولو شئتُ أن أحبيك بما أحجك لقدرتُ على ذلك، لكن عادتني خفضُ الجناحِ للأقارب، مع أنني أعلم خطأهم في الاعتراض، ومن عادتني أيضًا أن أتحمّل المشاقَّ والصبرَ على كيدِ الأحابِ صبرَ القدرِ على الأثافي التي يوقد فيها النيران، وأني أجادلُ بأشرفِ قومي غيرهم.

١٢٤ الكُوم: الجراح.

١٢٥ الرسم: الناقَةُ الحَسَنَةُ المشيِّ والفِعل، وهنا السيرُ للإيل.

أَنخَتْ فِيهِنَّ يَعْمَلَاتٍ
 أَخَذُو بِهَا قَطَعَ كُلَّ وَاِدٍ
 بَيْنَ ضُلُوعِي هَوَى مُقِيمٍ
 زَرَّ عَلَى الدَّهْرِ فِي سُرَاهَا
 تِلْكَ سَجَايَا مِنَ اللَّيَالِي
 يَغْيِّرُ الدَّهْرُ كُلَّ شَيْءٍ
 أَمْنَعُ مِنْ رَامِهِ سِوَاهِمُ
 وَهَلْ يَسَاوِيهِمْ قَرِيبُ
 وَنَحْنُ مِنْ عُصْبَةٍ وَأَهْلٍ
 لَمْ تَتَفَرَّقْ لَنَا حُتُولُ
 سَمِتْ بِنَا وَائِلُ وَفَارِزْتُ
 وَدَادُهُمْ خَالِصُ صَحِيحُ
 أَلْ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثُ
 نَرَعَاهُ مَا طَرَقَتْ بِحَمَلٍ
 تَدْنُو بَنُو عَمَّنَا إِلَيْنَا
 أَيْدٍ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ خَطْبٍ
 وَالسِّنُّ دُونَهُمْ حِدَادُ
 لَمْ تَنَأْ عَنَّا لَهُمْ قَلُوبُ
 وَلَا عَدِمْنَا لَهُمْ ثَنَاءُ
 لَقَدْ نَمَتْنَا لَهُمْ أَصُولُ
 نَبَقَى وَيَبْقُونَ فِي نَعِيمٍ
 مَا عَهْدُ إِرْقَالِهَا دَمِيمٌ^{١٢٦}
 أَخَصَّبَهُ نَبْتُهُ الْعَمِيمُ
 لَأَلِ وِرْقَاءَ لَا يَرِيمُ^{١٢٧}
 مَا ذَهَبَ النُّجْمُ وَالنُّجُومُ
 لِلْبُؤْسِ مَا يَخْلُقُ النَّعِيمُ
 وَهُوَ صَحِيحٌ لَهُمْ سَلِيمُ
 مِنْهُ كَمَا يَمْنَعُ الْحَرِيمُ
 أَمْ هَلْ يُدَانِيهِمْ حَمِيمُ
 يَضُمُ أَعْضَاءَنَا الْأَرُومُ^{١٢٨}
 فِي الْعِزِّ مَنَا وَلَا عَمُومُ
 بِالْعِزِّ أَخْوَالَنَا تَمِيمُ^{١٢٩}
 وَعَهْدُهُمْ ثَابِتٌ مُقِيمُ
 وَهُوَ لِأَبَائِنَا قَدِيمُ
 أَنْثَى وَمَا أَطْفَلْتُ بِغُومُ^{١٣٠}
 فَضْلًا كَمَا يَفْضَلُ الْكَرِيمُ
 يِثْنِي بِهَا الْحَادِثُ الْجَسِيمُ
 لَدُّ إِذَا قَامَتِ الْخُصُومُ^{١٣١}
 وَلَا نَأَتْ عَنْهُمْ جِسُومُ
 كَأَنَّهُ اللَّوْلُؤُ النَّظِيمُ
 مَا مَسَّ أَعْرَاقَهُنَّ لُومُ
 مَا بَقِيَ الرَّكْنُ وَالْحَطِيمُ

^{١٢٦} اليعملات: الإبل، والإرقال: سرعة سيرها.

^{١٢٧} رام يريم بمعنى: زال يزول.

^{١٢٨} الأروم: الأصل الواحد.

^{١٢٩} يعني شرفت بنا قبيلة وائل؛ لأن منها آباءنا وأجدادنا، وفازت بعزنا تميم؛ لأن أخواننا منها.

^{١٣٠} البغوم: الظبية التي تصون ولدها وتناديه.

^{١٣١} اللد: الذي لا يزيغ.

وقوفك في الديارِ عليك عارُ
أبعد الأربعين محرّماتُ؟
نزعْتَ عن الصِّبا إلا بقايا
وطال الليلُ بي ولربِّ دهرٍ
وندماني السريعُ إلى لقائي
عشقتُ بها عوارِيَّ الليالي
وكم من ليلةٍ لم أروَ منها
قضاني الدين ماطله ووافي
فبتُّ أعلُّ خمراً من رُصابٍ
إلى أن رُقُّ ثوبُ الليلِ عنّا
وولتُ تسرُقُ اللَّحْظَاتِ نحوي
دنا ذاك الصباحِ فلستُ أدري
وقد عادتُ ضوءَ الصبحِ حتى
ومضطغن يرأود فيَّ عيبًا
وأحسبُ أنه سيجرُّ حربًا

وقد رُدَّ الشبابُ المستعارُ^{١٣٢}
تمادٍ في الصبابةِ واغترارُ
يحقِّرها على الشيبِ العقارُ^{١٣٣}
نعمت به لياليه قصارُ
على عَجَلٍ وأقداحي الكِبَارُ
أحقُّ الخيلِ بالركضِ المُعارُ^{١٣٤}
جنيتُ بها وأرَّقني أدكارُ
إليَّ بها الفؤادُ المستطارُ
لها سُكْرٌ وليس لها خمارُ^{١٣٥}
وقالت قم فقد برد السُّوارُ^{١٣٦}
بملتفتٍ كما التفتَ الصوارُ^{١٣٧}
أشوق كان منه أم ضرارُ
لطرفي عن مَطالعه ازورارُ
سيلقاه إذا سكنتُ وبارُ^{١٣٨}
على قومٍ ذنوبهم صغارُ^{١٣٩}

^{١٣٢} يخاطب نفسه بأنَّ وقوفه عارٌ في دار الأحبَّة بعد زهابِ الشَّبابِ.

^{١٣٣} النَّزعُ: النَّصُولُ عن الأمرِ، والعقارُ: الخمرُ.

^{١٣٤} أي عشقه بتلك الليالي ما أعارته لي من النعيم ببقاء المحبوبِ. والفرسُ المعار لا يحرص عليها راكبها؛ لأنه لا يملكها.

^{١٣٥} أعلُّ: أرفُف.

^{١٣٦} أي: قرَّب الصبحِ.

^{١٣٧} يعني ولتُ المحبوبة، وهي تسارقني لحظاتها وتلتفت إليَّ كالصوار، والصُّوار القطيعُ من بقر الوحش.

^{١٣٨} وبار: جمع وبرة، وهي من أيام العجوز.

^{١٣٩} أي أنَّ المضطغن سيجرُّ على قومه ذنبًا يكون سببًا لإبادتهم مع أن ذنوبهم قليلة لا تستحق هذه العقوبة.

كما جُزيت براعيها نميرٌ
وكم يومٍ وصلتُ بفجرٍ ليلٍ
إذا انحسر الظلامُ امتدَّ ليل
يموج على النواظر فهو ماءٌ
إذا ما العزُّ أصبحَ في مكانٍ
مقامي حيثُ لا أهوي قليل
أبتُ لي همتي وغرارُ سَيْفي
ونفْسٌ لا تجاورها الدُّنيا
وقومٌ مثل من صَحبوا كرامٌ
وكم بلدٍ شتتناهَنُ فيه
وخيل خَفَّ جانبُها فلما
وكم ملكٍ نزعنا المُلْكَ منه
وكنَّ إذا أغرن على ديار
فقد أصبحنَّ والدنيا جميعًا
إذا أمست نزارٌ لنا عبيدًا

وقال يفتخر أيضًا:

نعمُ تلك بين الواديين الخواتلُ
فما كنتُ إذ بانوا بنفْسِك فاعلًا
وذلك شأقٌ دونهنَّ وجاملٌ^{١٤٥}
فدونكهُ إنَّ الخليطَ لزائلٌ

^{١٤٠} يشير إلى قصتين معلومتين وهو هلاك قبيلة نمير بجرم راعيها، وهلاك بني أسد بذنوب رجل اسمه يسار.

^{١٤١} الصُّدار: سمَّة على صدر البعير.

^{١٤٢} الغرار: القليل من النوم.

^{١٤٣} الضمير في شتتناهَنُ عائدٌ إلى الخيل.

^{١٤٤} الجُّبار: الهدر.

^{١٤٥} الخواتل: جمع خاتلة وهي التي تخدع الرجل على نفسه، والشأق: السبق والطلق، والجامل: القطيع من الإبل ورعاته وأربابه، والحي العظيم.

كأنَّ ابنةَ القيسيِّ في أخواتِها
 قشيريَّةَ قشريَّةَ بدويَّةَ
 وهبَّت سلوِّي ثم جئتُ أرومهُ
 هوانا غريبٌ شَرَّبُ الخيلِ والقنا
 أغرن على قلبي بخيلٍ من الهوى
 بأسهمٍ لفظٍ لم ترَكَّبُ نصالها
 وقائعُ قَتلى الحُبِّ فيها كثيرةٌ
 أراميتي، كلُّ السهامِ مصيبةٌ
 وإنني لمقدامٌ وعندك هائبٌ
 يضلُّ عليَّ القولُ إن زرتُ دارها
 وحجَّتُها العليا على كلِّ حالةٍ
 تطالبني بيض الصوارمِ والقنا
 ولا نذبَ لي أن الفؤادَ لصارمِ
 وأن الحصانَ الواثقي لزامرٌ
 ولكنَّ دهرًا دافعتني صروفهُ
 وأخلافُ أيَّامٍ إذا ما انتجعَّتُها
 ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحَّتُها
 ولكنها الأيامُ تجري كما جرت

خذولٌ تراعيها الظباءُ الخواذلُ^{١٤٦}
 لها بين أثناء الضلوع منازلُ^{١٤٧}
 وما دون ما رمت القنا والقنابلُ
 لنا كتبٌ والباتراتُ رسائلُ^{١٤٨}
 فطارَدَ عنهن الغزالُ المغازلُ
 وأسيافٍ لحظٍ ما جنَّتُها الصياقلُ
 ولم يشتهرُ سيفٌ ولا هزَّ ذابلُ
 وأنت لي الرامي فكُلِّي مقاتلُ
 وفي الحي سحبانٌ وعندك باقلُ
 ويغرُبُ عني وجهُ ما أنا فاعلُ
 فباطلُها حقٌ وحقِّي باطلُ^{١٤٩}
 بما وعدتُ جدِّي في المخايلُ^{١٥٠}
 وأن الحسامَ المشرفي لفاصلُ
 وأن الأصمَّ السمهريَّ لعاملُ
 كما دافع الدَّينَ الغريمُ المماطلُ
 حلفت بليات وهزَّ حوافلُ^{١٥١}
 فضائلَ تحويها وتبقى فضائلُ
 فيسفل أعلاها ويعلو الأسافلُ

^{١٤٦} الخذولُ: الظبية التي تخلفت عن صواحبيها.

^{١٤٧} قشيريَّة وقشريَّة نسبة إلى قبيلتين؛ فإن قشيرة وقرة أبوا قبيلتين.

^{١٤٨} شَرَّبُ الخيل: صوامرُها.

^{١٤٩} يعني أن حجة المحبوبة، ولو كانت باطلة، تعلق وتغلبني، وحجَّتي وإن كانت حقًا فهي غير منيولة عندها.

^{١٥٠} أي أن السيوفَ والرماح تطلب مني أن أقوم بحققها في الفتك بالأعداء، كما كان يتخيلهُ في جدائي.

^{١٥١} الأخلاف جمع خُلف، وهو الضرع، والبلية الناقة يموت ربُّها فتشُدُّ عند قبره حتى تموت. يزعمون أنه يركبُها في البعث، والانتجاع طلب ما فيها من اللبن، والحوافل جمع حافلة وهي الناقة التي في بطنها داء.

لقد قلَّ أن تلقى من الناس مجملًا
وأخشى قليلًا أن يقل المجامل^{١٥٢}
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي
ولا قائلًا للضيف أنت لراحل^{١٥٣}
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب
له عندنا ما لا تنال السوائل^{١٥٤}
لنا عقب الأمر الذي في صدوره
تطاول أعناق العدا والكواهل^{١٥٥}

ولقد كثرت وقائع سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان بن الحارث الثعلبي بالعرب، فتجمعت نزار وعشائره وتشاكت ما لحقها وتراسلت واتفقت على الاجتماع بسلمية لمقابله، وأوقعت بعامله بقنشرين وهو الصباح عبد عمار، فنهض سيف الدولة ومعه ابن عمه أبو فراس، حتى أوقع بهم وعليهم يومئذ النذمي بن جعفر ومحمد بن يوشع العقيليّان من آل المهنا، فهزّمهم وقتل وجوههم وسراتهم واتبع فلهم، وقدم أبا فراس في قطعة من الجيش فلم يزل يتبعهم ويقتل ويأسر، حتى ألحقهم بالغور فلم ينج منهم إلا من سبق فرسه، واتبعهم سيف الدولة حتى ألحقهم بتدمر، ثم انكف سائرًا إلى بني نمير وهي بالجزيرة فوجدها قد أخذت المهل ولحقته خاضعة ذليلة تعطي الرضا وتنزل على الحكم، فصفح عنهم وأحلهم بالجزيرة. فقال أبو فراس، يذكر الحال والمنازل ويصف مواقفه فيها:

أبت عبراته إلا انسكابا
ومن حق الضلوع عليّ ألا
وما قصرت عن تسأل ربع
رأيت الشيب لاح فقلت أهلاً
وما إن شبت من كبر ولكن
بعثن من الهموم إليّ ركباً
ونار ضلوعه إلا التهابا
أغب من الدُموع لها سحابا
ولكنني سألت فلن أجابا
وودعت الغواية والشبابا
رأيت من الأحبة ما أشابا^{١٥٤}
وصيرن الصدود له ركابا^{١٥٥}

^{١٥٢} أي عما قليل أخشى أن يقل المتجاهل فضلاً عن المجمل.

^{١٥٣} الجهم: الغليظ المظهر الكراهة لمن رآه.

^{١٥٤} يحكي أنه شاب قبل أن يبلغ العشرين سنة.

^{١٥٥} الركب: القافلة والركاب الرواحل.

ألم ترنا أعزَّ الناسِ جَارًا
لنا الجبلُ المطلُّ على نزارِ
تفضَّلنا الأنامَ ولا نحاشي
وقد علمتُ ربيعةً بل نزارُ
ولما أن طغتُ سفهاءَ كعبِ
منَحناها الحرايبَ غيرَ أنا
ولما ثار سيفُ الدينِ تُرنا
أسنَّتُه إذا لاقى طعانًا
دعانا والأسنةُ مُشرعاتُ
صنایعُ فاق صانعها ففاقتُ
وكنا كالسَّهامِ إذا أصابتُ
قطعن إلى الحُباةِ بنا معانًا
وجاوزن البريةَ صادياتِ
عبرن بماسجٍ والليلُ طفلِ
فما شعروا بها إلا ثباتًا
تناهبن التَّناءَ بصَّبرِ يومِ

وأمرَعهم وأمنَعهم جَنابا
حللن المجدَ منه والهَضابا^{١٥٦}
ونوصفُ بالجميلِ ولا نُحابي^{١٥٧}
بأنا الرأسُ والناسُ الذُّنابى
فتَحْنَا بيننا للحربِ بابًا
إذا جارتُ منحناها الجِرابا^{١٥٨}
كما هيَّجَتِ آسادًا غَضابا
صوارمُه إذا لاقى ضِرابا^{١٥٩}
فكُنَّا عند دَعوته الجَوابا
وغرسُ طابِ غارسُه فطابا^{١٦٠}
مرامِيها فرامِيها أصابا
ونكَّبنا الصبيرةَ والضُّبابا^{١٦١}
يُلاحظن السَّرابِ ولا سرابا^{١٦٢}
وجُين إلى سليمةٍ حينَ شابا^{١٦٣}
دُوين الشدُّ تصطحبُ اصطحابا^{١٦٤}
به الأرواحُ تنتهبُ انتهابا

^{١٥٦} المُطلُّ: المشرف، والهَضاب جمع هضبة، وهي الجبلُ المنبسطُ على الأرض والطويل الممتنع.

^{١٥٧} المحاشاة: الاستثناء، والمحابة: الميل، يقال: حاباه، مال إليه.

^{١٥٨} الحرايب: جمع حريب، وهو ما يُعاشُ به من المال، وجراب جمع حربة.

^{١٥٩} أسنة خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ تقديره: «نحن أسنَّته»، ويجوزُ أن تكون أسنَّته مبتدأً خبره صوارمُه؛ يعني: أسنَّته لذي الطعان هي سيوفُه عند الضَّراب.

^{١٦٠} يعني نحن صنایعُ سيفِ الدولة وغرسه، فما فينا من المزايا الحسان؛ فإنما هو من فضله.

^{١٦١} الحباة ومعان والصبيرة وضباب: أسماءٌ لمواضعٍ معروفة.

^{١٦٢} السَّراب ما يُرى في شدَّة الحر من بَعيد كالماء.

^{١٦٣} ماسج: اسمٌ موضع. والليلُ طفلٌ؛ أي: أولُه، وحينَ شابَ آخرُه.

^{١٦٤} الثُّبات: سير الخيل دونَ الشدِّ، والشدُّ هو العَدُو.

تَنَادُوا فَاثْبَرَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 وَقَادَ نَدَى بِنِ جَعْفَرٍ مِنْ عَقِيلٍ
 فَمَا كَانُوا لَنَا إِلَّا أَسَارَى
 كَأَنَّ نَدَى بِنِ جَعْفَرٍ قَادَ مِنْهُمْ
 وَشَدُّوا رَأْيَهُمْ بِبَنِي بَدِيعٍ
 فَلَمَّا اشْتَدَّتَّ الْهَيْجَاءُ كُنَّا
 وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ جَارًا
 سَقِينَا بِالرَّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ
 وَسُقْنَاهُمْ إِلَى الْجِيرَانِ سَوْقًا
 وَنَكَّبْنَا الْفَرَقِيْسَ لَمْ نَرِدْهُ
 وَأَمْطَرْنَا الْجِبَاهُ بِمَرْجَحِنَّ
 وَجَزَنَ الصَّحْصَانَ يَخْدُنَ وَخَدًّا
 وَمَلَنَ عَنِ الْغُؤِيرِ وَسَرَنَ حَتَّى
 قَرِينَا بِالسَّمَاوَةِ مِنْ عَقِيلٍ

سَوَابِقُ يَنْتَخِبْنَ لَهُ انْتِخَابًا^{١٦٥}
 شَعُوبًا قَدْ أَسْلَنَ بِهِ الشُّعَابَا^{١٦٦}
 وَمَا كَانَتْ لَنَا إِلَّا نِهَابَا
 هَدَايَا لَمْ يُرْغُ عَنْهَا ثَوَابَا^{١٦٧}
 فَخَابُوا لَا أَبَا لَهُمْ وَخَابَا^{١٦٨}
 أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدًا نَابَا
 وَأَوْفَرَ نَمَّةً وَأَقْلَّ عَابَا
 بَبْطَنَ الْعَثِيرِ السَّمَّ الْمَذَابَا^{١٦٩}
 كَمَا نَسْتَأْقُ أَبَالًا صِعَابَا^{١٧٠}
 كَأَنَّ بَنَا عَنِ الْمَأْوَى اجْتِنَابَا^{١٧١}
 وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ الْمَرَّ صَابَا^{١٧٢}
 وَيَجِبِبْنَ الْفَلَاةَ بَنَا اجْتِنَابَا^{١٧٣}
 وَرَدْنَ عِيُونََ تَدْمُرُ وَالْجِبَابَا^{١٧٤}
 سَبَاعَ الْأَرْضِ وَالطَّيْرَ السَّغَابَا^{١٧٥}

^{١٦٥} انْبَرَى: انتصب قائمًا واعترض، والفج: الطريق، والسوابق: الخيل.

^{١٦٦} الشعوب: جمع شعب وهي القبيلة العظيمة، والشعاب: جمع شعبة وهو جبل الرمل، وصدع في الجبل

يأوي إليه المطر.

^{١٦٧} الإراغة: الطلب والإراة.

^{١٦٨} لا أبا لهم: كلمة تستعمل في الذم كأن لا أب له يُعرف، وقد تستعمل في المدح بقريظة المقام؛ كأن لم يوجد له مثل في البشر، وأكثر استعمالها في الذم.

^{١٦٩} العثير: اسم مكان.

^{١٧٠} الجيران: اسم موضع، والآبال: جمع إبل.

^{١٧١} الفرقيس على وزن سميذع: اسم ماء، ونكبتنا عدلنا.

^{١٧٢} الجباه ومرجحن اسم موضع، والصاب: نبت له مرارة.

^{١٧٣} الضمير في «جزن» للإبل، والوخد: نوع من سير الإبل، وجوب الفلاة: قطعها.

^{١٧٤} تدمر والجبابا: اسم موضع.

^{١٧٥} قرينا: أطعمنا، والسماوة: اسم موضع، والسغاب: الجياغ.

وللصَّبَّاحِ وَالصِّيَّاحِ عَبْدٌ
تَرَكْنَا فِي بِيوتِ بَنِي المَهْنَأِ
تَشَقَّقْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ حُقُودِ
وَأَبْعَدْنَا لِسوءِ الفَعْلِ كَعَبًّا
وَشَرَدْنَا إِلَى الجَوْلَانِ طَيِّبًا
سَحَائِبِ مَا أَتَاحَ عَلَى عَقِيلِ
وَسَرْنَا بِالخِيولِ إِلَى نَمِيرِ
أَمَامَ مَشِيْعٍ سَمَحَ بِنَفْسِ
وَمَا ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ وَلَكِنْ
وَيَأْمُرْنَا فَنَكْفِيهِ الأَعَادِي
فَلَمَا أَيْقَنُوا أَنْ لا غِيَاثُ
وَعَادَ إِلَى الجَمِيلِ لَهُمُ فَعَادُوا
أَمْرًا عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا
أَحْلَهُمُ الجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسِ
دِيَارَهُمْ انْتَزَعْنَاهَا اقْتِسَارًا
وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا البَوَادِي
إِذَا مَا أَنْفَذَ الأَمْرَاءُ جَيْشًا
أَنَا ابْنُ الضَّارِبِينَ الهَامَ قَدَمًا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّا

قَتَلْنَا مِنْ لِبَابِهِمُ اللُّبَابَا^{١٧٦}
نَوَادِبَ يَنْتَجِبْنَ لَهُ انْتِحَابَا
وَأَبْرَزْتَ الضُّبَابُ بِهِ الضُّبَابَا^{١٧٧}
وَأَذْنَيْنَا لَطَاعَتِهَا كِلَابَا
وَجَنَّبْنَا سَمَارَتِهَا جِبَابَا
وَجَرَّ عَلَى جَوَادِهِمَا ذَنَابَا^{١٧٨}
تَجَاذَبْنَا أَعْنَتُهَا جِذَابَا
يَعِزُّ عَلَى العَشِيرَةِ أَنْ تُصَابَا
يَهَابُ مِنَ الحَمِيَةِ أَنْ يَهَابَا
هُمَامٌ لَوْ يَشَا لَكَفَى وَنَابَا
دَعُوهُ لِلْمَعُونَةِ فَاسْتَجَابَا
وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى الرِّقَابَا
أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرِيًّا وَصَابَا^{١٧٩}
أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ العِقَابَا
وَأَرْضَهُمُ اغْتَصَبْنَاهَا اغْتِصَابَا
كَمَا تَحْمِي أَسْوَدُ الغَابِ غَابَا
إِلَى الأَعْدَاءِ أَنْفَذْنَا كِتَابَا^{١٨٠}
إِذَا كَرِهَ المَحَامُونَ الضُّرَابَا
بِأَنِي كُنْتُ أَثَقَبَهَا شَهَابَا؟

^{١٧٦} الصيَّاح عبدٌ عمارة المحاري دعِي زيد بن جُشم، كان عامل سيف الدولة بقنَّسرين فلما قتله كعبٌ ونزار أوقع بهما ما حكاه في هذه القصيدة. واللُّباب الخالص من كلِّ شيء.

^{١٧٧} الضُّباب حدُّ السيف، والحدقد أيضًا.

^{١٧٨} الذناب: أيام الشر الطوال.

^{١٧٩} الأرى: العسل، والصاب: نَبْتُ مَرٍّ.

^{١٨٠} يعني أن من عادة الملوك والأمراء أن تُرسل على أعدائهم الجيوش؛ أمَّا نحن فنكتفي بإرسال كتابٍ يُغني عن إرسال جيشٍ؛ لأنهم لا يقدرّون على المخالفة.

وقال وقد كتبَ بها إلى سيف الدولة:

قد ضجَّ جيشك من طول القتال به
وقد درى الرومُ مذ جاورت أرضهمُ
في كل يوم تزورُ الثغرَ لا ضجرُ
فالنفسُ جاهدة والعين ساهرة
توهمتك كلابٌ غيرَ قاصدها
حتى رأوك أمامَ الجيش تقدّمه
فكنت أكرمَ مسئولٍ وأفضله

وقد شكّك إلينا الخيلُ والإبلُ
أن ليس يعصمهمُ سهلٌ ولا جبلُ
يثنيك عنه ولا شغلٌ ولا مللُ
والجيش منتهكٌ والمال مبتذلُ
وقد تكتنّفك الأعداء والنكلُ^{١٨١}
وقد طلعت عليهم دون ما أمّلوا
إذا وهبت فلا منٌ ولا بخلُ

وقال أول ما أُسر يسأل سيف الدولة المفاداة به:

دعوتك للجفنِ القريح المسهدِ
وما ذاك بخلاً بالحياة وأنها
وما زال عني أن شخصاً معرضاً
ولكنني أختار موت بني أبي
وأبي وتأبى أن أموت موسداً
نضوت على الأيام ثوب جلادتي
وما أنا إلا بين أمر وضده
فمن حُسن صبرٍ بالسلامة واعدِ

لديّ وللنوم القليل المشرّدِ
لأولِ مبدولٍ لأولِ مُجتدي^{١٨٢}
لنيلِ الردى إن لم يُصب فكأنّ قدي^{١٨٣}
على سروات الخيل غير موسدِ
بأيدي النصارى موت أكمد أكبدِ
ولكنني لم أنض ثوب التجلّدِ^{١٨٤}
يجدّد لي في كل يومٍ مجدّدِ
ومن ريب دهرٍ بالردى متوعّدِ

^{١٨١} أي ظنت قبيلة كلاب أنك لا تقصد غزوها، وقد أحاط بك الأعداء وغنائمها، فرأت منك خلاف ما ظنت.

^{١٨٢} يعني: أنه لا يطلب الرحمة والمساعدة من سيف الدولة؛ حرصاً على الحياة فهو يبتذلها لأول طالبٍ

لها في القتال.

^{١٨٣} كأن مخففة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها أيضاً كذلك، وتقديره: أصيب كقول الشاعر:

أزفَ الترحلُ غيرَ أنّ ركابنا لما نزل برحالنا وكأنّ قد

^{١٨٤} نضوت من نضا الثوب، إذا أبله.

ومثلي من يُفدى بكل مسود^{١٨٥}
 ولا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدٍ
 وفُلل حُدَّ المشرفيَّ المهند^{١٨٦}
 بأيدي النَّصارى الغُلفِ ميةً أكمد^{١٨٧}
 فليستَ عن الفعلِ الكريمِ بمُقعدٍ
 رفعت بها قدري وأكثرت حُسدي
 وقم في خلاصي صادق الوعد واقعد^{١٨٨}
 معابَ الزرازيين مهلكَ معبد^{١٨٩}
 يهدون أطرافَ القريضِ المقصدِ
 يُعابون إذ سيمِ الفداء وما فدي
 وأرغب في كسبِ الثناء المخلد^{١٩٠}
 وتقعُد عن هذا العلاء المشيدِ
 وأنتم على أسراكم غير عود؟^{١٩١}
 شديدًا على البأساء غير ملهد^{١٩٢}
 طويل نجادِ السيفِ رحب المقلد^{١٩٣}
 وأسرع عوادٍ إليهم معود

ومثلك من يُدعى لكلِّ عَظيمة
 أناديكَ لا أني أخافُ من الردى
 وقد حُطِّمَ الخطيُّ واخترمَ العدا
 وأنف موتَ الذلِّ في دارِ غربَةٍ
 فلا تقعدن عني وقد سيمَ فديتي
 فكم لك عندي من أيادٍ وأنعم
 تشبثُ بها أكرومةً فت فوتها
 فإذا متُّ بعد اليوم عابك مهلكي
 هم عضلوا عنه الفداء وأصبحوا
 ولم يك بدعًا هلكه غير أنهم
 فلا كان كلبُ الرومِ أرافَ منكم
 ولا بلغ الأعداءُ أن يتناهاضوا
 أأضحوا على أسراهم لي عودًا
 متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى
 متى تُخلف الأيام مثلي لكم فتى
 فإن تفتدونني تفتدوا شرفَ العُلا

١٨٥ المسود الجريء الشجاع، والتسويد الجراءة.

١٨٦ الخطي: الرمح. يقول: دعوتك في حال تكسير رُمحي، وأخذ العدا لي بالأسر وتقلل حد سيفي.

١٨٧ الأغلِف الذي لم يختن، جمعه غُلف.

١٨٨ تشبث: تعلق. فت فوتها: ذهب ذهابها. يعرض سيف الدولة أنه لم يعامله بمقتضى الكرم.

١٨٩ يعني أن الزرازيين أعينوا لكونهم لم يفتدوا معبدًا، فتخلَّفوا عنه حتى مات في الأسر ثم شرعوا يرثونه بالقصائد وينشرونها بالبلاد.

١٩٠ يقصد بـكلب الروم سيدهم؛ فإنه يفتدي أسراه.

١٩١ الاستفهام في أضحو للشجب المتولد عن التوبيخ، يقول: إنهم يرجعون إلي في أسراهم، وأنت لا ترجع إليهم في خلاصي.

١٩٢ غير ملهد: لا دليل ولا ضعيف.

١٩٣ طول النجاد كناية عن طول القامة، ورحب المقلد: كناية عن سعة ما بين المنكبين وهو دليل الشجاعة.

فَتَى غير مردود اللسان ولا اليدِ
ويضربُ عنكم بالحُسام المهنَّدِ
رمانِي بنصلي صائبِ النحرِ مُقصدِ^{١٩٤}
لأوردها في نصره كل مَوردِ
بسبعينَ فيها كل أشأمِ أنكدِ^{١٩٥}
ولا وأبي ما سيِّدانِ كسيِّدِ
فترفعه الأيامِ رَقَعًا بِمِسرِّ^{١٩٦}
وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي أهديتني كل مقصدِ
مشيت إليها فوق أعناقِ حُسدي
لقد أخلقتُ تلك الثيابُ فجدِّ^{١٩٧}
وفيكِ شربتُ الموتَ غيرَ مصرِّدِ^{١٩٨}
شديد على الإنسانِ ما لم يُعودِ^{١٩٩}
شهدتُ له في الخيلِ الأَمَّ مشهدِ
هي الطعنُ أو بنيانُ غيرِ مشيدِ
وأن المنايا السُّودِ يرمين عن يدِ
ويُفديك منا سيِّدُ بعد سيِّدِ
مرادي من الدنيا وحظِّي ومقصدي

فإن تفتدوني تفتدوا لِعلاكم
يطاعنُ عن أحسابكم بِلِسانه
أقْلني أقْلني عثرة الدهرِ إنه
ولو لم تنلُ نفسي ولاءك لم أكنُ
ولا كنت ألقى الألفَ زُرْقًا عيونُها
فلا وأبي ما ساعدانِ كساعِدِ
ولا وأبي ما يفتقُ الدهرِ جانبًا
وإنك للمولى الذي بك أفتدي
وأنت الذي عرَّفْتني طرُقَ العلا
وأنت الذي بلَّغْتني كلَّ رتبةِ
فيا مُلبسِ النُّعْمِ التي جلَّ قدرُها
ألم تر أني فيكِ صافحتُ حدَّها
يقولون جانبُ عادةٍ ما عرفتها
فقلت: أما والله ما قال قائلُ
ولكن سألقاها فإمَّا مَنِيَّةُ
ولم أدر أن الدهرَ من عدَدِ العدا
بقيتَ على الأيامِ تحمي بنا الرِّدى
فلا يحرمني اللهُ قربكِ إنه

^{١٩٤} المقصد: اسم فاعل من أقصد السهم، إذا أصاب فقتل.

^{١٩٥} يقول: لولا ولاؤك ما كنت ألقى ألفًا من النصارى بسبعين رجلٍ فيهم كل أشأم على الأعداء أنكد.

^{١٩٦} يقصد أن شأن الدهر تغيير الأحوال، فإذا فتق من جانب رقع من آخر.

^{١٩٧} أخلقت: بليت، يخاطب سيف الدولة أنك ألبستني ثوب نِعَمِ جليلة القدر، لكنها قدمت وبليت، فجدَّها

بنعمة الخلاص من الأسر.

^{١٩٨} غير مصرِّد: أي: غير مفعول، من صرَّده أي سقاه دون الرِّي.

^{١٩٩} جانبُ بمعنى: قارب.

وقال وقد ثقل من الجراح التي نالته، ويئس من نفسه وكتبَ بها إلى والدته يُعزِّيها:

مصابي جليلٌ والعزاء جليلٌ جراحٌ تحامها الأساءة مخافةً وأسرٌ أقاسيه وليل نجومه تطولُ بي الساعات وهي قصيرةٌ تناساني الأصحاب إلا عُصيبةً وأن الذي يبقى على العهد منهم أقلُّ طرفي لا أرى غيرَ صاحب ومنها نرى أن المتارك محسنٌ تصفحت أقوال الرجال فلم يكن أكلُّ خليل أنكدُ غيرُ منصفٍ نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً وفارق عمرو بن الزبير خليله فيا حسرتي من لي بخلٌ موافق وأن وراء السُّتر أمًّا بكاؤها فيا أمنا لا تخطئي الأجر إنه أما لك في ذات النطاقين أسوةٌ أراد ابنها أخذ الأمان فلم يُجب	وظني بأن الله سوف يزيلُ وسُقمان بادٍ منهما ودخيلٌ ^{٢٠٠} أرى كل شيء غيرهنَّ يزولُ وفي كل دهرٍ لا يسرك طولُ ستلحق بالأخرى غداً وتحولُ ^{٢٠١} وإن كثرت دعواهم لقليلُ يميل مع النعماء حيث تميلُ وأن خليلاً لا يضُرُّ خليلُ ^{٢٠٢} إلى غير شكٍ في الزمان وصولُ وكل زمانٍ بالكرام بخيلُ أجاب إليها عالمٌ وجهولُ وخلى أمير المؤمنين عقيلُ ^{٢٠٣} أقول بشجوي تارةً ويقولُ عليّ وإن طال الزمان طويلُ على قدر الصبر الجميل جزيلُ ^{٢٠٤} بمكةً والحربُ العوان تجولُ؟ ^{٢٠٥} وتعلمُ علمًا إنه لقتيلُ
---	---

^{٢٠٠} التَّحامي: التجنب. والأساءة جمع آيس، وهو الطبيب، والدخيل: الداخل من البدن.

^{٢٠١} أراد عُصيبة سيف الدولة، مصغرٌ عُصبة بالتحريك، وهي قرابة الرجل لأبيه، والتصغير هنا للتحبُّب.

^{٢٠٢} يعني لما لم أجد صاحبًا وفيًا؛ صرت أعد الذي يترك محسنًا، والخليل الذي لا يضُرُّ هو الذي يعد خليلًا.

^{٢٠٣} يعني: هذا شأنُ الدنيا وأهلها من عدم البقاء على الصحة، كما في قصة عمرو بن الزبير مع خليله، وتخلية أمير المؤمنين سيف الدولة قبيلة عقيل الذين قادم ندى بن جعفر، كما ذكر سابقًا.

^{٢٠٤} يقول لأمه: لا تجزعي فيفوتك الأجر؛ لأن الثواب بقدر الصبر على المُصيبة.

^{٢٠٥} ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر، وقصتها في مقتل ابنها عبد الله بن الزبير مشهورة.

تأسّي كفاك الله ما تحذرينه
 وكوني كما كانت بأحدٍ صفيّة
 ولو ردّ يوماً حمزة الخير حزنها
 لقيت نجوم الليل وهي صوارم
 ولم أرع للنفس الكريمة خلّة
 ولكن لقيت الموت حتى تركتها
 ومن لم يوقّ اللّه فهو ممزّق
 ومن لم يرده الله في الأمر كلّه
 فقد غال هذا الدهر قبلك غول^{٢٠٦}
 ولم يُشف منها بالبكاء غليل^{٢٠٧}
 إذن ما عليها رنةٌ وعويل^{٢٠٨}
 وحُضت سواد الليل وهو يهول
 عشيةً لم يعطف عليّ خليل
 وفيها وفي حدّ الحسام فلول
 ومن لم يعزّ اللّه فهو ذليل
 فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

وقال وقد كتب بها إلى سيف الدولة من الطريق، وقد اشتدت به العلة:

هل تعطفان على العليل
 باتت تقلبه الأكد
 فقد الضيوف مكانه
 وتعطلت سمر الرما
 يا فارح الكرب العظيم
 كن يا قويّ لذا الضعيف
 قرّبهُ من سيف الهدى
 لم أرو منه ولا شفي
 الله يعلم أنه
 ولئن حننت إلى ذرا
 لا بالأسير ولا القَتيل
 فُ سحابة الليل الطويل^{٢٠٩}
 وبكته أبناء السبيل^{٢١٠}
 ح وأغمدت بين النُصول^{٢١١}
 م وكاشف الخطب الجليل
 فِ ويا عزيزُ لذا الدليل
 في ظلّ دولته الظليل^{٢١٢}
 ت بطول خدمته غليلي
 أملي من الدنيا وسولي
 ه لقد حننت إلى وُصولي

^{٢٠٦} قال: أهلك، والغول بالضمّ: الهلكة والداهية.

^{٢٠٧} يعني أن صفيّة مع أنها بكت على مقتل أخيها حمزة فقد نالت الأجر بصبرها.

^{٢٠٨} الرنة: الصياح ورفع الصوت، ومثله العويل.

^{٢٠٩} أي: باتت أكفّ الخدم والأطباء تقلّبه طول الليل.

^{٢١٠} يدلّ أنه كان محسناً للضيوف والمارة عليه.

^{٢١١} أي: بعد أن مريض لم يعد من يعطي الرماح والنصول حقّها في الحرب.

^{٢١٢} يتوسّل إلى الله تعالى أن يقوّي ضعفه، ويقربّه من سيف الدولة؛ لأنه لم يشبّع من صحبتته وخدمته.

لا بِالْغَضُوبِ وَلَا الْقَطْوِ بِ وَلَا الْكُذُوبِ وَلَا الْمَلُولِ
يَا عُدَّتِي فِي النَّائِبَا تِ وَظَلَّتِي عِنْدَ الْمَقِيلِ
أَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالذَّمَا مُ وَمَا وَعَدْتُ مِنَ الْجَمِيلِ
احْمَلِ عَلَى النَّفْسِ الْكْرِي مَةَ فِيَّ وَالْقَلْبِ الْحَمُولِ

وقال وكتبَ إلى والدته بمنبيح:

لولا العجوزُ بمنبيحٍ ما خفتُ أسبابَ المنيةِ
ولكانَ لي عمًّا سألكَ ت من الفداِ نفسُ أبيه
لكن أردتُ مرادها ولو انجذبتُ إلى الدنيةِ
وأرى مُحاماتي علي ها أن تُضامَ من الحميةِ
أمسستُ بمنبيحِ حرَّة بالحزنِ من بعدي حريةِ
لو كان يدفعُ حادثُ أو طارقُ بجميلِ نيةِ
لم تطرُقَ نوبُ الحوا دثِ أرضِ هاتيكِ النقيةِ
لكن قضاءَ الله وال أحكامِ تنفذُ في البريةِ
والصبرُ يأتي كلَّ نبي رزءٍ على قدرِ الرزيةِ^{٢١٣}
لا زالَ يطرُقُ منبجًا في كلِ غاديةِ تحيةِ
فيها التقى والدُّينُ مج مُوعانِ في نفسِ زكيةِ
يا أمنا لا تياسِ لله أَلطافُ خفيةِ
كم حادثٌ عنَّا جلا ه وكم كفانا من بليةِ
أوصيكَ بالصبرِ الجمي ل فإِنَّه خيرُ الوصيةِ

وقال وقد كتبَ بها إلى غلامين له، يُقال لهما: ضاف ومنصور يستجفِيهما:

هل يحبان بي رفيقًا رفيقًا يخلصُ الود أو صديقًا صدوقًا^{٢١٤}
كنتُ مولاكما وما كنتُ إلا والدًا محسنًا وعمًّا شفيقًا

^{٢١٣} يعني أن الله يبعثُ بالصبرِ لكل نبي مصيبة على قدر تلك المصيبة.

^{٢١٤} الرفيقُ الأوَّل من الرِّفاقة، بمعنى الصحبة، والرفيقُ الثاني بمعنى الرِّحمة.

فانذُراني وكيف لا تذاكُراني كلما استخونَ الصديقَ الصديقا
بتُّ أبكيكُما وإنَّ عجيبًا أن يبيتَ الأسيرَ يبكي الطليقا

وقال وقد كتب بها إلى غلامه منصور أيضًا:

مُغرم مؤلم جريحُ أسيرٍ إنَّ قلبًا يطيقُ ذا لصبورٍ
وكثيرٌ من الرِّجالِ حديدٌ وكثيرٌ من الرجالِ صخورٍ
قل لمن حلَّ بالشَّامِ طليقًا بأبي قلبك الطليقُ الأسيرُ
أنا أصبحتُ لا أطيقُ حراكًا كيف أصبحتَ أنتَ يا منصورُ؟

وقال وقد كتب بها إلى سيف الدولة:

أما لجميل عندكُ ثوابُ ولا لمسيءٍ عندكُن متابُ^{٢١٥}
لقد ضلُّ من تحوي هواه خريدةُ وقد ذلُّ من تقضي عليه كعابُ^{٢١٦}
ولكنني والحمد لله حازمٌ أعزُّ إذا ذلتَ لهنَّ رقابُ
ولا تملك الحسناءُ قلبي كلَّه وإن ملكتها روقةٌ وشبابُ^{٢١٧}
وأجري ولا أعطي الهوى فضلَ سؤدي وأهدى ولا يخفى عليَّ صوابُ
إذا الخلُّ لم يهجرُك إلا مَلالةُ فليس له إلا الفراقُ عتابُ
إذا لم أجدُ في بلدةٍ ما أريدُه فعندي لأخرى عزيمةٌ وركابُ^{٢١٨}
فليس فراقُ ما استطعتَ فإن يَكُن فراقُ على حالٍ فليس إيابُ^{٢١٩}
صبور ولو لم تبقَ مني بقيةُ قئولٌ ولو أن السيوفُ جوابُ

^{٢١٥} أي أليس للجميل السابق عندكُ جزاءٌ، وليس عندكُ للمسيءِ إذا تاب قبولُ توبته.

^{٢١٦} الخريدةُ: البكر التي لم تُمسَّ، والكعاب: البنت التي بدأ تديهاها.

^{٢١٧} الروقة: حسنُ المنظر.

^{٢١٨} الرِّكاب: الإبلُ التي يُسار عليها.

^{٢١٩} أي ينبغي أن لا يفارق الإنسانُ أحبَّه، ما دام قادرًا لكن إذا اقتضى أمر الفراق من جانبهم فليفارقهم مؤيدًا.

وللموت حولي جيئةً وذهابٌ ٢٢٠
 بها الصدقُ صدقٌ والكذابُ كذابٌ
 ومن أين للحرِّ الكريمِ صحابٌ
 ذئابًا على أجسادهنَّ ثيابٌ ٢٢١
 بمفرقِ أغبانا حصَى وترابٌ ٢٢٢
 إذن علموا أنني شهدتُ وغابوا
 ولا كلُّ قوَالٍ لديَّ يُجابُ
 كما طنَّ في لوحِ الهجيرِ ذُبابٌ ٢٢٣
 تحكَّمُ في آسادهنَّ كلابٌ
 لديَّ ولا للمُعْتَفِينِ جنابٌ ٢٢٤
 ولا ضُربتُ لي بالعراقِ قِبابٌ ٢٢٥
 ولا لمعتُ لي في الحروبِ حرابٌ
 وكعبٌ على عاداتها وِكِلابٌ ٢٢٦
 ولا دونَ مالي في الحوادثِ بابٌ
 ولا عورتِي للطَّالِبِينَ تصابٌ ٢٢٧
 وأحلمُ عن جهَّالهم وأهابُ
 شداؤُ على غيرِ الهوانِ صلابُ
 إذا فلَّ منه مضربٌ وذُبابٌ ٢٢٨

وقور وأهوال الزَّمانِ تنوشني
 وألحظُ أحوالَ الزمانِ بمُقليةٍ
 بمن يثقُ الإنسانَ فيما ينوبه
 وقد صار هذا الناسُ إلا أقلَّهم
 تغابيتُ عن قومي فظنوا غباوتي
 ولو عرَفوني حقَّ معرفتي بهم
 وما كلُّ فَعَالٍ يُجازي بفعله
 وربُّ كلامٍ مرَّ فوقَ مَسامعي
 إلى الله أشكو أننا بمنازلِ
 تمر الليليالي ليس للنَّفْعِ موضعُ
 ولا شدَّ لي سرج على ظهرِ سابِح
 ولا برقتُ لي في اللقاءِ قواطعُ
 ستذكُرُ أيامي نَميرُ بنِ عامرٍ
 أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهم
 ولا أطلبُ العوراءَ منهم أُصيبها
 وأسطو وحبِّي ثابت في قلوبهم
 بني عمنا لا تتركوا الحربَ إننا
 بني عمنا ما يصنعُ السيفُ بيننا

٢٢٠ تنوشني: تتناولني.

٢٢١ أي كيف يثقُ بالناس وقد صاروا ذئابًا في صورة البشر.

٢٢٢ يقول: تغابيتُ عن قومي فظنوني غيبًا، جعل اللهُ في رأسِ مَنْ كانَ كذلك حصَى وترابًا أي أماتَه.

٢٢٣ الهجير: شدة الحرِّ.

٢٢٤ المعتفون: هم الذين يطلبون الدنيا.

٢٢٥ السابِح: الجواد، والقِباب: الخيام.

٢٢٦ أي أن هذه القبائل ستذكره على أطفائه بها.

٢٢٧ العورة هنا ما يُستحيا به.

٢٢٨ يقول: أي فائدةٌ للسيف إذا كان به فلول وفي حدِّه انثلامٌ.

ويوشك يوماً أن يكون ضرابُ
 حريون أن يقضى له ويهابُ
 أبيتم بني أعمامنا وأجابوا
 رحاب عليّ للعفاة رحابُ^{٢٢٩}
 وأمواله للطالبيين نهاب^{٢٣٠}
 وأظلم في عينيّ منه شهابُ
 وللموت ظفر قد أفلّ ونابُ^{٢٣١}
 ولا نسبٌ دون الرجال قرابُ^{٢٣٢}
 ولي عنك فيه حوطة ومناّبُ
 لنعلم أيّ الخلتين سرابُ^{٢٣٣}
 لديك وما دون الكثير حجابُ
 وذكرى منى في غيره وطلابُ
 ثوابٌ ولا يخشى عليه عقابُ
 وقي كل يوم لقيّة وخطابُ
 وللبحر حولي زخرة وحبابُ^{٢٣٤}
 أثاب بمُرّ العتب حين أثابُ^{٢٣٥}
 وليتك ترضى والأنام غضابُ
 وبينني وبين العالمين خرابُ

بني عمنا نحن السواعد والظُّبَا
 وإن رجلاً ما ابنهم كابن أختهم
 فعن أيّ عذرٍ إن دعوا ودُعيتم
 وما أدعي ما يعلم الله غيره
 وأفعاله بالراغبين كريمة
 ولكن نبا منه بكفي صارم
 وأبطأ عني والمنايا سريعة
 فإن لم يكن ودٌ قريب نعدّه
 فأحوط للإسلام أن لا يُضيعني
 ولكنني راضٍ على كل حالة
 وما زلت أَرْضَى بالقليل محبّةً
 وأطلب إبقاءً على الودّ أرضه
 كذاك الوداد المحض لا يرتجى له
 وقد كنت أَرْضَى الهجر والشملُ جامعُ
 فكيف وفيما بيننا ملك قيصر
 من بعد بذل النفس فيما تريده
 فليتك تحلو والحياة مريرة
 وليت الذي بيني وبينك عامرُ

^{٢٢٩} الرَّحَابُ الأول: جمع رحبة وهي السّاحة، والثاني: بمعنى الواسعة.

^{٢٣٠} النَّهَاب: جمع نهب بالضم، وهو الغنيمة.

^{٢٣١} جعل للموت ظُفراً وناباً على طريق الاستعارة.

^{٢٣٢} يقول لسيف الدولة: إذا لم يكن بيننا ودٌ ولا نسب ولا قرابة؛ فعلى الإسلام أن لا يخسرنى، والحال أن
 في القرابة الإسلامية لي عنك حراسةً ونيابةً.

^{٢٣٣} أراد بالختين: الإضاعةً وعدّمها.

^{٢٣٤} الزخرة من زخر البحر، إذا طمى. وحباب الماء: معظمه وما يعلوه من الفقاقيع.

^{٢٣٥} أي: أجازى بالعتاب المرّ وأنا في حالة تقتضي الرّحمة.

وكتب إليه سيف الدولة يعتذر من تأخر أمره، وتسويفه له فكتب إليه أبو فراس:

بالكره مني واختيارك
يا تاركي إني لشك
كن كيف شئت فإنني
أن لا أكون حليف دارك
رك ما حبيت لغير تارك
ذاك المواسي والمشارك

وكتب إليه من الأسر:

وما كنت أخشى أن أبيت وبيننا
ولا أنني أستصحب الدهر ساعة
ينافسني هذا الزمان وأهله
شريتك من دهرى بذي الناس كلهم
تشوقني الأهل الكرام وأوحشت
وملكتك النفس الكريمة طائعا
وربتما ساد الأمجد ماجد
رفعت عن الحساد نفسي وهل هم
أيدرك ما أدركت إلا ابن همة
يضيق مكاني عن سواي لأنني
سبقت وقومي بالمكارم والعلا
خليجان والبحر الأصم وبالس^{٢٣٦}
ولي منك مناع ودونك حابس
وكل زمان لي عليك منافس
فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخس^{٢٣٧}
مواكب بعدي عندهم ومجالس
وتبذل للمولى النفوس النفائس
وربتما ساد الفوارس فارس^{٢٣٨}
ومن حسدوا لو شئت إلا فرائس
يُمارس في كسب العلا ما يمارس
على قمة المجد المؤئل جالس^{٢٣٩}
وإن رغمت من آخرين المعاطس^{٢٤٠}

٢٣٦ بالس: اسم مكان.

٢٣٧ أي تركت الناس جميعهم للدهر وأخذتك وحدك منه، فلا أنا مغبون في هذا العقد ولا الدهر غابن لي؛

لأنك تساوي جميع الناس.

٢٣٨ يعني كثيرا ما يسود الأمجد ماجد منهم، ويزين الفوارس فارس منهم.

٢٣٩ القمة: بالكسر أعلى الرأس.

٢٤٠ المعاطس: الأنوف.

وقال أيضًا عقبَ الافتداء الذي كان بسببه ما كان:

ولله عندي في الإسار وغيره
حللت عقودًا أعجزَ الناسُ حلَّها
إذا عاينتني الروم قد ذلَّ صيدها
وأوسعُ أيامًا حللتُ كرامةً
وأبلغُ بني عمِّي وأبلغُ بني أبي
وما شاءَ ربي غيرَ نشرِ محاسني
مواهبُ لم يُخصَّصْ بها أحدٌ قبلي
وما زلتُ لا عقدي يدومُ ولا حلِّي
كأنهم أُسرى لديّ بلا كِبَلٍ^{٢٤١}
كأني من أهلي نُقلتُ إلى أهلي^{٢٤٢}
بأني في نعماءٍ يشكرها مثلي
وأن يعرفوا ما قد عرُفتم من الفضلِ

وقال وقد كتبَ بها من الأسرِ إلى سيفِ الدولة:

أبى غربُ هذا الدهرِ إلا تشرُّعا
وكننتُ أرى أني مع الحزمِ واحدٌ
فلما استمرَّ الحبُّ في غلوائه
فحزنيَ حزنُ الهائمينِ مُبرِّحًا
خليليَ لم لا تبكياني صبا بةً
عليّ لمن ضننتُ عليّ جفونهُ
وهبتُ شبابي والشبابُ مَضِنَّةً
أبيتُ معنئى من مخافة عتبه
فلما مضى عصرُ الشَّيْبَةِ كلُّهُ
ومكنونُ هذا الحبِّ إلا تَضوُّعا^{٢٤٣}
إذا شئتُ لي ممضى وإن شئتُ مرجعا
رعبتُ مع المضياعة الغرِّ ما رعى^{٢٤٤}
وسرِّي سرُّ العاشقين مضياعا
أبدلتُما بالأجرع الفردِ أجرعا^{٢٤٥}
غواربُ دمعٍ يشمل الحيَّ أجمعا
لأبلج من أبناء عمِّي أروعا^{٢٤٦}
وأصبحَ محزونًا وأمسي مُروعا^{٢٤٧}
وفارقني شرحُ الشبابِ وودعا

^{٢٤١} الكَبَلُ: القيْدُ، والصَّيْدُ بكسر الصاد: جمع أصيد وهو المَلِكُ.

^{٢٤٢} أي: إنه مكْرَمٌ في أسره عند الرُّوم.

^{٢٤٣} الغرب: الفرَسُ الشديِدُ الجريءُ، والتَضوُّع: الانتشار.

^{٢٤٤} المضياعة: المبالغة في تضييع الشيء. والغر: الذي لم يجزِبِ الأمور.

^{٢٤٥} الأجرع: كَثيبٌ في جانبٍ منه رملٌ، وفي جانبٍ حجارةٌ.

^{٢٤٦} يقول: وهبتُ شبابي — الذي حقُّه أن يُبخلَ به — لواضح الوجه طلقه من أبناء عمي.

^{٢٤٧} يعني أراعي رضاه في جميع أوقاتي.

وحاولت أمراً لا يُرامُ ممَّنَعَا
 تتبَّعْتُهَا بينَ الهُمومِ تتبُّعَا
 وتوجَّني بالشَّيبِ تاجاً مرصَّعَا
 من العيشِ يوماً لم أجدُ فيه موضِعَا
 أسرُّ بها هذا الفؤادَ المَوجَّعَا
 فيصفي لمن أصفى ويرعى لمن رعى^{٢٤٨}
 إذا ما تفرَّقنا حفظتُ وضيَّعَا
 من الناسِ محزوناً ولا متصنَّعَا
 تخوّفتُ من أعمامي العُربِ أربعاً^{٢٤٩}
 لقيتُ من الأحبابِ أدمي وأوجعَا
 رجعتُ إلى ألي وأملتُ أوسعَا
 ومن لم يجدُ إلا القُنوعَ تقنَّعَا^{٢٥٠}
 ولكنَّ يرجي الناسَ أمراً موقَّعَا
 وعرضُ بي تحت الكلامِ وقرعاً^{٢٥١}
 جعلتُك مما رابني الدهرُ مفرَّعَا
 لأورقَ ما بين الضُّلوعِ وفرَّعاً^{٢٥٢}
 أخاك إذا أوضعتَ بالأمرِ أوضَعَا^{٢٥٣}
 تقلدُ إذا جرَّبتَ ما كان أقطعَا
 سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمَّعَا

تطلَّبتُ بينَ الهجرِ والعتبِ فُرجةً
 وصرتُ إذا ما رمتُ في الخيرِ لذةً
 وها أنا قد حلَّ المشيبُ مفارقي
 فلو أنني مُكَّنتُ مما أريدُه
 أما ليلةٌ تمضي ولا بعضُ ليلةٍ
 أما صاحبُ فردٍ يدومُ وفأوُّه
 وفي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أوْدُه
 أقمتُ بأرضِ الرُّومِ عامينِ لا أرى
 إذا خفتُ من أخوالي الرُّومِ خُطَّةً
 وإن أوجعتني من أعاديِّ شيمَّةً
 ولو قد أملتُ اللهَ لا ربَّ غيره
 لقد قنعوا بعدي من القطرِ بالندي
 وما مرَّ إنسانٌ فأخلفَ مثله
 تنكَّرَ سيفُ الدينِ لما عتبته
 فقولاً له يا صادقُ الودِّ إنني
 فلو أنني أكننَّته في جَوانحي
 فلا تغتربَ بالناسِ ما كلُّ مَنْ ترى
 ولا تتقلدُ ما يروقُ جماله
 ولا تقبلنَّ القولَ من كلِّ قائل

^{٢٤٨} أي يدومُ لي وفأوُّه، فيعاملني كما عامله.

^{٢٤٩} الخُطَّة: الطَّريقَةُ والخصلة.

^{٢٥٠} القُنوع بالضم: السؤالُ والتضرع، والرضى بالقسم ضدُّ. والمراد هنا الرضا بالقسم. يقول: لقد قنع قومي بعدي من المطر بالندي.

^{٢٥١} يقول: إن سيف الدولة عرض بي ضمن كلامه، وقرعني: وبَّخني.

^{٢٥٢} يقول: لو أخفيت الودَّ في جَوانحي؛ لأورق وفرَّع.

^{٢٥٣} أوضعه: أطلعه على رأيه.

فله إحسانٌ عليّ ونعمة
أراني طريقَ المكرمات كما أرى
فإن يكُ بطءٌ مرّةً فلطالما
وإن جفَّ في بعض الأمور فإنني
وإن يستجدّ الناس بعدي فلم يزل
ولله صنعٌ قد كفاني التّصنُّعا
عليّ وأسماي على كل من سعى
تسرّع نحوي بالجميل وأسرعاً
لأشكره النُّعمى التي كان أوذعا
بذاك البديلِ المستجدِّ ممّتعاً^{٢٥٤}

وقال وقد سمع ورقاء تنوح على شجرة عالية:

أقول وقد ناحَتْ بقربي حمامةٌ
معادَ الهوى ما ذقتِ طارقةَ النّوى
أيحْمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادمُ
تعالِي تَرِي روحًا لديّ ضعيفَةً
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةً
أيا جارتِي هل باتَ حالُك حالي
ولا خطرَتْ منك الهمومُ ببالي
على عُصنِ نأْيِ المُسافرِ عالي؟^{٢٥٥}
تردّدُ في جسمٍ يعذبُ بالِ^{٢٥٦}
ويسكتُ محزونٌ وينطقُ سأل

وقال في أهل البيت رضي الله عنهم:

لستُ أرجو النجاةَ من كلِّ ما أخُ
وببنتِ الرسولِ فاطمة الطُّه
شاهِ إلا بأحمدٍ وعليّ^{٢٥٧}
رِ وسبطيه والإمامِ عليّ^{٢٥٨}

^{٢٥٤} يقول: وإن جفاني سيفُ الدولة في بعض الأمور؛ فإن له عندي نُعمى سالفة يستحق أن أشكره عليها، وإن جدّد صحبةً أحدٍ بعدي واستبدّله بي؛ فإنه لا يجد مثلي، وإن وجد فإنه لا يزال ممّتعاً به.

^{٢٥٥} يخاطب الحمامة بقوله لها: كيف تكونين محزونة القلب، وأنتِ على عُصن طويل عال.

^{٢٥٦} يقول للحمامة: إذا أردت أن تعرفي حالتي فتعالِي لتري روحًا ضعيفَةً تردّد في جسم معدّب بالٍ من العشق.

^{٢٥٧} أراد بأحمد النّبِي ﷺ وعليّ ابنُ عمه ابنُ أبي طالب (رضه).

^{٢٥٨} وفاطمة الزهراء بنتُ النّبِي، وسبطيه: أي الحسنُ والحسينُ، والإمامِ عليّ.

والتَّقِيَّ النَّقِيَّ باقِرِ عِلْمِ اللّهِ
 وأبِي جَعْفَرٍ سَمِيِّ رَسولِ اللّهِ
 وابْنِهِ العَسْكَرِيِّ والقائِمِ المُظْ-
 فِيهِمْ أرتَجِي بِلوَعِ الأمانِي

فينا مُحَمَّدِ بِنِ عَلِيٍّ ٢٥٩
 ثم ابْنِهِ الذَّكِيِّ عَلِيٍّ ٢٦٠
 هِرِ حَقِّي مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ
 يَوْمَ عَرَضِي عَلَى الإِلهِ العَلِيِّ

وقال يفتخرُ:

إلى اللّهِ أَشْكَو ما أَرَى من عَشِيرَةٍ
 وإنا لَيَثْنِينا عواطِفُ حَلِمِنا
 وَيَمْنَعُنا ظِلْمُ العَشِيرَةِ أَنا
 وإنا إِذا شِئْنا بَعادَ قَبيلَةٍ
 ولو عَرَفْتُ هذِي العِشائِرُ رَشَدَها
 وَلَكِنْ أراها أَصْلَحَ اللّهِ أَمْرَها
 إلى كَم نَرُدُّ البِيضَ عَنا صواذِيا
 وَيغْلِبُ بِالْحَلِمِ الحَمِيَةَ فِيهِمْ
 أَخافُ على نَفْسي وللحَرْبِ صُورَةٍ
 وَجولَةٍ حَرْبٍ يَهْلِكُ الحَلْمُ عَندَها
 وإنا لَنرْمِي الجَهْلَ بِالْجَهْلِ قُوَّةً

إِذا ما نأونا زادَ حالَهُمُ بَعدا
 عَلِيَهُمُ وَإِنْ ساءَتْ طرائِقُهُمُ حَدًّا
 إلى ضَرِّها لو نَبْتَغِي ضَرَّها أَهْدَى
 جَعَلْنا عِجالًا دُونَ بَعْدَهُم نَجْدًا ٢٦١
 إِذْنا جَعَلْنا دُونَ أَعْدائِها رَدًّا
 وَأخْلَفْها بِالرِشْدِ قَدِ عَدِمَتْ رُشْدا
 وَنَثْنِي صَدورَ الخيلِ قَدِ مَلُئَتْ حِقْدًا ٢٦٢
 وَنَرعى رِجالًا لَيْسَ نَرعى لَهُمُ عَهْدًا
 بوادِرِ أَمْرٍ لا نُطِيقُ لَها رَدًّا ٢٦٣
 وَصورةً بأَسِّ تَجْمَعُ الحَرَّ وَالعَبْدا
 إِذا لَمْ نَجِدْ مِنْهُ على حالِهِ بُدًّا

٢٥٩ هو عليُّ بنُ الحسينِ زينِ العابدينِ، والباقرُ هو محمد بن عليٍّ وسمي بالباقر؛ لأنَّه بقرَ العلمَ، وفيه قالَ القُرطبي:

يا باقرَ العلمِ لأهلِ التَّقَى وخيرَ مَنْ لَبَّى على الجَبَلِ

٢٦٠ هو أبو جعفرٍ مُحَمَّدُ الصادِقِ، وابْنُهُ كانَ يلقَّبُ بالذَّكِيِّ.

٢٦١ أي: إِذا أَرَدْنا إِبعادَ قَبيلَةٍ أَبْعَدْناها بِسُرْعَةٍ؛ حَتى تَكُونَ نَجْدًا أَقْرَبَ مِنْها وَمِنْ أَهلِها.

٢٦٢ أي: إلى مَتى نَصَبُ مَع مَقْدِرَتِنا على الانْتِقامِ، وسيوفُنا مَتَعَطِشَةٌ إلى شَرَبِ الدِّماءِ وامتَلأتْ خيولُنا حَقْدًا عَلِيَهُم.

٢٦٣ يقول: أَخافُ أَنْ لا أَمْلِكُ نَفْسي وَفِيها لِلحَرْبِ بوادِرُ بِطِيشٍ لا يُمَكِّنُ رُدَّها.

وقال في الغزل:

أَقْبَلْتُ كَالْبَدْرِ تَسْعَى غَلَسًا نَحْوِي بَرَاحٍ^{٢٦٤}
قَلْتُ أَهْلًا بِفَتَاةٍ حَمَلْتُ نَوْرَ الصَّبَاحِ^{٢٦٥}
عَلِّي بِالكَأْسِ مَنْ أَصُّ بَحَ مِنْهَا غَيْرِ صَاحٍ

وقال في الغزل أيضًا:

مَا لِلْعَبِيدِ مِنَ الَّذِي يَقْضِي بِهِ اللُّهُ امْتِنَاعُ
دُدْتُ الْأَسْوَدَ عَنِ الْفَرَا نَسِ ثُمَّ تَفْرَسُنِي الضَّبَاعُ^{٢٦٦}

وقال متغزلًا:

الْحَزْنُ مَجْتَمَعٌ وَالصَّبْرُ مَفْتَرِقُ وَالْحَبُّ مُخْتَلَفٌ عِنْدِي وَمَتَّقُ
وَلِي إِذَا قَامَ عَيْنٌ نَامَ صَاحِبُهَا عَيْنٌ تَخَالَفَ فِيهَا الدَّمْعُ وَالْأَرْقُ^{٢٦٧}
لَوْلَاكَ يَا ظَبِيَّةَ الْإِنْسِ الَّتِي نَظَرْتُ لِأَوْصَلْتَنِي إِلَى مَكْرُوهِِي الْحَدَقُ^{٢٦٨}
لَكِنْ نَظَرْتُ وَقَدْ سَارَ الْخَلِيطُ ضُحَى بِنَاظِرٍ كُلِّ حَسَنِ مِنْهُ مَسْتَرِقُ^{٢٦٩}

وقال أيضًا معرّضًا بسيف الدولة:

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَرْتَ بِفِرَاقِنَا يَدُ الدَّهْرِ حَتَّى قَيْلَ مَنْ هُوَ حَارْتُ
يَذْكَرُنِي بَعْدَ الْفِرَاقِ عَهْوَدَهُ وَتَلِكْ عَهودِ قَدْ بَلِيْنَ رِثَائْتُ

^{٢٦٤} الغلَس: قبيل الصبح.

^{٢٦٥} كناية عن حَمْرٍ مشعشة.

^{٢٦٦} دُدْتُ أي: منعت، والفرائس: التي تفترس، والضباع هنا نجومٌ شبه بها حباته.

^{٢٦٧} العين الأولى بمعنى الذات، عبارة عن المحبوبة. والعين الثانية بمعنى الباصرة والأرق سهل الليل.

^{٢٦٨} يقول: لولاك يا محبوبتي لما أوقعنتني الحدق فيما أكرهه، فالحدق جمع حدقة العين.

^{٢٦٩} الخليط: الشريك والطريق والزوج وابن العم، والذين أمرهم واحد.

وكتب إليه من الأسر:

إن في الأسر لصبًا دمعه للحد صبُّ ٢٧٠
هو بالروم مقيمٌ وبه بالشام قلبُ
مستجدًا لم يصادفُ عَوْضًا عمّن يحبُّ

وقال، وكتب بها إلى سيف الدولة من الأسر، وكان بلغ سيف الدولة أن بعض الأسرى قال: إن ثقل على الأمير هذا المال كاتبتنا صاحب خراسان، فاتهم أبا فراس بهذا القول، وقال: «من أين يعرفه صاحب خراسان؟»:

أسيف الهدى وقريع العرب إلام الجفاء وفيم الغضب؟ ٢٧١
وما بال كنتك قد أصبحت تنكبني مع هذي النكب؟ ٢٧٢
وأنت الحليم وأنت الكريم وأنت العطوف وأنت الحرب ٢٧٣
وما زلت تسعفني بالجميل وتُنزلني بالمكان الخصب
وتدفع عن عاتقي الخطوب وتكشف عن ناظري الكرب
وإنك للجبل المشمخ رِّ لي بلِّ لقومك بلِّ للعرب ٢٧٤
علاً تُستفاد وعافٍ يُفادُ وعز يُشاد ونعمى تُرب ٢٧٥
وما غص مني هذا الإسارُ ولكن خلصت خلوص الذهب ٢٧٦
ففيمَ يقرعني بالخمول مولى به نلتُ أعلى الرتب
وكان عتيدًا لديّ الجوابُ ولكن لهيبته لم أجب ٢٧٧

٢٧٠ صبُّ أي: مصبوب.

٢٧١ القريع: المختار والسيد.

٢٧٢ تنكبني: تبعدني وتلحيني.

٢٧٣ الحرب: الشجاع.

٢٧٤ المشمخ: المتكبر.

٢٧٥ العافي: الفقير.

٢٧٦ غص: نقص.

٢٧٧ العتيد: الحاضر المهيأ.

أَتُنَكِّرُ أَنِي شَكُوتُ الزَّمَانَ
فَأَلَّا رَجَعْتَ فَأَعْتَبْتَنِي
فَلا تَنسِبَنَّ إِلَيَّ الخَمُولَ
وَأَصْبَحْتُ مِنْكَ فَإِنْ كَانَ فَضْلُ
فَإِنَّ خِرَاسَانَ إِن أَنْكَرْتُ
وَمَنْ أَيْنَ يُنَكِّرُنِي الأَبْعَدُونَ
أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَسْرَةٍ
وَدَاؤُ تَنَاسَبَ فِيهِ الكِرَامُ
وَنَفْسٌ تَكَبَّرُ إِلا عَلِيكَ
فَلا تَعْدِلَنَّ فِدَاكَ ابْنَ عَمِّ
وَأَنْصَفْ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ
فَكُنْتَ الحَبِيبَ وَكُنْتَ القَرِيبَ
فَلَمَّا بَعَدْتَ بَدَتْ جَفْوَةٌ
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ فِيكَ ذَا خَبِيرَةٍ

وَأَنِي عَتَبْتَكَ فَيَمُنْ عَتَبُ
وَصِيرْتَ لِي القَوْلَ بِي وَالقَلْبُ
عَلَيْكَ أَقَمْتُ فَلَمْ أَغْتَرِبُ
وَإِنْ كَانَ نَقْصُ فَأَنْتَ السَّبَبُ
عُلَايَ فَقَدْ عَرَفْتَهَا حَلَبُ
أَمِنْ نَقْصٍ جَدُّ أَمِنْ نَقْصِ أَبٍ؟
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ عِرْقُ النَسَبِ؟
وَتَرْبِيَةٌ وَمَحَلُّ أَشْبُ^{٢٧٨}
وَتَرْغَبُ إِلاكَ عَمِنْ رَغْبُ
كَ لا بَلْ غَلَامُكَ عَمَّا يَجِبُ
مِنْ الفَضْلِ وَالشَّرَفِ المَكْتَسَبُ
لِيَالِي أَدْعُوكَ مِنْ عَن كَثْبُ^{٢٧٩}
وَلَاخَ مِنَ الأَمْرِ مَا لا أَحِبُ
لَقَلْتُ: صَدِيقُكَ مِنْ لا يُغِبُ^{٢٨٠}

وكتب إلى سيف الدولة من الأسر:

زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتَبُ
وَعَيْشُ العَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلُ
وَأَنْتَ وَأَنْتَ دَافِعُ كُلِّ خَطْبِ
إِلَى كَمِ ذَا العِتَابِ وَليس جُرْمُ

وَأَنْتَ عَلَيَّ وَالْأَيَّامُ إِلبُ^{٢٨١}
وَعَيْشِي وَحَدَهُ بِفَنَّاكَ صَعْبُ
مِنَ الخَطْبِ المُلَمِّ عَلَيَّ خَطْبُ^{٢٨٢}
وَكَمِ ذَا الاعْتِذَارُ وَليس ذَنْبُ^{٢٨٣}

^{٢٧٨} الأَشْبُ: الاختلاط والالتفات وفي حديث، أي: مكتوم بيني وبينك، أشب؛ أي: حبل ملتفة.

^{٢٧٩} الكَثْبُ: القُرب.

^{٢٨٠} يقال: أَعْبَهُ إِذَا زَارَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً، أَوْ كُلِّ يَوْمَيْنِ مَرَّةً.

^{٢٨١} الإلبُ بالكسر: الفتن والبلايا.

^{٢٨٢} يعني مع أنك تدفع البلايا عن الناس، فأنت عليّ بليّة.

^{٢٨٣} أي: إلى كم تُعاتبني على غير جرمٍ مني، وأنا أعتذرُ إليك ولا ذنبَ لي لأعتذر منه.

فلا بالشام لذَّ بفيِّ شهْدُ
فلا تحملُ على قلب جريحٍ
ومثلي تقبلُ الأيامُ فيه
جَناني ما علمت ولي لسانُ
ورندي وهو زندكُ ليس يكبو
وفرعي فرعك السَّامي المعلَى
لإسماعيلَ بي وبنيه فخرُ
وأعمامي رببعةٌ وهي صيدُ
وفصلي تعجز الفضلاءُ عنه
فدتُ نفسي الأميرَ وكان حظي
فلما حالتِ الأعداءُ دُوني
ظلمتَ تبدلُ الأقوامَ بعدي
فقلُ ما شئتَ فيَّ فلي لسانُ
فقابلني بإنصافٍ وظلمٍ

ولا في الأسر رَقَّ عليَّ قلبُ
به لحوادِثِ الأيامِ ندبُ^{٢٨٤}
ومثلكُ يستمرُّ عليه كذبُ
يقدُّ الدرْعَ والإنسانَ عضبُ^{٢٨٥}
وناري وهي ناركُ ليس تخبو^{٢٨٦}
وأصلي أصلُك الزاكي وحسبُ
وفي إسحقَ بي وبنيه عجبُ
وأخوالي بتصفر وهي غلبُ^{٢٨٧}
لأنك أصلُه والمجد تربُ^{٢٨٨}
وقولي عنده ما دام قرْبُ
وأصبحَ بيننا بحرٌ ودربُ
ويبلغني اعتيابُ ما يغبُ^{٢٨٩}
مليُّ بالثناء عليك رطبُ
تجدني في الجميع كما تحبُ

وقال لما لقي سيف الدولة بني كلاب:

عجبتُ وقد لقيتُ بني كلاب
وكيف رددتُ غربَ الجيشِ عنهم

وأرواحُ الفوارس تُستباحُ
وقد أخذتُ مأخذها الرماحُ^{٢٩٠}

^{٢٨٤} النَّدْبُ: أثارُ الجرح الباقي بعد اندماله.

^{٢٨٥} عضبٌ نعتٌ لسان؛ أي: لي لسانٌ كالسيفِ يقدُّ الدرْعَ ومَنْ فيه.

^{٢٨٦} ليس تخبو أي لا انطفأ لها.

^{٢٨٧} الصَّيْدُ: السادة، والغلب: ج أغلب وهو الغليظ الرقبة.

^{٢٨٨} التَّربُّ بالكسر المساوي لك في العمر.

^{٢٨٩} يقول: لما حالتِ الأعداءُ بيني وبين سيف الدولة، وطالتُ بيننا مسافةُ البحر والدَّربِ اتخذتُ بدلاً بعدي،

وليبلغني عنك اعتيابُ لي لا ينقطع، وفي قوله: ظللتُ التفاتُ من الغيبةِ إلى الخطابِ.

^{٢٩٠} غَرَبُ الجيشِ: حدَّته ونشاطه.

ديوان أبي فراس الحمداني

قال ابن خالويه: كان بين القاضي أبي حصين بن عبد الملك وبين أبي فراس مودةً أكيدة ومكاتبات بالشعر، وكان واسع العطاء والمروءة شديد التمكن من سيف الدولة مجاوراً عنده في الأندلس وفي الأهل والولد، فمن ظريف ما قال فيه:

أيقنتُ أني ما حييـــــــــــــــــ
تُ رهينَ أمرِ الحارثِ ٢٩١
فإذا المنيةُ أشرفتُ
أورثتُ ذلك وارثي
من بعدِ سيِّدنا الأميـــــــــ
رٍ وليس ذاك لثالثِ

قال أبو فراس: فما أمكنني أن آتي على وزن هذه القافية بشعر أرضاه، فأجيبته على غيرها وكتبتُ إليه في غرضٍ وقد عارضتهُ إلى بالس؛ ليكون الاجتماع بها:

لئن جمعتنا غدوةً دارٌ بالس
فإن لها عندي يدًا لا أضيعها
أحبُّ بلادَ الله أرضُ تحلُّها
إليّ ودارٌ تحتويك ربوعها
أفي كل يومٍ رحلةً بعد رحلةٍ
تُجرِّع نفسي حسرةً وتروِّعها
فلي أبدًا قلبٌ كثيرٌ نزاعه
ولي أبدًا نفسٌ قليلٌ نزوعها ٢٩٢
لحي الله قلبًا لا يهيمُ صبايةً
إليك وعينًا لا تفيضُ دموعها

وكتب إليه، وقد أسر ابنه أبو القاسم وفدى ابنه أبو محمد:

يا قرحُ لم يندملِ الأوَّلُ
فهلُّ بقلبي لكما محملُ
جرحانٍ في جسمٍ ضعيفِ القوَى
حيثُ أصابا فهو المقتلُ ٢٩٣
لا تعدمنَّ الصبرُ في حالةٍ
ولا يرمك الخلفُ الأوَّلُ
وعشت في عزٍّ وفي منعةٍ
وجَدك المقتبلُ المقبلُ ٢٩٤

٢٩١ أراد بالحارثِ أبا فراس.

٢٩٢ النزاع: الاشتياق، والنزوع الانتهاه.

٢٩٣ يخاطبُ القرح الموجود في قلبه؛ أنه لم يندمل الجرح الأوَّل، حتى أصابه جرحٌ آخر، فكيف يحملُ هذين الجرحين وكلُّ واحدٍ منهما يُقتل.

٢٩٤ أراد بالجدِّ بالفتح البخت.

وكتب إلى أبي حصين من الأسر:

كيف السبيلُ إلى طيفٍ تزاوره
 الحبُّ أمرُه والصونُ زاجرُه
 أنا الفتى إن صبا أو شفه غزلُّ
 ما بالٍ ليلي لا تسري كواكبُه
 من لا ينامُ فلا صبرٌ يوازُرُه
 إنَّ الحبيبَ الذي هامَ الفؤادُ به
 ما أنسَ لا أنسَ يومَ البينِ موقِفنا
 وقولها ودموعُ العينِ واكفةُ
 هل أنتِ يا رفقةَ العُشاقِ مُخبرتي
 وهل رأيتَ أمامَ الحيِّ جاريةً
 وأنتِ يا راكبًا يُزجي مطيَّتهُ
 إذا وصلتَ فعرضَ بي وقلْ لهمُ
 ما أعجبَ الحبَّ يمشي طوعَ جاريةٍ
 ويتَّقِي الحيِّ مفجأةً وغايتهُ
 أبا حصينَ وخيرُ القولِ أصدقُه
 أين الخليلُ الذي يُرضيك باطنُه
 والنومُ في جملةِ الأحبابِ هاجرُه^{٢٩٥}
 والصبرُ أولُ ما يأتي وأخرُه^{٢٩٦}
 فللعفافِ وللتقوى مآزرُه^{٢٩٧}
 وطيفُ ميَّةٍ لا يعتادُ زائرُه
 ولا خيالٍ على شحطٍ يُوازُرُه^{٢٩٨}
 ينامُ عن طولِ ليلٍ أنتِ ساهرُه
 والشوقُ ينهَى البُكا عني ويأمرُه
 هذا الفراقُ الذي كنا نحاذِرُه
 عن الخليلِ الذي زُمتَ أباعرُه^{٢٩٩}
 كالجؤذرِ الفردِ تقفوه جآذرُه^{٣٠٠}
 يستطرُقُ الحيَّ ليلاً أو يباكرُه^{٣٠١}
 هل واعدَ الوعدَ يومَ السَّيرِ ناكرُه
 في الحيِّ من عجزتَ عنه مشاعرُه^{٣٠٢}
 كيف الوصولُ إذا ما نامَ ساهرُه^{٣٠٣}
 أنتِ الصديقُ الذي طابتْ مخابِرُه
 من الخليلِ الذي يُرضيك ظاهرُه

^{٢٩٥} يقول: كيف السبيلُ إلى طيفٍ ترجوُ زيارتهُ، وأنتِ لا تنامِ والطيفُ لا يكون إلا في المنامِ.

^{٢٩٦} أي: إن الحبَّ يأمرُه بالوصولِ والصيانةُ تزجرُه عنه، والصبرُ لازمٌ في أولِ الحبِّ وأخره.

^{٢٩٧} أي إن أحبُّ أو أضناه شوقُه إلى محادثةِ الأحبةِ، فمآزرُه العفافُ والتقوى.

^{٢٩٨} الشحط: البُعد.

^{٢٩٩} زمت: تقدّمت للسَّيرِ يخاطبُ رفاقه من العشاق؛ ليخبروه عن حالِ الفريقِ الذين تقدّمت جِمالهم.

^{٣٠٠} الجؤذر: ولدُ البقرة.

^{٣٠١} يُزجي: يسوقُ، ويستطرُقُ: ينزلُ عندهم ليلاً أو بكرة.

^{٣٠٢} المشاعر: الحواس.

^{٣٠٣} أي: يخاف من طُروقِ الحيِّ بَغْتهُ، فيحتال بكيفيةِ الوصولِ إلى الحيِّ بعد نومِ الساهرِ فيه.

أما الكتابُ فإنني لستُ أذكره
يجري الجُمان كما يجري الجُمان به
والطرفُ ينظرُ فيما خطَّ كاتبُه
وإن جلستَ أمامَ الحيِّ أقرؤهُ
من كان مثلي فالدنيا له وطن
وما تمدُّ إلى الإطناب في بلدٍ
وكيف ينتصفُ الأعداء من رجلٍ
ومن سعيد بن حمدانٍ ولادتهُ
لقد فقدتُ أبي طفلاً وكان أبي
هو ابن عمي ديناً حين أنسبه
ما زال لي نجوةً مما أحاذره
يا أيها العاذلُ المرجو إنابتهُ
لا تشعلنَّ فما تدري بحرقتهِ
وراحلٍ أوحش الدنيا برحلتِهِ
هل أنت مبلغةُ عني بأنَّ له
وإنني مَن صفتُ منه سرائرهُ
وما أخوك الذي يدنو به نسبُ
وإنني واصلُ مَن أنت واصلهُ
ولست واجدُ شيء أنت عادمهُ
وإني كتابك مطويًّا على ثقة

ألا تبادر من عيني بوأيره
وينثر الدرُّ فوق الدرِّ نائره^{٣٠٤}
والسمعُ ينعمُ فيما قال شاعرهُ
در الخرائد لا تفني جواهره^{٣٠٥}
وكل قومٍ غدا فيه عشائرهُ
إلا تضعضع باديه وحاضرهُ
العزُّ أوله والمجد آخره
ومن عليّ بن عبد الله سائرهُ
من الرجال كريمُ العود ناضره^{٣٠٦}
لكنه لي مولى لا أناكره
لا زال في نجوةٍ مما يحاذره^{٣٠٧}
والحب قد نشبت فيه أظافرهُ
أأنت عاذله أم أنت عاذره
وإن غدا معه قلبي يُسائرهُ
وداً تمكّن في قلبي يجايرهُ
وصحَّ باطنه منه وظاهرهُ
لكن أخوك الذي تصفو ضمائرهُ
وإنني هاجرٌ مَن أنت هاجرهُ
ولست غائبٌ شيء أنت حاضرهُ^{٣٠٨}
يحار سامعه فيها وناطره

^{٣٠٤} الجُمان: جمع جُمانه، وهي حبةٌ تعمل من الفضة والدر اللؤلؤ، وأراد بالجمان الثاني والدرُّ الثاني صفحاتٍ خديّه.

^{٣٠٥} الخرائد: جمع خريدة، وهي البكرة التي لم تَمَسْ، فإنهنَّ لا يقتنبن إلا أنفس الدر عادة.

^{٣٠٦} يقول: فقدتُ أبي وأنا صغير، فكان سيف الدولة لي أباً كريم الأصل.

^{٣٠٧} أي لا زال لي ملجأً ومُنجياً مما أخافه، ولا زال في ملجأٍ ومنجى مما يخافه.

^{٣٠٨} يقول: لا فرق بيني وبينك فكل ما وجد عندي فهو لك وكل ما حضر عندك فهو لي كأنهما شيء واحد.

أنا الذي لا يصيب الدهر عزته
فمن سعيد بن حمدان ولادته
القائل الفاعل المأمون نبوته
بنى لنا العز مرفوعاً دعائمه
فما فضائلنا إلا فضائله
وإنما وقت الدنيا موقتتها
هذا كتاب مشوق القلب مكتئب
وقد سمحت غداة البين مبتدئاً
بقيت ما غردت ورق الحمام وما أسد
حتى تبلغ أقصى ما تؤمّله

ولا يببت على خوف مجاوره
ومن علي بن عبد الله سائره^{٣٠٩}
والسيد الذائد الميمون طائره^{٣١٠}
وشيد المجد مشتدًا مرائره^{٣١١}
ولا مفاخرنا إلا مفاخره
منه وعمّر في الإسلام عامره
لم يأل ناظمه جهداً وناثره
من الجواب بوعد أنت ذاكره
تهلّ من واكف الوسمي باكره^{٣١٢}
من الأمور وتكفي ما تحاذره

وأنشد القاضي أبو حصين أبا فراس شعراً فاستحسنه، وأنشده أبو فراس شعراً فاستجاده، فقال أبو فراس:

من بحر شعرك أترف
أنشدتني فكأنما
شعراً إذا ما قستّه
قصرن دون مداه تق
وبفضل علمك أترف
شقت عن در صدق
بجميع أشعار السلف
صير الحروف عن الألف

فأخذ القاضي الجواب فكتب إليه أبو فراس:

ويد يراها الدهر غير نميمة
تمحو إساءته إليّ وتغفر^{٣١٣}

^{٣٠٩} هذا البيت تكرّر في هذه القصيدة، وربما كان من الكتاب.

^{٣١٠} النبوة من نبا السيف إذا لم يعدّ يقطع. والذائد بمعنى الحامي.

^{٣١١} المرائر: جمع مرة وهي القوة والعقل، وإثباته للمجد.

^{٣١٢} الوسمي من أوصاف المطر، كأنه يسم الأرض بوقوعه، وهو أول ما يقع، والوئي من المطر الذي يليه.

^{٣١٣} اليد بمعنى النعمة.

أهدى إليّ مودّةً من صاحبٍ تزكو المودّةُ في ثراه وتُثمِرُ
عَلِقْتُ يَدِي مِنْهُ بِعَلِقِ مَضْنَةٍ مما يسانُ على الزمانِ ويُدخِرُ^{٣١٤}
لكنني من بعد أمري عاتبٌ والحرُّ يحتملُ الصديقَ ويصبرُ
وإذا وُجِدْتُ مع الصديقِ شكوتُهُ سرًّا إليه وفي المحافلِ أشكرُ
ما بالُ شعري لا يجيءُ جوابُهُ سحبانٌ عندك باقلُ لا أعذرُ

وكتب إليه أبو فراس، وقد عزم على المسير إلى الرّقة:

يا طول شوقي إن كان الرحيلُ غداً لا فرّق الله فيما بيننا أبداً
يا من أضافه في قُربٍ وفي بُعْدٍ ومن أخالِصُه إن غابَ أو شَهَدَا
راعُ الفراقُ فوآداً كنت تُؤنّسه وذرّ بين الجفونِ الدمعَ والسَهَدَا^{٣١٥}
لا يبعُدُ الله شخصاً لا أرى أنسا ولا تطيبُ لي الدنيا إذا بعُدَا
أضحى وأضحيتُ في سرٍّ وفي علنٍ أَعُدُّه والدي إذ عدّني وَاِدا
ما زالَ ينظُرُ فيّ الشعرَ مجتهداً فضلاً وأنظرُ فيه الشعرَ مجتهدَا
حتى اعترفتُ وعزّتني فضائلُهُ وفات سَبِقًا وحاز الفضلَ مُنفردَا^{٣١٦}
إن قصّرَ الجهدُ عن إدراك غايته فأعذرُ الناسِ من أعطاك ما وجدا
أبقى لنا الله مولانا ولا برحتُ أيامنا أبداً في ظلّه جُودَا
لا يطرقُ النازلُ المحذورُ ساحته ولا تمُدُّ إليه الحادثاتُ يدا
الحمدُ لله ربي دائماً أبداً أعطاني الدهر ما لم يُعْطِه أحدا

وأسرتُ بنو كلاب حسان بن حميد بن رافع بن علي بن راعي الإبل سيد بني قطر،
فخرج أبو فراس حتى انتزعه منهم فقال:

رددت على بني قطر بنفسي أسيراً غير مرجو الإياب^{٣١٧}

^{٣١٤} أي علقت يدي بعلي نفييس، يحق أن يُضنَّ ويُبخل به.

^{٣١٥} ذرّ بالذال المعجمة، من ذرّ الذرور في العين؛ أي وضعه.

^{٣١٦} يقول: مازلنا نشاعرُ، حتى غلبتني فضائله، وسبقني حاز الفضل وحده.

^{٣١٧} الإياب: الرجوع.

ديوان أبي فراس الحمداني

سُررت بفكِّه حتى نَميرًا وسؤْتُ بني سبيعة والضبابِ^{٣١٨}
وما أبقى سوى شُكري ثوابًا وإن الشكرَ من خير الثوابِ
ولم يَمُنُّ عليَّ فتى نَميرٍ بحلِّي عنه قدِّ بني كلابِ^{٣١٩}

وقال أبو فراس:

تعيب عليَّ إن سميتُ نفسي وقد أخذ القنا منهم ومنا
فقل للعلاجِ لو لم أُسمِ نفسي لسَمَّاني السنانُ لهم وكني^{٣٢٠}

وقال، وقد وقعت عليه أخبار بني قشير، وهو في خمسة عشر فارسًا، وقد كان أطمعها ما جرى لها ومعها طرائد وقلائع قد أخذتها من شداد القشيري، فشد عليهم فانترزع ما معهم فقال:

أيا عجبًا لأمرِ بني قشير أراعونا وقالوا: القوم قلُّ
وكانوا الكثر يومئذ ولكن كثرنا إذ تعاركنا وقلُّوا^{٣٢١}
وقال الهامُّ للأجسام هذا يفرِّقُ بيننا إن لم تولُّوا
فولوا للقنا والبيضُ فيهم وفي جيرانهم نهلٌ وعلُّ^{٣٢٢}

وقال وقد ظفر ببني تميم:

وراءك يا نَميرُ فلا إمامُ وقد حرم الجزيرة والشامُ^{٣٢٣}
لنا الدنيا فما شئنا حلالُ لساكنه وما شئنا حرامُ

^{٣١٨} نَمير وبني سبيعة والضباب: أسماء قبائل من العرب.

^{٣١٩} لا أرى وجهًا لجزم يَمُنُّ.

^{٣٢٠} يقصد بالعلاج فارس الروم.

^{٣٢١} يعني كانوا أكثر منا عددًا، فقتلنا منهم كثيرًا حتى صرنا نحن الأكثر وهم الأقل.

^{٣٢٢} أي ضرب مرة بعد أخرى.

^{٣٢٣} يقول لبني نَمير: انْهَبِي وراءك فلا إمام لك، وقد حرمننا عليك سكني الجزيرة والشام.

وينفذُ أمرنا في كل حيٍّ يُقَصِّيه ويُدنيه الكلامُ
 ألم تُخبرك خيلك عن مَقامي ببالسِ يوم ضاقَ بها المقامُ
 وولتَ تلتقي بعضًا ببعضٍ لهم والأرضُ واسعة زحامٌ^{٣٢٤}
 بطحنا منهم مرح بن جحشٍ فلم يَقفُوا عليه ولم يحامُوا
 أقولُ لمطعم يوم التَّقينا وقد ولى وفي يدي الحسامُ
 أتجعل بيننا عشرين كعبًا وتهربُ سوءةً لك يا غلامٌ^{٣٢٥}
 أحلكمُ بدار الضَّيمِ قسرًا هُمَامٌ لا يقاسُ به همامُ

وأوقع أبو فراس ببني كلاب، فحاز الحريمَ واستباحَ الأموال فقال:

أبلغُ بني همدانَ في ميدانها كُهلها والغرَّ من شَبانها
 يوم طردتُ الخيلَ عن أظعانها وسقتُ من قيسٍ ومن جيرانها
 ذوي عُلاها وذوي طِعانها تركتُ ما صحبتُ من فُرسانها
 عائرةً تعثرُ في عنانها ومهرةً تمرُّح في استطانها^{٣٢٦}
 وإيلاً تنزعُ من أظعانها حتى إذا فلَّ عبا شجعانها^{٣٢٧}
 طاردني عنها وعن ثباتها حرائرُ أرغُب في صبيانها^{٣٢٨}
 أستعملُ الشدةَ في أوانها وأغفرُ الزَّلَّةَ في إبانها
 يا لك أحياءَ على عدوانها نسوانها أمنعُ من فُرسانها

^{٣٢٤} أي لهم زحامٌ، والأرضُ واسعةٌ جملةٌ معترضةٌ.

^{٣٢٥} يقول: قلت لمطعم: أتهربُ من السيفِ وتجعلُ بيني وبينك الرمح الذي كعوبه عشرون، فيا فضيحتك يا غلام.

^{٣٢٦} أي تلعبُ في خيالها.

^{٣٢٧} العبان السَّمان من الجمال.

^{٣٢٨} يقول: تركت الذين أصببتهم من الفرسان عاثرين إليّ؛ إذ لم يبق لشجعانها فائدة في الخلاص فضلًا عن تخليص غيرهم، ولم يبق إلا النساء تطاردني وتمنعني عن نفسها وعن أبياتها؛ حال كوني راغبًا وراحمًا لأطفالهنَّ.

وقال أيضًا:

وداع دعاني والأسنةُ دونه فصبَّ عليه بالجواب جَوادي
جنبت إلى مُهري المنيعي مهرة وجلَّلت منه بالنجيعِ نِجادي

وكتب إلى سيف الدولة، وقد سار عن حضرته إلى منزله:

كتابي، أطل الله بقاء مولانا الأمير سيف الدولة وقد وردته ورودَ السالم الغانم
موقر الظهر والضمير وفاءً وشكرًا.

فاستحسن سيف الدولة بلاغته في ذلك فكتب أبو فراس:

هل للفصاحة والسَّما حةٌ والعُلا عني مَحيد
إذ كنت سيدي الذي ربَّيتني وأبي سَعيد
في كل يوم أستفيد دُ من العلاءِ وأستزيد
ويزيد فيَّ إذا رأيتُ تُك في الندى خُلق جديد

وخرج سيف الدولة يطلب بني كلاب ومَن انضم إليهم، فلحق حلة بني نمير ورئيسها
مماغث فاحتوى عليها، فخرجت إليه بنت مماغث وهي كالشمس الباهرة، فصفح لها عن
الحلة وأمر بردًا ما أخذ، فكتب إليه أبو فراس يداعبه بقوله:

وما أنس لا أنس يومَ المغار محجبة لفظها بالحُجب
دعاك ذووها بسوء الجوار لما لا تشاء وما لا تُحب
فوافتك تعثر في مرطها وقد رأيت الموت من عن كُتب^{٢٢٩}
وقد خلط الخوف لما طلعت دلَّ الجمال بذل الرُّعب
فكنت أخاهنَّ إن لا أخُ وكنت أباهنَّ إن ليس أب^{٢٣٠}

^{٢٢٩} أي تعثر في أثوابها، وقد رأيت الموت من مكان قريب.

^{٢٣٠} أي كنت لنساء بني كلاب بمنزلة الأخ والأب إن لا أخ ولا أب لهنَّ.

وما زلت مذ كنت تأتي الجميلَ وتحمي الحريم وترعى النسبَ
وتغضبُ حتى إذا ما ملكتَ أطعت الرضى وعصيت الغضبُ
فولين عنك يفدينها ورفعن من ذيلها ما انسحبُ^{٣٣١}
ينادين بين خلال البُيو ت لا يقطعُ الله نسلَ العربِ^{٣٣٢}
أمرت وأنت الكريم المطاعُ ببذل الأمانى وردَّ النهبُ
وقد رُحِن من مُهجاتِ القلوبِ بأوفر غنمٍ وأعلى نسبُ
فإلا يجدن بردَ القلوبِ فلسنا نجودُ بردَ السلبِ

وأتى رسول ملك الروم يطلب الهدنة، فأمر سيف الدولة بالركوب بالسلاح، فركب من داره ألف غلام مملوك بألف جوشن مُذهب على ألف فرس عتيق، وألف بخفاف، وهو بالكسر: آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان؛ ليقيه في الحرب، وركب الناس والقواد على طبقاتهم حتى الجيش، فقال أبو فراس في ذلك:

علونا جوشنا بأشد منه وأثبت عند مُشترج الرماح^{٣٣٣}
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البرَّ بحرًا من سلاح
وألسنه من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرماح^{٣٣٤}
وأروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود من صباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح^{٣٣٥}
فكان ثباته للقلب قلبًا وهيبته جناحًا للجناح^{٣٣٦}

^{٣٣١} يعني يُعظمونها برفع الذيل المنسحب، وهذا شأن الأعرزة تُرفع ذبولهم.

^{٣٣٢} وذلك لما عاملهم به سيف الدولة من مكارم الأخلاق من إطلاق بنتِ مماغث بعد الاستيلاء عليهم، وردّه ما سلب من سلاح قومها بشفاعتها.

^{٣٣٣} الجوشن: الدرع، والاشتجار الاختلاط.

^{٣٣٤} العذبات: جمع عذبة، وهي ما يُرخى من طرف العِمامة على الظهر.

^{٣٣٥} أي قليل الصفح بين صفاح السيوف؛ أي: وقت المعركة.

^{٣٣٦} قلبُ العسكر: وسطه، وجناحاه: ميمنته وميسرته.

وقال ملغزًا:

باسم الذي أعشقه كلما
ستهُ أشخاصٍ عدا واحدًا
أربعة صورُتها ستُهُ
إثمٌ إذا كان على حاله
يشابهُ الفعلَ ولكنَّهُ
ناديتهُ كررتُ معناه
وخمسة منهنَّ أشباهُ
يعرف قولِي من تهجَّاهُ
وأخرًا ما قد حُرمناهُ
ليس بفعلٍ علم اللهُ^{٣٣٧}

وقال أيضًا في معناه:

ما اسمٌ ظريف فيه فعلانٍ
وفيهما بعدهما اسمٌ ثلَا
اسمٌ وفعلٌ لك فيه إذا
أقلبه تعلمُ موقنًا أنَّه
هما إذا ميزتَ ضدَّانِ
ثِيٌّ ولكنَّ فيه حرفانِ
كان من الأفعالِ وجهانِ
على لسانِ العالمِ اثنانِ

وأساء بعض عمَّاله العشرةَ مع رفاقه، وتنكَّر عليهم ولم يقابلِ النعمةَ بالشكر، فبطش به أحدهم وساعده اثنان فقتلوه، فشق ذلك على سيف الدولة وقتل قاتله، فكتب إليه:

ما زلتَ تسعى بجدٍّ
ترى لنفْسك أمرًا
برغمِ شانِك مُقبلٍ
وما يري اللهُ أفضلُ

^{٣٣٧} أراد بالاسم المَلغَز به: قرفف، من أسماء الخمر؛ يقصد في كلما ناديتهُ كرَّرتُ معناه: أن كلما دعوت بالإتيان به كرَّرتُ شربَه، وقوله: ستُهُ أشخاصٍ أي: ستُهُ أحرف إذا تضعف (قرَّ وقفَّ)، والخمسة يعني: أن هذه الحروف كل واحد منها له شبهٌ مثله. ويعني أنها أربعة في الصورة، وستة في التهجي بملاحظة التضعيف. والإثم من أسمائه أيضًا كما قال الفارض:

وقالوا شربتَ الإثمَ كلا وإنما شربت التي في تركها عندي الإثمُ

ووجد سيف الدولة على بعض بني عمه، فاستعطفه أبو فراس بقوله:

إِن لَم تَجَافِ عَنِ الذَّنْوِ بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً^{٣٣٨}
لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَهْ أَنْ تَغْضَّ عَلَى بَصِيرَةٍ

ووقع بين أبي فراس وبين بعض بني عمه، وهو صبيٌّ فخرج معه سيف الدولة بالتعجب، فقال أبو فراس:

إِنِّي مَنَعْتُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ وَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَكُنْتُ أَوْلَ وَارِدٍ
أَشْكُو وَهَلْ أَشْكُو جَنَايَةَ مُنْعَمٍ غِيظَ الْعَدُوِّ بِهِ وَكَبْتَ الْحَاسِدَ^{٣٣٩}
قَد كُنْتُ عُدَّتِي الَّتِي أَسْطَوُ بِهَا وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي
فَرَمِيَتْ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَمَّلْتَهُ وَالْمَرْءُ يَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ^{٣٤٠}
لَكِنْ أَتَتْ بَيْنَ السُّرُورِ مَسَاءَةٌ وَصَلَتْ لَهَا كَفَّ الْقَبُولِ بِسَاعِدِ^{٣٤١}
فَصَبَرْتُ كَالْوَلَدِ التَّقِيِّ لِبِرِهِ يُغْضِي عَلَى أَلْمِ كَضْرِبِ الْوَالِدِ
وَنَقَضْتَ عَهْدًا كَيْفَ لِي بَوَفَائِهِ وَمَنِ الْمَحَالِ صَلَاحِ قَلْبٍ فَاسِدِ

وقال وقد أتى عسكر ناصر الدولة، وفيه أخوته وبنو أخيه، وقد طال عهده بلقائهم؛ لأنه كان خلفهم صبية فعرفهم بالشبه:

يَلُوحُ بِسِيمَاهِ الْفَتَى مِنْ بَنِي أَبِي وَتَعْرِفُهُ مِنْ غَيْرِهِ بِالشَّمَائِلِ
مَعْدَى مَرْدَى يَكْثُرُ النَّاسَ حَوْلَهُ طَوِيلُ نَجَادِ السِّيفِ سَبْطُ الْأَنَامِلِ^{٣٤٢}

^{٣٣٨} تجافي أي: وتسامح عن الذنوب.

^{٣٣٩} يقول: إذا شكوت منك؛ كيف يمكن أن أشكو من به غيظ أعدائي وقهر حسادي.

^{٣٤٠} يشرق: أي يغص.

^{٣٤١} استدارك للمعنى السابق؛ أي إن ظهور خلاف المأمول، وإن كان إساءة لكن يحوها ما تكنفها من السرّات.

^{٣٤٢} يقول: إن الفتى من بني أبيه؛ أي أخوته يُعرف بسيماه، ويُميز بحسن شمائله، فيفديه الناس بأنفسهم، وعليه رداء الحشمة وحوله الحشم والخدم، وهو طويل القامة سبط الأنامل.

وقال يفتخر:

لنا بيت على عنق الثريا بعيدُ مذاهبِ الأطنابِ سامي
تظللُّه الفوارس بالعوالي وتفرِّشه الولائدُ بالطعام^{٣٤٢}

وقال أيضًا في بعض أهله، وقد شيعها إلى الحج في يوم تلج:

أحلو لمن لا صبرَ ينجده صبرُ أمانيَّةٍ بالعذل رفقًا بقلبه
أطلنَّ عليه اللومَ حتى تركته عذيري من اللائي يلمنَّ على الهوى
ومنكرةٍ ما عاينت من شجونه ويحمد في العضبِ البلي وهو قاطعُ
وقائلةٍ ماذا دهاك تعجبًا أبالبين أم بالهجر أم بكليهما
أتذكرني نجدًا ومن حلَّ أرضها تناولتِ الكتبانُ بيني وبينه
مفاوزُ لا يُعجزن صاحبَ همَّةٍ إذا ما اقتضى فكرُ ألمَّ به فكرُ
أيحملُ ذا قلبٍ ولو أنه صخرُ^{٣٤٤} وساعته شهر وليلته دهرُ
أما في الهوى لو ذقنَ طعم الهوى عذُرُ ولا عجبُ ما عاينتُهُ ولا نكر
ويحسنُ في الخيل المسومة الضمرُ^{٣٤٥} فقلتُ لها: يا هذه أنتِ والدَّهرُ^{٣٤٦}
تشاركُ فيما ساءني البينُ والهجرُ فيا صاحبي نجواي هل ينفعُ الذكرُ^{٣٤٧}
وباعدَ فيما بيننا البلدُ القفرُ^{٣٤٨} وإن عجزتُ عنها الغزيرية الصبرُ^{٣٤٩}

^{٣٤٢} أي: لنا بيتٌ رفيعٌ جهاتُ أطنابه، بعيدةٌ ساميةٌ فوق عنق الثريا، وظلالته الرماح من الفوارس، وفراشه الطعام الذي تأتي به الخدم والإماء.

^{٣٤٤} يقول: يا مَنْ عُنيت بالعذل وولعت به، ارفقي بقلبي فهو يحمل الفراق ولو كان صخرًا.

^{٣٤٥} يعني: أن النحول والرقعة تُحمد في السيف وفي جياذ الخيل، فكيف يُعاب على العاشق نحوله وسقامه.

^{٣٤٦} أجاب المحبوبة لما سألته متعجبةً عما دهاه: أن الجالب لمصائبه هي والدهر.

^{٣٤٧} يقول: يا صاحبي سري: إن المحبوبة تذكرني نجدًا وسكانها، فهل ينفع الذكر للعاشق الذي فارقه أحبَّه (هيهات).

^{٣٤٨} الكتبان: جمع كتب، وهو التلُّ المتجمع من الرمل. والقفر: الخالي من الكلأ والماء.

^{٣٤٩} أراد بالغزيرية الصبر: السحائب.

كأنَّ سفِينًا بينَ فيدٍ وحاجرٍ
 عدانيّ عنه ذودُ أعداءِ منهلٍ
 وسُمِرَ أعادٍ تلمعُ البيضُ بينها
 وقومٌ متى ما ألقهم رويّ القنا
 وخيلٌ يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها
 إذا ما الفتى أذكى مغاورَةَ العدا
 ويومٌ كأنَّ الأرضَ شابتَ لهوله
 تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً
 أشيَعُهُ والدمعُ من شدّةِ الأسي
 رجعتُ وقلبي في سجاجِ عبيطه
 وفيمن حوى ذاك الحجيح خريده
 وفي الكم كفو لا يراها عديلاًها
 فهل عرفاتُ عارفاتُ بزورها
 أما اخضرّ من ريحان مكّة ما ذوى
 سقى الله قوماً حلّ رحلك بينهم

يحفُّ به من آلِ قيعانه بحرٌ ٣٥٠
 كثيرٌ إلى وِزاده النظرُ الشزُرُ ٣٥١
 وبيضُ أعادٍ في أكفهم السمرُ
 وأرضٌ متى أغزها شيع النَّسرُ
 ونصلٌ متى ما شمته نزلَ النصرُ
 فكلُّ بلادٍ حلَّ ساحتها ثغرُ ٣٥٢
 قطعُ بخيلٍ حشو فرسانها صبرُ
 وآثارنا طرز لأطرافها حمرُ ٣٥٣
 على خدّه نظمٌ وفي نحره نثرُ
 ولي لفتاتٌ نحو هودجه كثرُ ٣٥٤
 لها دون عطفِ الستر من صونها سترُ ٣٥٥
 وفي الخدر وجهٌ ليس يعرفه الخدرُ ٣٥٦
 وهل شعرتُ تلك المشاعرُ والحجر
 أما عشبَ الوادي أما نبت الصخر ٣٥٧
 سحائب لا قلّ جَداها ولا نزرُ ٣٥٨

٣٥٠ يقول: إن بين المكان المعروف بفيدٍ والمكان المعروف بجاجر شبه السفينة، وما أحاط به من سراب القيعان يُشبه البحر، والقيعان جمع قاع.

٣٥١ يقول: معني عن نجدٍ اشتغالي بطرد أعداء منهل، وقد كثر النظرُ الشزُر من وِزاده.

٣٥٢ يقول: إذا أشعل المرء نارَ الإغارة على الأعداء، فكلُّ بلدٍ نزله كان له ثغراً يصونه منهم.

٣٥٣ الملاء جمع ملاءة بالمد، وهي نوعٌ من الأثواب، فشبه ما يقع على تلك من دماء الأعداء بالطراز الأحمر لذلك الثوب.

٣٥٤ العبيط: الهودج، يقول: رجعتُ من تشييع المحبوب، وقلبي عند الهودج وأنا كثيرُ الالتفات إليه.

٣٥٥ يقول: إن في ذاك الحجيح بكرًا، لها غير سترها سترٌ من الصيانة.

٣٥٦ هذا من المبالغة في العفة والديانة والصيانة.

٣٥٧ ذوى: بمعنى يبس.

٣٥٨ القل والنزر: بمعنى القليل، والجدي: النفع.

وقال أيضاً:

أنكرت حبك والدموعُ مقرّة
تبدو الدموعُ بما يجنُّ ضميره
من لي بعطفةِ ظالم من شأنه
من لي بردُ الدمعِ قسراً والهوى
أعيا عليّ أخٌ وثقتُ بوّده
وخبرتُ هذا الدهرَ خبرةً ناقدٍ
لا أشتري بعدَ التجرّبِ صاحباً
ويجيءُ طوراً ضره في نفعه
فصبرت لم أقطع حبالَ ودايه
وأخ أظعتُ فما رأى لي طاعتي
وتركت حلو العيش لم أحفل به
والمرء ليس بغانمٍ في أرضه
أنفق من الصبر الجميل فإنه
واحلم وإن سفه الجليس فقل له
فأحبّ إخواني إليّ أبشهم
لا خير في برّ الفتى ما لم يكن
ألقي الفتى فأريدُ فائض بشره
يا ربّ مضطغنِ الفؤاد لقيته

وطويت وجدك والهوى في نشره
تتري إلى وجناته أو نحره
نسيانُ مشتغل اللسان بذكره
يغدو عليه مُشمراً في نصره
وأمنت في الحالاتِ عقبي غدره
حتى أنستُ بخيره وبشره
إلا وددتُ بأنني لم أشره
جهلاً وطوراً نفعه في ضره^{٣٥٩}
وسترتُ منه ما استطعت بستره
حتى خرجت بأمره عن أمره^{٣٦٠}
لما رأيت أعرّه في مره
كالصقر ليس بصائدٍ في وكره^{٣٦١}
لم يخش فقراً منفقاً من صبره
حسنَ المقال إذا أتاك بهجره
بصديقه في سره أو جهره
أصفى مشارب برّه في بشره
وأجلُّ إن أرضى بفائض برّه
بطلاقة تُنبئك ما في صدره^{٣٦٢}

^{٣٥٩} يعني لحماقته يريدُ ينفع فيضر، ويريد يضر فينفع.

^{٣٦٠} يقول: وربّ أخ أظعتُه فما عرّف قدر طاعتي له، فكان جهله بالأمر بمنزلة الأمر بالخروج عن طاعته.

^{٣٦١} أي: إن المرء لا ينال المجد والشرف في وطنه، وإنما يناله في الغربة كالصقر الذي لا يصيد إلا خارج وكره.

^{٣٦٢} يقول: إن كثيراً من الحقدّة لقيتهم بطلاقة وجه أنبأني ما في ضمائرهم، وهذا شأن الرجل العاقل المجرّب.

وقال أيضًا:

ومرتدٍ بطرّةٍ مسدولة الرّفارِفِ
كأنها مُسبَلَةٌ من زَرَدٍ مضاعفٍ^{٣٦٣}

وقال:

ولقد علمت وما علمُ تُ وإن أقمْتُ على صُدوده
أَنَّ الغزالة والغزا لَ لفي ثناياه وجيده^{٣٦٤}

وقال:

من السلوة في عيني لك آياتٌ وأثارُ
أراها منك في القلب وللأحشاءِ أبصارُ
إذا ما بردَ الحبُّ فما تَسَخَّنُه النارُ

وقال:

مالي بكتمان هوى شادن عيني له عينٌ على القلب^{٣٦٥}
عرّضت صبري وسلوي له فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

وقال:

كان قضيبيًا له انتناءً وكان بدرًا له ضياءً

^{٣٦٣} يقول: رُبَّ شخص جعل في رأسه طرة مسدولة الجوانب على خديه، كأنها من زرد ركب بعضه فوق بعض.

^{٣٦٤} شبه الثنايا بالغزالة وهي الشمس، وعنقه بعنق الغزال.

^{٣٦٥} الشادن: الغزال، والعين: الرقيب.

ديوان أبي فراس الحمداني

فزاده رُبُّنا عِذارًا كذالك الله كلُّ وقتٍ
تمَّ به الحسنُ والبهاءُ يزيدُ في الخلق ما يشاءُ

وقال:

مسيءٌ محسنٌ طَورًا وطورًا فما أدري عدوِّي أم حَبِيبِي
يقلِّبُ مقلَّةً ويُدِيرُ طرفًا به عُرِفَ البريءُ من المرِيبِ
وبعضُ الظالمين وإن تناهَى شهىُّ الظلم مغفورُ الذنوبِ

وقال في غلامه:

قلبي يحنُّ إليه نعم ويحنُّ عليه
وما جنى إن تجنَّى إلا اعتذرتُ إليه
فكيف أملكُ قلبي والقلبُ رهنٌ لديه
وكيف أدعوه عبدي وعُهدتي في يديه

وقال فيه:

الورد في وَجنتيه والسُّحر في مُقلتيه
وإن عصاني لِساني فالقلب طوعُ يديه
يا ظالمًا لستُ أدري أدعو له أم عليه
أنا إلى الله مما قاسيتُ منه إليه^{٣٦٦}

وقال أيضًا:

لا غرورَ إن فتنتك بالـ لَحَظَاتِ فاتنةِ الجُفونِ
فمصارعُ العُشَّاق ما بين الفُتورِ إلى الفُتونِ

^{٣٦٦} إن خبر «أنا» محذوفٌ تقديره: «راجعون».

اصبر فما سُئِنَ الهوى صبرَ الضنين على الضنين^{٣٦٧}

وقال:

قامت إلى جاريتها تشكو بذلً وشجاً
أما ترين ذا الفتى مرّاً بنا ما عرّجاً
إن كان ما ذاق الهوى فلا نجوت إن نجا

وقال أيضاً:

وظبي غريرٍ في كِنَاسة أمّه
تقرُّ لها بيضُ الفلاة وأدمها
فمن خلقه لبّاتها ونحورها
إذا اكتسبتُ عونَ الفلاةِ وصورها^{٣٦٨}
ويحكيه في بعض الأمور غريرها
ومن خلقه عصيانها ونفورها

وقال:

أيا سافرًا ورداءَ الخجلِ
بعيشك ردّ عليك اللثام
فما حقُّ حسنك أن يُجتلى
مقيمٌ بوجنته لم يزل
ولا حقُّ وجهك أن يُبتذل
أمنت عليك صروفَ الزمان^{٣٦٩}

^{٣٦٧} الضنين الأول بمعنى المتهم، والثاني: البخيل. أراد بالأول نفسه وبالثاني المحبوب.

^{٣٦٨} الغرير: الحسنُ الخلق، والكناسة: مأوى الطباء، والعون: بقر الوحش وصور الأشكال.

^{٣٦٩} يخاطبُ المحبوب، ويقسم عليه بعيشه أن يردّ اللثام؛ لئلا تجرّحه العيون بنظرها، ومن اللائق أن لا يرى وجهك ولا يُجتلى حسنك لكل أحد، ثم دعا له بأن يأمن من صروف الزمان كما آمن هو على عاشقه السامة والملل.

وقال:

أيا قومنا لا تنشبو الحربَ بيننا
فيا ليت داني الرُّحمَ بيني وبينكم
عداوة ذي القربى أشدُّ مضاضةً
أيا قومنا لا تقطعوا اليدَ باليدِ
إذا لم يقربَ بيننا لم يبعد
على المرءِ من وقع الحسامِ المهنَّدِ

وقال أيضاً:

كيف أبغي الصلَاحَ من أيدِ قومٍ
فمطاعِ المقالِ غيرُ سديدِ
وسدِّدِ المقالِ غيرُ مطاعِ
ضيِّعوا الحزمَ فيه أيّ ضياعِ

وقال:

ما أن أن أرتابَ للشيبِ
إني أعودُ بحُسنِ عَفْوَ
وبِ المهرِّمِ في عِذارى
وِ اللهِ من سُوءِ اختياري

وقال:

وكنْتُ إذا ما ساءَني وأساءَني
وأكرهُ إعلامَ الوُشاةِ بهجره
وهبتُ لِنفسي سوءَ ظني ولم أدعُ
لطفُ لِقَلبي أو أقيم له عُذرا^{٣٧٠}
فأعتَبه سرًّا وأشكره جَهرا
على حاله قلبِي يسرُّ له هَجرا

وقال وكتب بها إلى سيف الدولة، وقد بلغه عنه نزولُ العدو على الحدث فسار مسرعاً حتى سبقه إليها، وقد كان بعيداً عنها مُوغلاً في بلاد الروم:

تُباعدهم وقتًا كما يبعد العِدا
وتجفوا جفاءً لا يولِّده زهدُ
وتكرمهم وقتًا كما يكرم الوَفْدُ
وتدنو دنواً لا يولِّد جرأةً

^{٣٧٠} يقال: ساءه إذا فعل به ما يُكره، وأساءه: إذا أضره.

أفَضْتَ عَلَيْهِ الْجُودَ قَبْلَ هَذِهِ وَأَفْضَلُ مِنْهُ مَا يُؤْمَلُهُ بَعْدُ^{٣٧١}
 وَحَمْرَ سَيْوِفٍ لَا تَجْفُ لَهَا ظُبِّي بِأَيْدِي رِجَالٍ لَا يَحِيطُ لَهَا لُبْدُ^{٣٧٢}
 وَزُرْقًا تَشْفُ السَّرْدَ مِنْ مُهْجِ الْعِدَا وَتَسْكُنُ مِنْهُمْ آيَةٌ سَكَنَ الْحَقْدُ^{٣٧٣}
 وَمَصْطَحِبَاتٍ قَارِبَ الرِّكْضِ بَيْنَهَا وَلَكِنْ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَبَدًا بَعْدُ^{٣٧٤}
 تَشْرُدُهُمْ ضَرْبًا كَمَا شَرَّدَ الْقَطَا وَتَنْظِمُهُمْ طَعْنًا كَمَا نَظَّمَ الْعِقْدُ
 وَلَوْ خَانَكَ الْمَقْدُورُ فِيمَا بَنِيَّتَهُ لَمَا خَانَكَ الرِّكْضُ الْمَوَاصِلُ وَالْجَهُدُ
 تَعُودُ كَمَا عَاوَدَتْ وَالْهَامُ صَخْرَهَا وَيُبْنِي لَهَا الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ وَالْحَمْدُ^{٣٧٥}
 فَفِي كَفِّكَ الدُّنْيَا وَشِيمَتُكَ الْعِلَا وَطَائِرُكَ الْأَعْلَى وَكُوكِبُكَ السَّعْدُ

وقال وكتب بها إلى سيف الدولة، وقد ذكر مسيره إلى ديار بكر وتخليفه إيَّاه على

الشام:

أَشَدُّهُ مَا أَرَاهُ مِنْكَ أَمْ كَرِمٌ تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحِ تَصْطَلِمُ^{٣٧٦}
 يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ مَبْتَسِمًا أَمَا يَهْوَلُكَ لَا مَوْتَ وَلَا عَدَمٌ
 لَقَدْ رَأَيْتُكَ بَيْنَ الْجَحْفَلِينَ تَرَى أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ وَقَعِ الْفَنَاءِ قَضِمٌ^{٣٧٧}
 نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسِ عَلَا حَيَاةً صَاحِبِهَا تَحْيَا بِهَا الْأُمَمُ
 إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ الْبَيْضِ مَنْفَرِدًا تَحْتَ الْعَجَاجِ فَلَا تُسْتَكْثِرُ الْخَدَمُ^{٣٧٨}

^{٣٧١} يخاطب سيف الدولة، ويقول بأنه أفاض عليه الجود والإحسان من قبل هذه الصنيعة، وأفضل من هذا ما يؤمله منه في المستقبل.

^{٣٧٢} وحمْرَ سيوفٍ (بالنصب): عطف على الجود في البيت الذي قبله، وقوله «لا تجف لها ظبي»: أي ملطخة بدم الأعداء. والظبي: جمع ظبية، وهي: حد السيف. واللبد: ما تلبد في ظهر الأسد.

^{٣٧٣} السرد: نسج الدرع، والزرق: الرماح.

^{٣٧٤} يعني بالمصطحبات الخيل.

^{٣٧٥} المجد: الموروث.

^{٣٧٦} الاصلطام: الاستئصال.

^{٣٧٧} القضم: الكسر، يقول قد رأيتك بين العسكرين تجول بلا اكتراث، كأنك ترى السلامة من طعن الرماح هي الهلاك.

^{٣٧٨} رقاق البيض: السيوف، والعجاج: الغبار.

تفدي بنفسك أقوامًا صنعتهم
هي الشجاعة إلا أنها شرف
ماذا يقاتل من تلقى القتال به
تضنُّ بالحرب عنا ضنَّ ذي بخلٍ
لا تبخلنَّ على قومٍ إذا قتلوا
ألْبست ما لبسوا أركبت ما ركبوا
كما أربت بيض أنت واهبها
قالوا المسير فهزَّ الريح عامله
فطالبتني بما ساء العداة به
حقًا لقد ساءني أمرٌ ذكرت له
لا تشغلنَّ بأرض الشام تحرسه
فإنَّ للثغر سُورًا من مهابته
لا يحرمني سيف الدِّين صُحبتَه
وما اعترضتُ عليه في أوامره

وكان حقهم أن يفتدوك هم
وكل فضلك لا قصد ولا أمم^{٣٧٩}
وليس يفضل عنك الخيل والبهم
ومنك في كل حال يُعرف الكرم^{٣٨٠}
أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
أعرفت ما عرفوا أعلمت ما علموا
على خيولك خاضوا البحر وهو دم
وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم^{٣٨١}
عودتني ما يشاء الذئب والرحم
لولا فراقك لم يوجد له ألم
إنَّ الشام على من حلَّه حرم
صخوره من أعادي أهله القمم
هي الحياة التي يحيا بها النسَم
لكن سألتُ ومن عاداته نعم

وقال في الشيب:

عذيري من طوالع في عذاري
وثوب كنت ألْبسه أنيق
وما زادت على العشرين سنِّي
وما أسمعت من داعي التَّصابي

ومن رد الشباب المستعار
أجرر ذيلَه بين الجوّاري
فما عذُر المشيبِ إلى عذاري^{٣٨٢}
إلى أن جاءني داعي الوقارِ

^{٣٧٩} الأَمم: القصد والوسط.

^{٣٨٠} يقول: بخلت علينا فلم تدعنا نقاتل معك، مع أنك موصول بالكرم دائماً.

^{٣٨١} الجفن: الغمد. والصمصامة الخدم: السيف القاطع.

^{٣٨٢} يقول: احضر يا عذيري من الشعرات البيض التي طلعت في عذاري، واعذرني من طلوعها ومن رد

الشباب المستعار.

أيا شيبى ظلمت ويا شبابي
 يرحل كل من يأوي إليه
 أمرت بقصه وكففت عنه
 وقلت الشيب أهون ما ألقى
 ولم يُبقي رفيقي الفجر حتى
 وكم من زائر بالكُره مني
 وكنت إذا الهموم تناوبتني
 أنخت وصاحباي بذى طلوح
 ولا ماء سوى نُطف الروايا
 فلما لاح بعد الأين سلع
 تلاعب بي من البزل المطايا
 ونفس دون مطلبها الثريا
 أرى نفسي تطالبني بأمر
 وما يغنيك من هم طوال
 ومعتكف على حلب بكى
 وقيل لي انتظر فرجا ومن لي
 لقد جاورت منك بشرّ جاري^{٣٨٢}
 ويختمها بترحيل الديار
 وقرّ على تحمله قراري
 من الدنيا وأيسر ما أداري
 يضم إليه مُنبج النهار^{٣٨٤}
 كرهت فراقه بعد المزار
 فزعت من الهموم إلى العقار
 طلائح شقها وخد القفار^{٣٨٥}
 ولا زاد سوى القنص المثار^{٣٨٦}
 ذكرت منازلني وعرفت داري^{٣٨٧}
 خلأق لا تقرّ على الصفار^{٣٨٨}
 وكف دونها فيض البحار
 قليل دون غايته اقتصاري
 إذا قرنت بأحوال قصار
 يفوت عطاش أمالي صرار^{٣٨٩}
 بأن الموت ينتظر انتظاري

^{٣٨٢} يقول للشباب جاورت بدلاً من شرّ جار، وهو الشيب الذي يشكو من ظلمه.

^{٣٨٤} أراد بالفجر أول الشيب، وبمنبج النهار: اشتعاله به حتى عم كل شعره.

^{٣٨٥} الطلائح: الإبل وقد أضعفها السير في القفار.

^{٣٨٦} الروايا: جمع رواية وهي القرية، والمثار: ما أثير وقت الاصطياد. يقول: انخنا وما عندنا ماء سوى ما في القرب، ولا زاد إلا الصيد الذي نسطأه.

^{٣٨٧} الأين: الإعياء والتعب، وسلع: اسم موضع.

^{٣٨٨} البزل: الجمال التي طعنت في السنة التاسعة، والمطايا: جمع مطية وهي الراحلة، والخلأق: وصف للإبل التي من جنبها، والصفار: دويبة تكون في مناسمها.

^{٣٨٩} يقول: وربّ معتكف على حلب باك يفوت أماله العطاش المحرورين بنار فقد المأمول، وأراد بالمعتكف نفسه.

عليّ لكل همّ كل عنسٍ
 وخرّاجٍ من الغمّرات خرقٍ
 شديدٍ نحيف الأيام وافٍ
 فلا نزلت بي الجيرانُ إن لم
 ولا صحبتني الفرسانُ إن لم
 ولا خافتني الأملاكُ إن لم
 بجيشٍ لا يحلُّ بهم مُغيرٌ
 شددت على الحمامة كورَ رحلٍ
 تحفُّ به الأسنةُ والعوالي
 يعدن بعيد طُول الصّون سعيًا
 وتخفقُ حولي الراياتُ حمراءَ
 وإن طرقت بداهيةَ بنارٍ
 عزيز حيث حطَّ السَّيرُ رحلي
 وأهلي من أنختُ إليه عيسي

أمونِ الرحلِ مُوجِدَةِ الْفَقَارِ ٣٩٠
 أبو شبلينِ محمّيِّ الذُّمَارِ ٣٩١
 على غلابة عَفُّ الإزارِ
 أجاوره مجاورَةَ الْبِحَارِ
 أصحابِها بمأمونِ الْفِرَارِ ٣٩٢
 أصبَّحها بملتفِّ الْغُبَارِ
 ورأى لا يغبهمُ مغارٌ ٣٩٣
 بعيدٌ حله دون الْيَسَارِ ٣٩٤
 ومضمرة المهاري والمهارة ٣٩٥
 لما كُلفن من بعد المغارِ ٣٩٦
 وتتبعني الخضارمُ من نزارِ ٣٩٧
 يدافعها الرجالُ إليك جاري
 تداريني الأنام ولا أداري
 وداري حيث كنت من الديار

٣٩٠ العنس: الناقة القوية، وأمون الرحل: محل الرحل، وهو الظهر وموجدة الفقار أي مستوية عظمت الظهر لسمنها.

٣٩١ الغمّرات: جمع غمرة، وهي: الشدة، والخرق بالكسر: الغضوب، والشبل: ولد الأسد، والذمار ما يلزمك حمايته.

٣٩٢ أراد بمأمون الفرار نفسه؛ أي: يستحيل أن يفرو ويتركهم.

٣٩٣ المغير الذي يغير، والمغير: السديد المحكم. يقول في معنى البيتين لا خافتني الملوك إن لم أصبها بعسكرٍ غباره كثير متراكم، لا ينزل عليهم نزول المسافر، وإنما يغير عليهم وينهبهم، وأصبحهم برأي محكم لا يخطئ الإصابة.

٣٩٤ أراد بالحمامة الناقة البيضاء، واليسار ماءً تنزله بنو كلاب.

٣٩٥ المهاري جمع مهرة، والمهارة جمع ماهر.

٣٩٦ المغار بالفتح: الغارة.

٣٩٧ الخضارم جمع خضرم، وهو السيد الحمول، يعني تخفق حوله الرايات، وتتبعه سادات نزار وأشراقهم.

وقال أيضاً:

سأنتني على تلك التنايا لأنني
وأُنصفها لا أكذبُ اللهَ إنني
أقولُ على علمٍ وأنطقُ عن حُبرٍ
رَشَفْتُ بها ريقًا ألدَّ من الخمرِ

وقال في غرض:

يامن رضيت بفرطِ ظلمِهُ
اللهُ يعلمُ ما لقيتِ
هَبْ للمقر ذنوبِهُ
إني أعيدُكَ إن تَبُو
ودخلتُ طوعًا تحت حُكْمِهُ
تُ من الهوى وكَفَى بعلمِهُ
وأصفح له عن عظمِ جُرمِهُ
ءَ بقتلِهِ وبِحَمَلِ إثْمِهُ

وقال في غرضٍ في معنى هذه الأبيات:

ألزمني ذنبًا بلا ذنبٍ
أحاولُ الصبرَ على هَجْرِهِ
وأكتمُ الوجدَ وقد أصبَحْتُ
فكنتُ ذا صبرٍ وذا سلوَةٍ
ولجَّ في الهجرانِ والعَتَبِ
والصبرُ محظورٌ على الصبِّ
عيناى عينيهِ على قلبِي
فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

وقال في غرض أيضاً:

وإذا يئسْتُ من الدنـ
أرجو الشهادةَ في هوا
وُ رغبْتُ في فرطِ البعادِ
ك لأن قلبي في الجهادِ

وقال:

ومعويِدٍ للكرِّ في حُمسِ الوغى
حملَ القناةَ إلى أغرِّ سَميدِ
غادرته والفرُّ من عاداته^{٣٩٨}
دخَّال ما بين الفتى وقناته

^{٣٩٨} الحُمس بالضم: أماكن القتال الصلبة، والمعنى: كم من رجلٍ تركته منزهماً، وإن كان متعوِّداً الكرَّ على الفرسان في ساحات القتال، فهو معتادٌ أن يفرَّ من أمام وجهي.

ديوان أبي فراس الحمداني

لا أطلبُ الرزقَ الدنيءَ منألهُ قوتُ الهوانِ أقلُّ من مُقتاته^{٣٩٩}
علقتُ بناتُ الدهرِ تطلبُ ساحتِي لما فضلتُ بنِيه في حالاته

وقال:

هَبْهَ أَسَاءَ كَمَا زَعَمْتَ فَهَبْ لَه هَبْهَ أَسَاءَ كَمَا زَعَمْتَ فَهَبْ لَه
بِاللَّهِ رَبِّكَ لَمْ فَتَنْتَ بِصَبْرِهِ وَنَصَرْتُ بِالْهَجْرَانِ جَيْشَ سِقَامِهِ
وَجَمَعْتَ بَيْنَ جَفُونِهِ وَمَنَايِهِ فَرَّقْتَ بَيْنَ جَفُونِهِ وَمَنَايِهِ

وقال أيضاً:

فَعَلَ الْجَمِيلَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ فَعَلَ الْجَمِيلَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ
وَلَرُبُّ فَعَلٍ جَاءَ مِنْ فَعَالِهِ أَحْمَدْتَهُ وَذَمَّمْتُ مَا يَأْتِي بِهِ
أَحْمَدْتَهُ وَذَمَّمْتُ مَا يَأْتِي بِهِ

وقال أيضاً:

أَلَا أَبْلُغُ سِرَاةَ بَنِي كِلَابٍ إِذَا نَدَيْتَ نَوَادِيَهُمْ صَبَاحًا^{٤٠٠}
جَزِيْتُ سَفِيهِهِمْ سُوءًا بِسُوءٍ فَلَا حَرَجًا أَتَيْتَ وَلَا جَنَاحًا^{٤٠١}
قَتَلْتُ فَتَى بَنِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ وَأَوْسَعَهُمْ عَلَى الضَّيْفَانِ سَاحًا
قَتَلْتُ مَعُودًا عَلَّلَ الْعَشَايَا تَخَيَّرْتُ الْعَبِيدَ لَهُ اللَّقَاحَا^{٤٠٢}
وَلَسْتُ أَرَى فَسَادًا فِي فَسَادٍ يَجْرُ عَلَى فَرِيقِيهِ صِلَاحًا

^{٣٩٩} أي: إن قوت الهوانِ أدلُّ من الذي يَقتاتُه.

^{٤٠٠} يقال نداه: إذا أحضره، والنوادي: جمع نادي وهي مُجْتَمَعُ النَّاسِ.

^{٤٠١} أي: لا حرج عليّ ولا إثم إذا جازيت السُّفْهَاءَ بِسُوءٍ عَلَى تَحْمُلِهِمْ.

^{٤٠٢} يقول: قتلت الذي تعود أن يعل ويشرب مرّةً أخرى من لبن اللقاح، واللقاح: جمع لقوح وهي الناقة

الكلوب.

وقال يرثي أخته:

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ خِدْنُ الْوَفَا
فَإِنْ كُنْتَ تَصَدِّقُ فِيمَا تَقُولُ
وإِلَّا فَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُو
عَقِيلَتِي اسْتُلِبْتُ مِنْ يَدَيَّ
وَكُنْتُ أَقِيكَ إِلَى أَنْ رَمَتِكَ
فَمَا نَفَعْتَنِي تُقَاتِي عَلَيْكَ
فَلَا سَلِمْتَ مَقْلَةً لَمْ تَسَحَّ
يَعْزُونَ عَنْكَ وَأَيْنَ الْعِزَاءُ
وَلَوْ رَدَّ بِالرُّزْءِ مَا تَسْتَحِقُّ
وقد حجب الموتُ من قد حجبُ
فمُتُّ قَبْلَ مَوْتِكَ مَعْ مَنْ تُحِبُّ ٤٠٣
نَ مَا بَيْنَ حَيٍّ وَمَوْتٍ نَسِبُ
وَلَمَّا أُبِعَهَا وَلَمَّا أَهَبُ ٤٠٤
يَدُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ
وَلَا صَرَفْتُ عَنْكَ صَرَفَ النُّوبِ
وَلَا بَقِيَتْ لِمَةً لَمْ تَشِبْ
وَلَكِنَّهُ سَنَةٌ تُسْتَحَبُ
لَمَّا كَانَ لِي فِي حَيَاةِ أَرَبٍ ٤٠٥

وقال:

لطيرتي بالصداع نالت
وجدتُ فيه اتفاقَ سوء
فوق مَنال الصداع مني
صدَّعني مثل ما صدَّعني ٤٠٦

وقال:

وَقَعَّ لِي يُخْرِجُ لِي حَالَهُ
فَأَخْرَجَ الْكَاتِبَ هَذَا فَتَى
فَزَادَنِي عِلْمًا إِلَى عِلْمِهِ
دِيوَانُنَا مَفْتَحُ بِاسْمِهِ ٤٠٧

٤٠٣ أي: إن كنت تزعم أنك ذو وفاء وقد مات من يعزُّ عليك، فمُتُّ معه قبل أوان موتك إن كنت صادقًا.

٤٠٤ العقيلة: السيدة المخدرة وهو يخاطبها.

٤٠٥ يقول لو ردَّت تلك المصيبة ما تستحقه تلك العقيلة، لفيدنا رزءها بالأرواح كارهين الحياة.

٤٠٦ يقول: في معنى البيتين إن تطيرني بالصداع نال مني ما لم ينلَّه الصداع مني، ولقيت منه اتفاقَ سوء؛

لأنَّ التطير بصدِّ المحبوب عنه كالصداع.

٤٠٧ يقول: أخرج كاتب سلطان المحبة؛ فما حقي أن ديوانه الذي كتب فيه أسماء العشاق مفتتح باسم

هذا الفتى الذي هو أبو فراس.

ديوان أبي فراس الحمداني

قد بين الحب على وجهه وأثر الهجر على جسمه
حتى إذ أوصلت خرجي وقد آمنت أن تبقى على ظلمه
وقّع لي بين تضاعيفه يجري من الهجر على رسمه

وقال وقد أصابت خدّه طعنةً وبقي أثرها:

ما أنس قولتهنّ يوم لقيني أزري السنان بوجه هذا البائس
قالت لهنّ وأنكرت ما قلنّ لي أجميعكنّ على هواه منافسي
إنّا ليعجبني إذا عاينته أثر السنان بصحن خدّ الفارس

وقد وجد في نسخة أخرى الأبيات على التركيب الآتي:

لما رأت أثرَ السنان بخدّه ظلّت تُقابله بوجه عابِسِ
خلفَ السنانُ به مواقعَ لثمّها بئس الخِلافُ للمحبِّ البائسِ
حُسنُ السنان بفتح ما صنع القنا أثرُ السنان بصحنِ خدِّ الفارسِ

وكتب إلى سيف الدولة وقد اعتل:

وعلة لم تدع قلبًا بلا ألمٍ سمّت إلى ذرورة الدنيا وغاريها
هل تقبل النفس عن نفسي فأفديّه الله يعلم ما تعلو عليّ بها^{٤٠٨}
لئن وهبتك نفسًا لا نظير لها فما سمحت بها إلا لواهبها

وقال وقد صفح عن بني كلاب:

أفرّ من السوء لا أفعله ومن موقفِ الظلم لا أقبله
وقُربى القَرابة أرعى له وفضلُ أخي الفضلِ لا أجهله

^{٤٠٨} أي هل تقبل العلة النفس مني عمّن هو أعز من نفسي، والله يعلم أنه غير غال إذا فديته بها.

وأبذل عدلي للأضعفين
وقد علم الحيُّ حيُّ الضبابِ
بأنِّي كُففتُ وأني عَففتُ
فعدادتِ عِدائي بأحقاِديها
وذاكَ لأنِّي شديدُ الإِبا
وللشَّامخِ الأنفِ لا أبذلهُ^{٤٠٩}
وأصدُقُ قَيلِ الفتى أفضلهُ
وإنْ كرهَ الجَيشُ ما أفعَلُهُ
وقد عَقَلَ الأمرَ من يفعَلُهُ
ءَ أَكَلُ لَحْمي ولا أُوكِلُهُ

وقال:

الآنَ حينَ عرفتُ رُشْدَ
ونَهِيتُ نفسي فانتهتُ
ولقد أقامَ على الضَّلا
الحبِّ فيه مَذَلَّةُ
هيئاتِ لستُ أبا فِرا
سِدي واغتديتُ على حدْرُ
وَرَجرتُ قلبي فانزَجِرُ
لَهْ ثم أذعنَ واستَمَرُ
إِلا على الرجلِ الذَّكْرُ
سِ إن وفيت لمن غدرُ

وقال:

وكنتي الرسولُ عن الجوابِ تطرُفاً
قُلْ يا رسولُ ولا تحاشِ فإنه
الذنبُ لي فيما جناهُ لأنني
ولئن كنتي فلقد علمنا ما عنى
لا بدَّ منه أساءَ بي أم أحسنًا
مكنته من مُهجتي فتمكَّننا

وقال وقد اعتلَّ بقسطنطينية:

أبنيَّتِي لا تجزعي
أبنيَّتِي صَبْرًا جَمِيـ
نُوحِي عليَّ بحسرة
قولِي إذا ناديتني
زَيْنُ الشَّبابِ أبو فِرا
كُلُّ الأنامِ إلى الذَّهابِ
لَا للجليلِ من المُصابِ
من خَلَفِ سِتركِ والحجابِ
وعِيتُ عن ردِّ الجوابِ
سِ لم يمتَّعُ بالشَّبابِ

^{٤٠٩} أي يَضَعُ الرِّفْقَ في موضعه، والشدة في موضعها.

وقال:

لِنِ لِلزَّمَانِ وَإِنْ صَعِبَ
لَا تَتَعَبُنْ مِنْ غَالِبِ الْـ
وَإِذَا تَبَاعَدَ فَاقْتَرَبُ
أَيَّامٍ كَانَ لَهَا الْغَلَبُ

وقال أيضًا:

اعلمي يا أُمَّ عمرو
أنا إن جِدْتُ بوصولِ
لا تبيعيني برخصِ
زادَكَ اللهُ جمالاً
أحسنَ العالمِ حالاً
إنَّ مَنْ مثلي يُغالي

وقال:

إِلَيْكَ أَشْكُو مِنْكَ يَا ظالِمِي
أَعَانَكَ اللهُ بِخَيْرٍ أَعْنُ
إِذْ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ عَوْنٌ عَلَيْكَ
مَنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ

وقال أيضًا:

ليس جودٌ له عطيةٌ سؤلٍ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً
قد يهزُّ السؤالُ غيرَ الجوادِ
لم تذُقْ فيه ذلَّةَ التُّردادِ

وقال في المجون:

تواعدنا لأذارٍ
وقُمتنا نسحبُ الرِّيطِ
بمسعى غيرِ مختارٍ
إلى حانَةِ خَمَارِ^{٤١٠}
فلم ندرِ وقد فاحت
لنا من جانِبِ الدارِ^{٤١١}

^{٤١٠} الرِّيط: جمعُ رَيطَةٍ وهو النَّوْبُ الرَّقيق.

^{٤١١} المعنى في «فاحت» راجعٌ إلى الخمر، وإن لم تُذكر فقد علّمت من السِّياق.

بِخَمَّارٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَلْنَا أَمْ بَعَطَّارٍ
وَقَلْنَا أَوْقِدِ النَّارَ لَطَّرَاقٍ وَزُورٍ
وَمَا فِي طَلَبِ اللَّهْوِ عَلَى الْفَتِيَانِ مِنْ عَارٍ

وقال أيضًا:

سَلَامٌ رَائِحُ غَادِي عَلَى مَنْ حَبُّهَا الْهَادِي
عَلَى مَنْ حَبُّهَا الْهَادِي إِذَا مَا زَرْتُ وَالْحَادِي^{٤١٢}
أَحْبُّ الْبَدْوِ مِنْ أَجْلِ غَزَالٍ فِيهِمْ بَادٍ
أَلَا يَارِبَّةَ الْحَلِي عَلَى الْعَاتِقِ وَالْهَادِي^{٤١٣}
لَقَدْ أَبْهَجْتِ أَعْدَائِي وَقَدْ أَشَمَّتْ حَسَّادِي
بَسُقْمٍ مَا لَهُ رَاقٍ وَأَسْرَ مَا لَهُ فَادٍ
فِإِخْوَانِي وَنُدْمَانِي وَعَدَّالِي وَعُودِي
فَمَا أَنْفَكُ فِي ذِكْرَا كِ فِي نَوْمٍ وَتَسْهَادِ
بِشَوْقٍ فِيكَ مَعْتَادِ وَطَيْفٍ مِنْكَ مُعْتَادِ
أَلَا يَا زَائِرَ الْمَوْصِ لِحَايِي ذَلِكَ النَّادِي
فَبِالْمَوْصِلِ إِخْوَانِي وَبِالْمَوْصِلِ أَعْضَادِي
وَقُلِّ لِلْقَوْمِ يَأْتُونِي مِنْ مَثْنَى وَإِفْرَادِ
فَعِنْدِي خِصْبُ زُورٍ وَعِنْدِي رِيٌّ وَوَادِي
وَعِنْدِي الظِّلُّ مَمْدُودِ عَلَى الْحَاضِرِ وَالْبَادِي
أَلَا لَا يَعْقِدُ الْعَجْزُ بِكُمْ عَنْ مَنْهَلِ الصَّادِي
فَإِنَّ الْحَجَّ مَفْرُوضٌ عَلَى الْعَاكِفِ وَالْبَادِي^{٤١٤}
كَفَانِي سَطْوَةَ الدَّهْرِ جَوَادٌ نَسْلُ أَجْوَادِ

^{٤١٢} الهادي: المتقدم في السير، والحادي: المتأخر.

^{٤١٣} العاتق: المنكب، والهادي: العنق.

^{٤١٤} البادي هنا من الابتداء.

فما يصبو إلى أرضٍ سوى أرضي وروادِ
وقاهُ الله فيما عا شَ شَرَّ الزَمَنِ العادِي

وقال في الغزل:

عدتني عن زيارتك عَوادي أقلُّ مَخَوفها سُمر الرِّماحِ^{٤١٥}
وَأَنْ لِقَاءَهَا لِيَهونُ عِندي إذا كان الوصولُ إلى نَجاحِ^{٤١٦}
ولكن بيننا بَيْنٌ وهجرٌ أأرجو بين ذينك من صلاحِ
وقمت ولو أطعت رسيْسَ شوقي ركبتُ إليك أعناق الرِّياحِ^{٤١٧}

وقال أيضاً:

ولما تخيرتُ الأَخْلَاءَ لم أَجدُ صبوراً على حفظ المودَّةِ والعهدِ
سليماً على طيِّ الزمان ونشره أَمِيناً على النَّجوى صحيحاً على البُعدِ
ولما أساءَ الظنُّ بي مَنْ جعلتُه وإيائي مثل الكفِّ نيطتُ إلى الرِّندِ^{٤١٨}
حملتُ إلى ضني بهِ سوءُ ظنُّه وأيقنتُ أني من الإخاءِ له وَحدي
وَأني على الحالين في العَتَبِ والرِّضَى مُقِيمٌ على ما يَعرفُ الناسُ من ودِّي

قال أبو فراس: رجعتُ بنو كعب ومن ضافهم من عشيرتهم المعروفين بالقرامطة، فأكثرُوا الغارات على نمير وضيَّقوا عليهم، فأنهضني سيفُ الدولة لمعاونتهم، فلما نزلتُ بينهم انكشفتُ بنو كعب وتفسَّحت بنو كلاب، فقلتُ في ذلك:

أحلُّ بالأرض تخشى الناسُ جانبها ولا أسائلُ أني يسرُحُ المالُ

^{٤١٥} العَوادي من العُدوان، وعدتني منعتني.

^{٤١٦} أي يهونُ عليّ ملاقاةُ سُمر الرماح، لو علمتُ أني أفوزُ بالوَصَل.

^{٤١٧} رسيْسُ شوقي: أي تَأْتِيه.

^{٤١٨} أنا وإيَّاه كالكَفِّ المتَّصلة بالرِّند، أي: كاليدِ الواجدة.

ديوان أبي فراس الحمداني

وهيبتني في طراد الخيل واقعةً
والناس فوضى ومال الحي إهمالُ
كذاك نحنُ إذا ما أزمَةُ طرقتُ
حيًا بحيثُ يخافُ الناسُ حلالُ^{٤١٩}

وقال:

عُلوجَ بني كعبٍ بأيّ مشيئةٍ
ترومُون يا حمَرَ الأنوفِ مَقامي
نفيتكمُ عن جانبِ الشامِ عَنوةً
بتدبيرِ كهلٍ في طِعانِ غُلامِ
وفتيانِ صدقٍ من غَطاريفِ وائلٍ
خفافِ اللحي سُمُّ الأنوفِ كرامِ^{٤٢٠}

وقال أيضًا:

إذا كان منا واحدٌ في قبيلةٍ
علاها وإن ضاقَ الخناقُ حَمَها
وما اشتورتُ إلا وأصبحَ شيخَها
ولا اختبرتُ إلا وكانَ فتَاها^{٤٢١}
ولا ضُربت بين القبابِ قبابُه
وأصبحَ مأوىَ الطارقينِ سِواها

وعرضت على سيف الدولة خيوله، وبنو أخيه حضورٌ فكل اختار منها، وطلب حاجته، وأمسك أبو فراس فعتب عليه سيفُ الدولة، ووجد في ذلك، فقال أبو فراس:

غيري يغيّره الفعّالُ الجافي
لا أرتضي ودًا إذا هو لم يدُمُ
عند الجفاءِ وقلّةِ الإنصافِ
نفس الحريصِ وقلّ ما يأتي به
عوضًا عن الإلحادِ والإلحافِ
إنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسِه
ولو أنه عاري المناكبِ حافِ
ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافيًا
فإذا قنعتُ فكل شيءٍ كافِ
ويحول عن شتمِ الكرامِ الوافي

^{٤١٩} الأزمة: الشدة، والحلال: جمعُ حال، خبرُ نحن.

^{٤٢٠} غطاريف وائل: ساداتها، ويقصد بخفاف اللحي: رزانة العقل؛ فإنه إذا طالت اللحية تكسج العقل، وقوله: سُمُّ الأنوف؛ إشارة إلى كبر نفوسهم.

^{٤٢١} اشتورت: تشاورت.

ديوان أبي فراس الحمداني

ويعافُ لي طَبَعِ الحَريصِ أبوتَي ومُروءَتَي وَقِنَاعَتَي وَعَفَافِي^{٤٢٢}
ما كَثُرَةُ الخِيلِ الجِيَادِ بَزَائِدِي شَرَفًا وَلَا عَدُوَ السَّوَامِ الضَّافِي^{٤٢٣}
ومكَارَمِي عَدَدُ النُجُومِ وَمَنزَلِي بَيْتُ الكِرَامِ وَمَنزَلُ الأُضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لَصُروفِ دَهْرِي عُدَّة حَتَّى كَأَنَّ صُروفَهُ أَحْلَافِي
خِيلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالقَنَا الرَّعَافِ
شئْمٌ عَرَفْتُ بِهِنَّ مَذَّأنا يَافِعُ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

وكان سيفُ الدَّولةِ وعدَ أبا فراس بإحضار أبي عبد الله بنِ المنجَمِ بالاجتماع به ليلة، فكتبَ إليه أبو فراس: قد تقدم وعدُ سيدنا سيفِ الدولة بإحضار أبي عبد الله بنِ المنجَمِ والغنا بحُضوره، وأنا سائلٌ في ذلك؛ حتى أسمعَ حسنَ العود:

أيا سَيِّدًا عَمَّنِي جودُهُ بفضلك نلتُ الثَّرى والثَّراءَ^{٤٢٤}
قَدِي أَنْ أَتَيْتُكَ فِي لَيْلَةٍ قَتَلْتُ الغِنَى وَسَمِعْتُ الغِنَاءَ^{٤٢٥}

فإن رأى سيفُ الدولة أن يتطولَ بإنجاز ما وعد، فعل إن شاء الله، فأجابه سيف الدولة:

بيني الرِجالَ وَغَيرَهُ بيني القُرى شَتانَ بَيْنَ قُرَى وَبَيْنَ رِجالِ
قَلِقٌ بِكَثْرَةِ مالِهِ وَسَلاحِهِ حَتَّى يَعرِّقُهُ عَلى الأَبْطالِ

أنا مشغولٌ بقرعِ الحوافِرِ عن المَزهَرِ، قال العلوي:

أسمعاني الصياحَ بالأمبِيس وصريفِ العيرانةِ العيطُموسِ^{٤٢٦}

^{٤٢٢} أي: يَمَنعني مِنَ التَّطَبُّعِ بِطَبَعِ الحَريصِ أَني أُبَيُّ النَفْسِ ذُو مَروءَةٍ وَقِناعَةٍ وَعَفافٍ.

^{٤٢٣} أي: لا كَثُرَةُ الخِيلِ وَلَا كَثْرَةُ المَواشِي تَزِيدُ لي شَرفِي.

^{٤٢٤} الثَّرى بِالقَصْرِ: حُسنُ العِطاءِ، وَبالمَد: الخَيْرِ.

^{٤٢٥} الغِنَى بِالقَصْرِ: الثَّرِوةُ. وَبالمَدُّ التَّغْنِي.

^{٤٢٦} الأَمبِيس: اسمُ مَكانٍ، وَالعِيرانَةُ مِنَ الإِبِلِ: وَصَفَ لَها بِأَنها تَغارُ مِنَ سَيرِ رِفاقِها، وَالعِيطُموسُ: الطَيبُ الخَلقُ مِنَ الإِبِلِ.

ديوان أبي فراس الحمداني

واترُكّاني من قَرعِ مِزْهَرٍ رِيًّا واختلافِ الكَثُوسِ بالخَنْدِريِّسِ^{٤٢٧}
ليس يُبْنِي العُلاَ بذاك ولا يُو جَدُّ كالصبرِ عندَ أمِّ ضَرُوسِ^{٤٢٨}

وإذا كنا لا نفعلُ ما قاله أسودُ بني عبس:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظله حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ

فعلى كل حال يَبْعُ الانتظارُ إن شاء الله تعالى. إلى هنا انتهى كلامُ سيفِ الدولة لأبي فراس، فأجابه أبو فراس:

محلُّك الجوزاءُ بل أرفَعُ وصدركُ الدهناءُ بل أوسَعُ
ففهْ بَنَقِرِ العودِ سمعًا غدًا قرعُ العواليِ جَلًّا ما يَسْمَعُ
وقلبك الرِّحْب الذي لم يزل وللمجد والهزلِ به موضعُ
ففضلُك المشهور لا ينقضي وفخرُك الذائعُ لا يُدفعُ

وقد أهدى الناسُ إلى سيفِ الدولة في بعض الأعياد، فأكثرُوا فاستشارَ أبا فراس فيما يُهديه، فكلُّ أشارَ بشيءٍ فخالفهم وكتب إليه:

نفسِي فداؤُك قد بعث ستَ بعُهدتي بيدِ الرِّسُولِ
أهديتُ نفسِي إنما يُهدي الجليلَ إلى الجليلِ
وجعلتُ ما ملكتُ يدي بُشْرَى المُبشِّرِ بالقبولِ
لما رأيتُك في الأنا م بلا مثالٍ أو عَدِيلِ^{٤٢٩}

^{٤٢٧} الخَنْدِريِّس: المُدَام.

^{٤٢٨} يَقْصِدُ بِأَمِّ ضَرُوسِ: الشَّدَائِد.

^{٤٢٩} يَقُولُ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ: بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِوَثِيقَةٍ مَلَكْتُكَ فِيهَا نَفْسِي هَدِيَّةً؛ إِذْ يُهْدَى إِلَى الجَلِيلِ أَجْلٌ مَا يَكُونُ، وَجَعَلْتُ جَمِيعَ مَا أَمْلِكُ بَشْرَى لِمَنْ بَشَّرَنِي بِقَبُولِكَ نَفْسِي، وَذَلِكَ لِأَنِّي رَأَيْتُكَ عَدِيمَ المِثَالِ.

ديوان أبي فراس الحمداني

وكتب أبو محمد بنُ أفلح إلى أبي فراس كتاباً، فاستحسن نظمه ونثره، فأجابه أبو فراس بقوله:

وإني كتابك مطوياً على نزه
جزل المعاني رقيق اللفظ موقه
كأنما نشرتُ يُمناك بينهما
تقسّم الحسنَ بين السمع والبصرِ
كالماء يخرج ينبوعاً من الحجرِ
بردًا من الوشي أو ثوباً من الجبر^{٤٣٠}

وقال أيضاً:

صفة الإدلال ليست
قل لمن ليس له عهد
جملة تُغني عن التف
فيذا تغيرت فما غي
عندنا ذنباً يُعدُّ
د لنا عهد وعقد
صيل ما لي عنك بد
ر منّا لك عهد

ولحقت بأبي فراس علةٌ تخلف بها عن سيف الدولة، فكتب إليه:

لقد نافسني الدهر
فما ألقى من الع
بتأخير عن الحضره
لة ما ألقى من الحسره

وكتب إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن أبي سعيد قوله:

حللت من المجد أعلى مكان
فإنك لا عدمتك العلى
كسونا أخوتنا بالصفاء
وبلغك الله أقصى الأماني
أخ لا كإخوة هذا الزمان
كما كُسيت بالكلام المعاني

^{٤٣٠} الجبر: نوعٌ من الثياب.

وقال في الغزل:

غلامٌ فوق ما أَصِفُ كَأَنَّ قِوَامَهُ أَلْفُ
إِذَا مَا مَالَ يَرَعِبُنِي أَخَافُ عَلَيْهِ يَنْقِصُ
وَأُشْفِقُ مِنْ تَأْوِيدِهِ أَخَافُ يَذِيلُهُ التَّرْفُ^{٤٣١}
سُرُورِي عِنْدَهُ لُمَعٌ وَدَهْرِي كُلُّهُ أَسْفُ^{٤٣٢}
وَأَمْرِي كُلُّهُ أَمَمٌ وَحَبِي وَحَدَهُ شَرَفُ^{٤٣٣}

وقال:

ما لي أعاتب مالي أين يذهبُ بي قد صرَّح الدهرُ لي بالمنعِ والياسِ
أبغى الوفاءَ بدهرٍ لا وفاءَ له كأني جاهلٌ بالدهرِ والناسِ

وقال وقد بلغتُه علَّةٌ والدتهِ وتقييدِ البطارقةِ بميفارقينِ فقيد هو بحرشنه:

يا حسرةً ما أكادُ أحملُها آخرُها مُزِعْجٌ وأولُها
عليَّةٌ بالشَّامِ مُفردةٌ باتَ بأيدي العدا معلَّها^{٤٣٤}
تمسِكُ أحشاءها على حُرْقٍ تُطْفئُها والهمومُ تُشعلُها
إِذَا اطْمَأَنْتُ وَأَيْنَ أَوْ هَدَاتٍ عَنَّتْ لَهَا ذِكْرَاهُ يُقْلِقُهَا^{٤٣٥}
تَسألُ عنها بكلِّ جَاهِدَةٍ بأدْمُح ما تكادُ تُهملُها
يا مَنْ رَأَى لي بحصنِ حَرشِنَةٍ أُسْدٌ وَغَى فِي القَيْوودِ أَرْجُلُهَا
يا مَنْ رَأَى لي الدروبَ شامخَةً دونَ لقاءِ الحبيبِ أطولُها

^{٤٣١} التَّرْفُ: التَّعَمُّ.

^{٤٣٢} يقول: سُرُورِي كَلْمَعَةُ البرقِ يلوح ويروح، أما أَسْفِي فممتدٌّ امتدادَ الدهرِ.

^{٤٣٣} الأَمَمُ: القَصْدُ والإِصَابَةُ.

^{٤٣٤} يقول لأمه: إنها عليَّةٌ بالشَّامِ، وإن معلَّها: أي: هو بات في قبضة الأعداء بعيدًا عنها.

^{٤٣٥} يقول: إِذَا سَكَنَ وَجَعُهَا، وَمَنْ أَيْنَ لَهُ السُّكُونُ، عَرَضَتْ لَهَا ذِكْرِي تَزَعَّجُهَا وَتُقْلِقُهَا.

يا مَنْ رأى لي القيودَ موثقةً على حبيبِ الفؤاد أثقلها^{٤٣٦}
يا أيُّها الراكبان هل لَكُما في حمل نجوى يخفُّ مَحْمُلُها^{٤٣٧}
قولا لها إن وعتَ كلامُكُما وإن زكري لها لَيذْهَلُها
يا أُمَّنا هذه منازلُنا تُنزلها تارةً وتُنزلها
يا أُمَّنا هذه مَوارِدُنا نعلُّها تارةً وننهلُها^{٤٣٨}
أسلمنا قومنا إلى نُوبٍ أيسرُها في القلوب أقتلُها
واستبدلوا بعدنا رجالٌ وغيٌّ ودون أدنى عَلاي أمتلُها^{٤٣٩}
ليست تَنالُ القيودُ من قَدَمي وفي اتباعي رضاك أحملُها
يا سيِّداً ما تُعدُّ مَكْرمةً إلا وفي راحتِيه أكملُها^{٤٤٠}
تيمُّمٌ والمياهُ تُدرِكه غيري يرضى لُصغري ويقبلُها^{٤٤١}
أنت سماءٌ ونحن أنجمُها أنت بلادٌ ونحن أجبلُها
أنت سحابٌ ونحن وابِلُه أنت يمينٌ ونحن أشملُها
فأي عذرٍ رَدَدتَ مُوجعةً عليك دون الوري معولُها^{٤٤٢}
جاءتك تمتاح رد واحدها ينتظرُ الناسُ كيف تغفلُها^{٤٤٣}
سمحت مني بمهجةٍ كَرمتَ أنت على بأسها مُؤمِّلُها
إن كنتَ لم تبذلِ الفداءَ لها فلم أزل في رضاك أبذلُها
تلك الموداتُ كيف تهملُها تلك المواعيدُ كيف تغفلُها
تلك العقودُ التي عقدتَ لنا كيف وقد أحكمتَ تحللُها

^{٤٣٦} أي: إن تلك العليلة تسألُ قائلةً من رأى بحصن حرشنة أسداً مقيداً بالحديد، أو من رأى الطُرقات حائلةً بيني وبين الحبيب، وهي مرتفعة وطويلة، أو من رأى القيودَ موثقةً بأرجل ابني وحبيبي مثقلُ بها.

^{٤٣٧} يقول للراكبين السائرين إلى أمه: هل بكما مرحمةٌ في حملٍ سرٍّ خفيفٍ محمله.

^{٤٣٨} يقولُ لأمه: إن هذه المَوارِدَ تارةً نشرب منها وتارةً نَسقي غيرنا.

^{٤٣٩} أي: إن الرجال الذين اتخذهم قومنا بعدنا للحرب، أشرفهم لا يصل إلى أدنى عَلاي.

^{٤٤٠} يخاطبُ سيفَ الدولة.

^{٤٤١} يقول: يجوزُ التيمُّمُ لمُدرِك الماء، أما أنا فلستُ كغيري يرضى بالدُّون عن العالي.

^{٤٤٢} أي: كيف أمكَنَ أن ترجع إلى الموجعة لأسري، مع أنَّ اعتمادها عليك وحدك.

^{٤٤٣} جاءت تسألُ منك خَلاصي، والناس ينتظرون على أي حالةٍ ترجع من عندك إبقاء مرامها أم بجزمانها.

أرحامنا منك لِمَ تُقَطِّعُهَا
 أين المعالي التي عُرِفْتَ بها
 يا واسعَ الدار كيف تُوسِعُها
 يا ناعمَ الثوبِ كيف تُبَدِّلُهُ
 يا راكبَ الخيلِ لو بَصُرْتَ بنا
 رأيتُ في الضرِّ أوجهاً كَرُمْتَ
 قد أثرَ الدهرُ في محاسِنِها
 فلا تَكِلْنَا فيها إلى أَحَدٍ
 لا يفتَحُ اللهُ بابَ مَكْرَمَةٍ
 أينبري دونك الأنام لها
 وأنتَ إن عَزَّ حادثٌ جَلُّ
 منك تردى بالفضلِ أفضلُها
 فإن سألنا سواكَ عارفةً
 إذا رأينا أولى الكرامِ بها
 لم يبقَ في الأرضِ أمةٌ عَرَفْتَ
 نحن أحقُّ الورى برأفتهِ
 يا منفقَ المالِ لا يريدُ به
 أصبحتَ تجري مكارمًا فضلاً
 لا يقبلُ اللهُ منك فرضَكَ ذا
 ولم تزلْ دائماً توصلُها
 تقولُها دائماً وتفعلُها
 ونحن في صخرة نزلِها^{٤٤٤}
 ثيابنا الصوف ما نبذلُّها
 نحملُ أقيادنا وننقلُها
 فارقَ فيك الجمالَ أجملُها^{٤٤٥}
 تعرَّفُها تارةً وتجهلُها
 معلُّها محسناً يعلُّها
 صاحبها المستغاث يقفلُها
 وأنتَ قمقامها ومعقلُها^{٤٤٦}
 قلبها المرتجي وحوَّلُها^{٤٤٧}
 منك أفادَ المنوالَ أنوَّلُها
 فبعدَ قطعِ الرجاءِ نسألُها^{٤٤٨}
 يضيُّعُها جاهداً ويهمِّلُها
 إلا وفضلُ الأميرِ يشمِّلُها
 فأين عَنَّا وأين معدلُها
 إلا المعالي التي يؤثِّلُها
 فداءنا قد علمتَ أفضلُها^{٤٤٩}
 نافلةً عنده تنفلُها^{٤٥٠}

^{٤٤٤} يعني: كيف توسع دارك، ونحن في الأسر نقلع الحجارة.

^{٤٤٥} رأيت: جواب «لو» في البيت الذي قبله.

^{٤٤٦} انبرى: اعترض، والقمام: السيد، والمعقل: الملجأ.

^{٤٤٧} أي: المحتال البصير في تغلب الأمور.

^{٤٤٨} العارفة: الإحسان.

^{٤٤٩} قوله: «قد علمت» جملة معترضة والفضل بضمّين المتفضل.

^{٤٥٠} المشار إليه بذا: فداء أبي فراس.

وكتب معها هذين البيتين:

قد عذَّب الموتُ بأفواهنا
والموتُ خيرٌ من مقامِ الدليلِ
إنَّا إلى الله لما نابنا
وفي سبيلِ الله خيرُ السبيلِ

وكتب إلى أبي المكارم، وأبي المعالي:

يا سيدي أراكما
أوجدتما بدلاً به
أوجدتما بدلاً به
ما كان بالفعلِ الجَميدِ
فخذاً فداي جعلت من
لا تذكران أخاكما
يبني علاء علاكما
يفري نحورَ عداكما^{٤٥١}
لِ بمثله أولاكما
ريب الزمان فداكما^{٤٥٢}

وقال من ألم عوفي منه:

فلا تصفَن الحربَ عندي فإنَّها
وقد عرفت زُرُق المسابير مُهجتي
وأنفقت من عمري بغير حسابٍ
طعامي من بَعَد الصبا وشرابي
وشُقِّق عن زُرُق النُّصالِ إهابي^{٤٥٣}
ولحلت في حلو الزمان وممره

وكتب وهو بخرشنة:

إن زرتَ خرشنةً أسيراً
ولقد رأيت النارَ تحـ
فلقد أحطت بها مُغيراً^{٤٥٤}
ترقُّ المنازلَ والقُصورا

^{٤٥١} يفري: يقطع.

^{٤٥٢} أي خذا لي من سيف الدولة مالا أفندي به نفسي.

^{٤٥٣} المسابير: جمع مسبار وهو آلة يسبر بها الأطباء عمق الجراح، والإهاب: الجلد.

^{٤٥٤} يقول: إن جئت خرشنة الآن أسيراً، فلا غرو فقد احتطت بها قبل الآن في أثناء إغارتها عليها، وأوقعت بها ما يأتي.

ديوان أبي فراس الحمداني

ولقد رأيتُ السبِيَّ تُجَدِّ لب نحونا حوًّا وحوًّا^{٤٥٥}
نختار منه الغادة الـ حَسَنَاءَ وَالظَّبِيَّ الْغَرِيْرَا^{٤٥٦}
إن طال ليلي في ذرا كَ لَقَد نَعَمْتُ بِهِ قَصِيْرَا
ولئن لقيتُ الحزنَ فيـ ك لَقَد لَقِيْتُ بَكَ السُّرُورَا
ولئن رُميت بحادثٍ فَلأَلْفِيْنَنَّ لَهُ صَبُورَا
صبرًا لعلَّ الله يفـ تَحُ هَذِهِ فَتَحًا يَسِيْرَا^{٤٥٧}
من كان مثلي لم يمُت إِلا قَتِيْلًا أَوْ أُسِيْرَا
ليستُ تحل سَراتنا إِلا الصَّدُورَ أَوْ القُبُورَا

وقال يصف أسرَه وقد حضر العيد:

يا عيد ما عدتَ بِمَحْبُوبٍ على معنَى القَلْبِ مَكْرُوبٍ
يا عيد قد عدت على ناظرٍ في كلِّ حَسَنٍ فِيكَ مَكْذُوبٍ
يا وَحْشَةَ الدارِ التي رُبُّها أَصْبَحَ في أَثُوبِ مَرْبُوبٍ^{٤٥٨}
وظلع العيد على أهله بوجهِ لا حَسَنٍ ولا طيِّبٍ
ما لي وللدَّهرِ وأحْدائِهِ لَقَد رَمَانِي بِالْأَعاجِيبِ

وقال يصف منازلَه بمنبج:

قَف في رُسُومِ المُسْتَجَا بِ وَحِيٍّ أَكْنافِ المِصْلَى
فالجوسق الميمون فالـ سُقِيَا بِهَا فَالنَهْرُ أَعْلَا
تلك المَنازِلُ والملا عُبُ لا أَرَاهَا اللهُ مَحْلا
حيث التفتتُ وجدتُ ما ءَ سايحًا وَوَجَدْتُ ظِلًّا

^{٤٥٥} الحو: الضاربة إلى السُمرَة، والحوراء: البيضاء إلى الصفرة.

^{٤٥٦} الغرير: الحَسَنُ الخلق.

^{٤٥٧} يخاطبُ نَفْسَه فيقولُ لها: اصبري لعلَّ اللهُ يَأْتِي بالفرج.

^{٤٥٨} أراد بربِّ الدار نَفْسَه أَصْبَحَ في أَسْرِهِ، يلبس لباس مَرْبُوبٍ؛ أي: الخدم.

ديوان أبي فراس الحمداني

وتحلُّ بالجِسرِ الجِنا ٤٥٩
تجلو عرائسه لنا
وإذا نزلنا بالشَّوا
والماءُ يفصلُ بينَ رو
كبساطِ خِرِّ جرَّدتُ
مَن كان سرًّا بما دها
ما غَضُّ مني حادثٌ
أنِّي حللتُ فإنَّما
فلئن خلصتُ فإنني
ما كنتُ إلا السيفَ زا
ولئن قُتلتُ فإنَّما
يغترُّ في الدنيا الجَهُو
ن وتسكنُ الحصنَ المعلَّى ٤٥٩
هَرَجَ الذبابُ إذا تجلَّى ٤٦٠
جير اجتنينا العيشَ سهلاً
ضِ الزَّهرِ في السطينِ فصلاً
أيدي القُيودِ عليه نَصلاً
ني فليمتُ ضرًّا وهزلاً ٤٦١
والقَرَمُ قَرَمٌ حيثُ حلًّا
يدعونني السَّيفُ المحلَّى
شرفُ العِدا طِفلاً وكهلاً
دَ على صروفِ الدَّهرِ صَقلاً
موتُ الكرامِ الصَّيْدُ قَتلاً
لُ وليس في الدنيا مملَّى ٤٦٢

وقال يفتخر وهذه القصيدة من غرر قصائده المتداولة على ألسنة الناس، وقد كساها من حلل البلاغة أبهى لباس:

أراك عصيِّ الدمع شيمتك الصبرُ
نعم أنا مشتاقٌ وعندي لوعةٌ
إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى
تكادُ تضيءُ النارُ بينَ جوانحي
أما للهوى نهى عليك ولا أمرٌ ٤٦٣
ولكنَّ مثلي لا يُذاع له سرُّ
وأذلتُ دَمْعاً من خلائقه الكِبَرُ ٤٦٤
إذا هي أذكتُّها الصَّبابة والفكرُ

٤٥٩ وتحلُّ: معطوف على «وجدت» في البيت السابق.

٤٦٠ يقول: تكشف عرائس ذاك الحصن لنا عن صوت الذباب لتجلي فيها، كأن القينات لكترتهنَّ لهنَّ هرج وأصوات كهرج الذباب.

٤٦١ هزلاً سقماً.

٤٦٢ المملَّى المنع في الدنيا عيشاً طويلاً.

٤٦٣ الخطابُ لنفسه على طريقة التجريد، كأنه جرَّد من نفسه شخصاً آخر، وقال له أراك ... إلخ.

٤٦٤ الضَّاوي: الطارق.

معلّتي بالوعد والموتُ دونَه
 بدوت وأهلي حاضرون لأنني
 وحاربتُ قومي في هواك وأنهم
 وإن كان ما قال الوشاةُ ولم يكن
 وفيتُ وفي بعض الوفاء مذلةُ
 وقورٌ وربعانُ الصبا يستفزُّها
 تُسألني من أنتُ وهي عليمَةٌ
 فقلتُ كما شاءتُ وشاءَ لها الهوى
 فقلتُ لها: لو شئتِ لم تتعنّتي
 ولا كان للأحزان عندي مسلكُ
 فأيقنتُ أن لا عزَّ بعدي لعاشقٍ
 فقالت: لقد أزرى بك الدهرُ بعدنا
 وقلّبتُ أمري لا أرى لي راحةً
 فعدتُ إلى حُكم الزمان وحُكمها
 كأني أنادي دون ميثاءٍ ظبيةً
 تجفّل حيناً ثم تدنو كأنما
 وإنني لنزّالٌ بكل مخوفةٍ
 وإنني لجرارٌ لكلّ كتيبةٍ
 فأصدي إلى أن ترتوي البيضُ والقنا

إذا متُّ ظمآنًا فلا نزلَ القطرُ
 أرى أن دارًا لست من أهلها قفرٌ^{٤٦٥}
 وإيائي لولا حبُّك الماء والخمرُ^{٤٦٦}
 فقد يهدم الإيمانُ ما شيّد الكفرُ
 لأنسةً في الحي شيمتها الغدرُ
 فتأزّن أحيانًا كما يأزّن المهرُ^{٤٦٧}
 وهل بفتى مثلي على حاله نُكرُ
 قتيلك. قالت: أيهم؟ فهم كثرُ
 ولم تسألني عني وعندك بي خبرُ
 إلى القلبِ لكنّ الهوى للبلا جسرُ
 وأنّ يدي مما علقْتُ به صفرُ
 فقلت: معاذَ الله، بل أنتِ لا الدهرُ
 إذا البينُ أنساني ألحّ بي الهجرُ
 لها الذنبُ لا تجزى به ولي العذرُ^{٤٦٨}
 على شرفِ ظمياءٍ حليتها الذعرُ^{٤٦٩}
 تنادي طلاً بالجري أعجزه الحصرُ^{٤٧٠}
 كثيرٌ إلى نُزالها النظرُ الشزرُ
 معودةٌ أن لا يخلُ بها النصرُ^{٤٧١}
 وأسغبُ حتى يشبعَ الذنبُ والنسرُ^{٤٧٢}

^{٤٦٥} يقول: أنا غريب بين أهلي؛ لأنك لست عندي، وكل دار لست فيها فهي قفر.

^{٤٦٦} أي ممتزجون امتزاج الماء بالخمر.

^{٤٦٧} ريعانُ الصبا: أوله، وتأرن: تنشط وتمرح.

^{٤٦٨} أي: إذا أذنبت فلا تؤخذ بذنبيها ولي أن أعتذر عن ذنبيها.

^{٤٦٩} الميثاء: الأرض السهلة، والشرف: المكان المرتفع.

^{٤٧٠} الطلا: ولد الغزالة.

^{٤٧١} الكتيبة: العسكر المجتمع.

^{٤٧٢} أصدى: أي أظمي نفسي، وأسغب أي: أجيّعها.

أو الجيش ما لم تأتة قبلي النُّذْرُ
 طلعتُ عليها بالرَّدى أنا والفَجْرُ^{٤٧٣}
 فلم يقلها جافي اللقاء ولا وعْرُ^{٤٧٤}
 ورحت ولم يُكشَفْ لأبياتها سِتْرُ
 ولا بانَ يثنييني عن الكرمِ الفقرُ
 إذا لم أفرِ عرضي ولا وفرَ الوفرُ
 ولا فرسي مهرٌ ولا ربُّه غمرُ^{٤٧٥}
 فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
 فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُ
 وحسبُك من أمرين خيرُهما الأسرُ
 كما ردها يوماً بسوءته عمرو^{٤٧٦}
 عليّ ثيابٌ من دِمائهم حُمُرُ
 وأعقابُ رمحٍ فيهم حطْمُ الصدرُ
 وفي الليلة الظلماءِ يفتقد البدرُ
 وما كان يغلو التبرُّ لو نفق الصُفرُ^{٤٧٧}
 لنا الصِّدرُ دون العالمين أو القبرُ
 ومن يخطبُ الحسنة لم يُغلها المهرُ
 وأكرمُ من فوق الترابِ ولا فخرُ

ولا أصبحُ الحي الغيور بغارة
 وياربُّ دارٍ لم تُخفني منيعة
 وساحبة الأذيالِ نحوي لقيتها
 وهبتُ لها ما حازه الجيشُ كله
 ولا راحَ يُطغيني بأثوابه الغنى
 وما حاجتي في المال أبغي وفوره
 أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى
 ولكن إذا حمَّ القضاء على امرئٍ
 وقال أضحابي الفرارُ أو الردى
 ولكنني أمضي لما لا يعيبنني
 ولا خيرَ في دفع الردى بمذلة
 يمتنون أن خلوا ثيابي وإنما
 وقائمٌ سيفٍ فيهم دون نصله
 سيدكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم
 ولو سدَّ غيري ما سدَّت اكتفوا به
 ونحن أناسٌ لا توسطُ بيننا
 تهون علينا في المعالي نفوسنا
 أعزُّ بني الدنيا وأعلي ذوي العُلا

^{٤٧٣} يقول: وربُّ أهل دارٍ ذوي منعة، أعرّت عليهم وقت الفجر.

^{٤٧٤} أي: وربُّ مخدرة تجرُّ أذيالها جاءتني تشفع في عشيرتها، فلقيتها بالبشاشة ولم أجفها.

^{٤٧٥} الغمر: الغافل الذي لم يجرب الأمور. وقوله: «ولا فرسي مهر» أي: إن المهر لا يطاوع في الكرّ والفرّ.

^{٤٧٦} وذلك أن عمرواً لما أدركه الإمام عليٌّ وأراد قتله، كشف سوءته لِعلمه أنه لم يرَ سوءة قط، فكفّ؛ ولهذا

قيل فيه: كرم الله وجهه.

^{٤٧٧} الصُفر: النحاس.

وكتب إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد يعذله على ما لحقه من الجزع عند أسره، ويذكر قومًا عجزوا رأيه أي تثبّطوه في الثبات:

أتيتك إنني للصبابة صاحبُ
وما أدعى أن الخطوبَ فجأنتني
ولكنني ما زلتُ أرجو وأتقي
وما هذه في الحبِّ أولُ مرّةٍ
عليّ لربيعِ العامريّةِ وقفَةٌ
ولا وأبي العشاق ما أنا عاشقُ
ومن مذهبي حبُّ الديارِ وأهلها
تكاثرَ لُوامي على ما أصابني
ألم يعلم الذلّانُ أن بني الوغى
وأن وراءَ الحربِ مني ودونه
أرى ملءَ عيني الردى وأخوضه
ومضطغنٍ لم يحمل السرَّ قلبه
تردى رداءَ الظلِّ لما لقيته
ومن شرفي أن لا يزالَ يعيبني
رمثني عيونُ الناسِ حتى أظنها
ولست أرى إلا عدوًّا محاربًا
فهم يُطفئون المجدَ واللّه واقدُ

وللنوم مذ زال الخليطُ مُجانِبُ
لقد خبّرتني بالفراقِ النواعِبُ
وجدَّ وشيكُ البينِ والقلبُ لاعِبُ
أسأَنَ إلى قلبي الظنونُ الكواذبُ
يمليّ عليّ الشوقُ والدمعُ كاتبُ
إذا هي لم تلعبُ بصبري الملاعبُ^{٤٧٨}
وللناسِ فيما يعشقون مذهبُ
كأن لم تَنبُ إلا بأمرِ النوائِبُ
كذاك سليبُ بالرّماحِ وسالبُ^{٤٧٩}
مواقفُ تُنسى عندهنَّ التجاربُ
إذا الموتُ قدّامي وخلفي النواذبُ^{٤٨٠}
تلقتَ ثم اغتابني وهو هائبُ
كما يتردى بالغبارِ العناكبُ
حسودُ على الأمرِ الذي هو عائبُ
ستحسُدني في الحاسدينِ الكواكبُ^{٤٨١}
وأخرَ خيرٌ منه عندي المحاربُ^{٤٨٢}
وهم ينقصون الفضلَ واللّه واهبُ

^{٤٧٨} يقسم أنه لا يحسب نفسه عاشقًا، ما لم يذهب صبره بالكلية.

^{٤٧٩} الذلان: الأذلاء، يقول: ألا يعلم الأذلاء اللائمون أنّ رجال الحرب يأسرون ويؤسرون.

^{٤٨٠} أي: إن الموت أخصُّ به الأعداء، والنادبات خلفي يندبن من أميته منهم.

^{٤٨١} يقول: رمثني عيونُ الناسِ بالحسد، حتى ظننت تلك العيون الحاسدة تحسُدني معها الكواكب،

فيكون المعنى: حتى أظن الشأن والقصة أن الكواكب تحسُدني في جملة الحاسدين.

^{٤٨٢} يقول: وعندي أن العدو الذي يظهر عداوته ويحاربني خيرٌ من ذاك العدو.

ولم يَعْلَمُوا أَنَّ المعالي مواهبُ
 وهل يعلم الإنسان ما هو كاسبُ
 وهل من قضاءِ الله في الناس هاربُ
 ولا ذنبَ لي إن حارَبْتَنِي المطالبُ
 وليس علينا إن نَبَوْنَ المضاربُ
 فلا الدرْعُ مَنَاعٌ ولا السيفُ قاضِبُ
 ولا صاحبٌ مما تَخَيَّرتْ صاحبُ
 أوانس لا ينفِرْنَ عني ربائبُ^{٤٨٣}
 لكافرٌ نُعمى إن فعلتِ موارِبُ^{٤٨٤}
 فلا القولُ مردودٌ ولا العذرُ ناصِبُ
 ولا شابٌ ظني قطُّ فيه الشوائِبُ
 ويجذبني شوقي إليه المجاذِبُ
 وهنَّ عواصٍ في هواه غوالِبُ
 سواك إلى خلقٍ من الناس راغبُ^{٤٨٥}
 ولا تُقبَلِ الدنيا وغيرُك واهِبُ
 ولا أنا من كلِّ المشارِبِ شارِبُ
 إذا لم تكنْ بالعزِّ تلك المكَاسِبُ
 إذا استنزلتْهُ عن عُلاه الرِّغائبُ^{٤٨٦}
 على النَّأيِ أحبَّابُ لنا وحبائبُ^{٤٨٦}
 أب أخي بعدي أم الصبرِ آيبُ^{٤٨٧}

ويرجون إدراكَ العُلا بنُفوسهم
 وهل يدفعُ الإنسانُ ما هو واقعُ
 وهل لقضاءِ الله في الناس غالبُ
 عليَّ طِلابُ العزِّ من مستقرِّه
 وعندي صدقُ الضَّرْبِ في كلِّ معرِكِ
 إذا الله لم يُحرزك مما تخافُه
 ولا سابقٌ مما تجنَّبْتُ سابقُ
 عليَّ لسيفِ الدَّولةِ القرم أنعمُ
 أأجدهُ إحسانَه لي وإنني
 لعلَّ القوافي عِفنَ عما أزدتُه
 وما شكَّ قلبي ساعةً في وِداده
 يؤرِّقني ذكري له وصبايئةُ
 ولي أدمعُ طَوِعي إذا ما أمرتُها
 فلا تخش سيفَ الدَّولةِ القرم إنني
 فما تلبس النُّعمى وغيرك منعمُ
 ولا أنا من كلِّ المطاعم طاعمُ
 ولا أنا راضٍ إن كثرن مكَاسبي
 ولا السيِّدُ القمقامُ عندي بسيدٍ
 أيعلِّم ما ألقى نعمَ يَعلمونه
 أأبقى أخي دمعا أذاقُ أخي عزا

^{٤٨٣} جمعُ ربيبة، وهي: الملك، وهو: القطيعُ من بقر الوحش.

^{٤٨٤} الموارِب: العادلُ عن الحقِّ المُخاتل.

^{٤٨٥} يقول: لا تخفْ يا سيفَ الدَّولة؛ إنني راغبٌ إلى خلقٍ من الناس سواك، بل رغبتي فيك وإليك.

^{٤٨٦} إن جُملة «نعم يعلمونه» مُعتزلةٌ بين الفعلِ وفاعله، والمعنى أيعلِّم أحبَّابُنَا ما ألقى من ألم البُعد، نعم يعلمون.

^{٤٨٧} يخاطب أخاه بالموثَّة. وآب: رجع.

بنفسي وإن لم أرض نفسي ركبُ
 قريح مجاري الدَّمع مستلب الكرى
 أخ لا يُدقني اللهُ فقدانَ مثله
 تجاوزتِ القربى المودَّة بيننا
 ألا ليتني حُمّلت همِّي وهمَّه
 فمن لم يجد بالنفس دون حَبيبه
 أتاني مع الرُّكبان أنك جازعُ
 وما أنت ممن يُسخط اللهَ فعله
 وإني لمجازعُ ولكنَّ همَّتي
 ورقبة حسادٍ صبرتُ اتقاءها
 وكم من حزينٍ فوق حُزني واله
 ولستُ ملومًا لو بكيَّتكَ من دمي
 ألا ليت شعري هل تبيتُ معدَّةً
 فتعتذر الأيامُ من طولِ ذنبها

يُسائلُ عني كلِّما لآخ راكبُ
 يُقلِّقه همُّ من الشوق ناصبُ^{٤٨٨}
 وأين له مثل وأين المقاربُ
 فأصبحُ أدنى ما يُعد المناسبُ^{٤٨٩}
 وأن أخي ناءٍ عن الهم عازبُ
 فما هو إلا ما ذُق الحبِّ كاذبُ^{٤٩٠}
 وغيرُك يخفى عنه لله واجبُ
 وإن أخذتُ منه الخطوب السوالبُ
 تُدافع عني حسرة وتُغالبُ
 لها جانبٌ مني وللحزن جانبُ^{٤٩١}
 ولكنني وحدي الحزين المراقبُ
 إذا فُقدتُ مني الدُموع السواكبُ
 تناقلُ بي يومًا إليك الركائبُ
 إليّ ويأتي الدهرُ والدهر تائبُ

وكتبَ إلى سيفِ الدَّولة يعرِّفه خروجَ الدمستق إلى الشام في جموع الروم، ويحثُّه على
 الاستعداد ويدنِّره أمره ويسأله تقديم فدائه:

أتعز أنت على رسوم معان
 فرضُ عليّ لكل دارٍ وقفةُ
 فأقيم للعبرات سوق هوان
 تقضي حقوق الدار والأجفان

^{٤٨٨} يقول ذلك الراكب السائل تقرّحت عيناه من البكاء، وهو مَسلوب النوم والناصب هو السائل.

^{٤٨٩} المناسب: النسيب وذو النسب أيضًا، وجمع نسبٍ على غير قياس.

^{٤٩٠} الما ذُق: الذي لم يُخلص في حبه.

^{٤٩١} يقول: ومما يمني من الجزع مُراقبتي للحساد، صبرت اتقاء الشماتة؛ فتارةً أراقب الحساد فلا

أجزع، وتارة يغلب عليّ الحزن فأحزن.

لولا تذكُّرٌ من هويتُ بحاجرٍ
ولقد أراه قبل طارقةِ النَّوى
ومكانُ كلِّ مهنَّد ومجرُّ كـ
نشَرَ الزمانُ عليه بعد أنيسه
وبما وقفت فسرنِّي ما ساءني
ورأيتُ في عرصاتِه مجموعةٌ
يا واقفين معي على الدار اطلُّبا
منع الوقوفَ على المنازل طارقُ
فله إذا ونَّتِ المدامعُ أو جرَّتْ
أبكي الأحبةَ بالشَّامِ وبيِّننا
وتحتُ نفسي العاشقين لأنَّهم
فضلتُ لديّ مدامعُ فبكيتُ لـ
ما لي جَزَعْتُ من الخطوبِ وإنَّما
ولقد سُررتُ كما غَمَمْتُ عشائري
وأُسرتُ في مجرى خيولي غازياً
يرمي بنا شطرَ البلادِ مشيعُ
وأنا الذي ملأَ البَسِيطَةَ كُلَّها
إن لم تكن طالتُ سنِّي فإنَّ لي

لم أبك فيه مواعدَ النيرانِ^{٤٩٢}
مأوى الحِسانِ ومنزلُ الضِّيفانِ
لُّ مُتَّقِفٍ ومجالُ كلِّ حصانِ
حُللَ الفناءِ وكلِّ شيءٍ فانِ
منه وأضحكني الذي أبكاني
أسدَ الشَّرى وربَّارِبَ الغِزلانِ
غيري لها إن كنتما تقفانِ
أمرَ الدموعِ بمقلتي ونهاني
عصيانُ دَمعي فيه أو عصياني^{٤٩٣}
قلل الدروبِ وشاطئنا جيحانِ
مثلي على كَنَفِ من الأحرانِ
باكي بها وولَّهت للولهانِ
أخذَ المُهيمِنَ بعضُ ما أعطاني
زَمناً وهنَّائي الذي عزَّاني
وحُبستُ فيما أشعلتُ نيرانِي^{٤٩٤}
صدق الكريهةِ فائضِ الإحسانِ^{٤٩٥}
ناري وطنَّبَ في السماءِ دُخاني^{٤٩٦}
رأيي الكُهولِ وغيرَةَ الشَّبانِ

^{٤٩٢} لولا تذكُّرٌ ساكن الدار الذي أهواهُ، لما بكيت المكان الذي توقد له فيه النيران وتسمَّى مواعد النيران الأثامن والنوى، وهي حجارةٌ توضع وموقد عليها النار وهو مما يبقى من آثار الديار.

^{٤٩٣} كأنه يقول: أنا والدَّمعُ لأجل ذلك الطارق الذي دَهاني عاصيان، كما رسوم الأحبة من الوقوف بها والوقوف عليها.

^{٤٩٤} يقول: أُسرت في المكان التي كانت خيولي تجري فيه، حال كوني غازياً، وحُبست في مكان كانت نيرانِي تشتعلُ فيه.

^{٤٩٥} المشيعُ: هو سيفُ الدولة.

^{٤٩٦} شبه دُخانَه المرتفعَ من نيرانه الموقدة لِقَرى الأضياف بالخيمة ذات الأطناب.

مَمَّنْ بِهَا سَاءَ الْأَعَادِي مَوْقِفِي
يَمْضِي الزَّمَانُ وَمَا عَمَدْتُ لِصَاحِبِ
يَا دَهْرُ خَنْتَ مَعَ الْأَصَادِقِ خَلَّتِي
لَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ الَّذِي
أَيْضِعْنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ لِي حَافِظًا
إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِي أَنْ أَرَى
أَوْ أَنْ تَكُونَ وَقِيعَةً أَوْ غَارَةَ
سَيْفِ الْهُدَى مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ دَعَوْتُكَ أُنْتَنِي
هَذِي الْجِيُوشُ تَجِيئُ نَحْوَ بِلَادِكُمْ
لَيْسُوا يَنْوُنُ فَلَآ تَنْوُوا وَتَيْقِظُوا
غَضَبًا لِدِينِ اللَّهِ أَلَا تَغْضَبُوا
حَتَّى كَأَنَّ الْوَحْيَ فِيكُمْ مُنْزَلٌ
فَبَنُوا كَلَابٍ وَهِيَ قُلٌّ أُغْضِبْتُ
وَبَنُوا عِبَادٍ حِينَ أُخْرِجَ حَارِثُ
خَلُّوا عَدِيًّا وَهُوَ طَالِبُ ثَارِهِمْ
وَالْمُسْلِمُونَ بِشَاطِئِ الْيَرْمُوكِ لـ
وَحِمَاةُ هَاشِمٍ حِينَ أُخْرِجَ صَيْدُهَا
وَالْتَغْلَبِيُّونَ احْتَمَمُوا مِنْ مِثْلِهَا
وَبَغَى عَلَى عَبْسٍ حَذِيفَةُ وَانْتَنَتْ

والدهرُ يبرُزُ لي مع الأقرانِ
إلا ظفِرتُ بصاحبِ خِوَانِ
وغدرتُ بي في جملةِ الإخوانِ
لم أنسَه وأراه لا يَنسانِي^{٤٩٧}
كرَمًا ويخفِضنِي الذي أعلاني
فيه رجالًا لا تسدُّ مَكَانِي
إلا بها أثري من الفتِيانِ
يومًا يذلُّ الكفرُ للإيمانِ
إن نمتُ عنك أنام عن يقظانِ
من كل أروع ضيغمٍ سرحانِ
لا ينهض الواني لغير الواني^{٤٩٨}
لم يشتهرُ في نصره سيفانِ^{٤٩٩}
ولكم تخص فضائل القرآنِ^{٥٠٠}
فدهت قبائل مشرفين قنانِ^{٥٠١}
جرُّوا التحالفَ في بني شيبانِ
كرَمًا ونالوا الثارَ بابنِ أبانِ
مَّا أخرجوا عطفوا على ماهانِ
جرُّوا البلاءَ على بني مروانِ
فغدوا على العادين بالسُّلانِ^{٥٠٢}
منه صوارمهم ومن ذبيانِ

^{٤٩٧} استدرك بأن أخرج سيف الدولة من بين الخائنين؛ فإن كلا منهما لا ينسى الآخر.

^{٤٩٨} الواني المقصر في الأمور، لا يقدر على النهوض للمجد في أمره غير المقصر فيها.

^{٤٩٩} يقول: إن كنت لا تغضب لنفسك، فاغضب لدين الله حيث لم تشتهر السيوف لإعلاء كلمة الله.

^{٥٠٠} أي كأن آيات القرآن المنزلة بالجهاد، منزلة بحقكم.

^{٥٠١} القنان على وزن كتاب، جمع قنة، وهي أعلى الجبل.

^{٥٠٢} اسم جبل.

وسراةٌ بكرٍ بعد ضيقٍ كَبَرُوا
أبقت لبكرٍ مفخرًا وسما لها
المانعين الغنقفير بطعنهم
إنا لنلقى الخطب منك وغيره
أصبحت ممتنع الحراك وربما
ولطالما حطمت صدرٍ مثقفي
ولطالما قدت الجياد إلى العدى
أعزز عليّ بأن يحلّ بموقفي
ما زلت أكلاً كلّ ثغر موحش
شلالٍ كلّ عظيمة ذوادها
إن يمنع الأعداء حدّ صوارمي
يا راكباً يرمي الشأم بجسرة
اقرا السلام من الأسير العاني
اقرا السلام على الذين بيوتهم
الصّافحين عن المسيء تكرمًا

جمع الأعاجم من بني شروان
من دون قومهما يزيد وهاني
والثائرين بمقتل النعمان^{٥٠٣}
بموقفٍ عند الحروب معانٍ
أصبحت ممتنعًا على الأقرانٍ
ولربما أرعفت أنف سناني
قُبّ البطون طويلة الأرسان^{٥٠٤}
ويخلّ بين المسلمين مكاني
أبدًا بمقلة ساهر يقظانٍ
ضرابٍ هامت العدى طعان^{٥٠٥}
لا يمنع الأعداء حدّ لسانِي
مؤارةٍ شدنيةٍ مذعان^{٥٠٦}
اقرا السلام على بني همدانٍ
مأوى الكرام ومنزل الضيفانٍ
والمحسنين إلى ذوي الإحسان

وقال يذكر أسرّه، ومناظرة جرت بينه وبين الدمستق في الدين:

يعزُّ على الأحبة بالشأم
وإني للصبور على الرّزايا
حبيبٌ بات ممنوع المنام
ولكنّ الكلام على كلام^{٥٠٧}

^{٥٠٣} هذه الأبيات، من قوله «فبنوا كلاب» إلى هنا، إشارةٌ إلى وقائع حروب بين القبائل، وأيام لهم معروفةٌ مذكورة في التواريخ، ومقصود الشاعر بذكرها هنا انتهاضُ همة سيف الدولة، وحثُّه على قتال تلك الجيوش المتجمعة، اقتداءً بأصحاب تلك الوقائع والاجتهاد في الانتقام من الأعداء.

^{٥٠٤} أي: مضمرة البطون، طويلة الأعناق إلى العدا.

^{٥٠٥} ذوادها من الدود، وهو: الطرد والمنع، وشلال: صفةٌ ثانية لساهر في البيت الذي قبله.

^{٥٠٦} الجسرة: الناقّة الماضية، ومؤارة من المور، وهو الحركة كأنّها تذهب في الأكتاف والأطراف، وشدنية: قويّة، ومذعان: منقادٌ إلى جهة الشام.

^{٥٠٧} يجوز أن يراد الجواب على كلامي، ويجوز أن يراد بالكلامين الجراحات وهو الأصح.

جروحٌ لا يزلن يُردن مني
تأملني الدمستق إذ رأني
أتُنكرني كأنك لست تدري
وإني إن نزلتُ على ذلول
ولما أن عقدتُ صليبَ رأيي
وكنت ترى الأناة وتدعيها
وبت مؤرِّقًا من غير سُقم
ولا أرضى الفتى ما لم يُكْمَلْ
فلا هنتتها نُعمى بأخذي
أما من أعجبِ الأشياءِ علجٌ
وتكنفه بطارقةً تيوسٌ
لهم خُلِقَ الحَميرُ فلست تلقى
وأصعبُ خطبةً وأجلُ أمرٍ
يُريغون العيوبَ وأعجزتْهم
أبيتُ مبرِّاً من كلِّ عيبٍ
ومن أبقى الذي أبقيت هانتُ
ثناءً طيبٌ لا خُلفَ فيه
وعلمُ فوارِسِ الحيَّينِ أنِّي

على جُرحِ بعيدِ العهدِ دامي
وأبصرَ صبغةَ الليثِ الهُمَامِ
بأنِّي ذلك البطلُ المحامي
تركتك غيرَ متصلِ النُّظامِ^{٥٠٨}
تجللَ عقدَ رأيك في المقامِ
فأعجلك الطعان على الكلامِ
حمى جفنيك طيبَ النومِ حامي^{٥٠٩}
برأي الكهلِ إقدامَ الغلامِ
ولا وصلتُ سعودك بالتَّمامِ
يعرِّفني الحلالَ من الحرامِ
تبارى بالعتا بين الطغامِ^{٥١٠}
فتى منهم يسيرٌ بلا جزامِ
مجالسةُ اللئامِ على الكرامِ
وأَيُّ العيبِ يوجَدُ بالحُسامِ^{٥١١}
وأصبحُ سالمًا من كلِّ ذامِ^{٥١٢}
عليه مواردُ الموتِ الرُّؤامِ^{٥١٣}
وآثارُ كآثارِ الغمامِ^{٥١٤}
قليلٌ من يقومُ لهم مَقامي

^{٥٠٨} أراد بالذلولِ فرسه وقوسه غيرَ متَّصلِ النُّظامِ، أي: منحلُّ العرى مُوهنِ القوى.

^{٥٠٩} يقول: بعد أن أقتنعتك بالحجة بت أرقًا من غيرِ علة، وقد منع جفنيك لذة النومِ ظهوري عليك بالحقِّ والبرهان الساطع.

^{٥١٠} العتا: كثر الشعر، والطغام: أوغادُ الناس.

^{٥١١} يريغون أي: يطلبون، يقول: إن تلك البطارقة تطلب أن تطلع على عيبي، وإني كالسيف القاطع فكما لا عيبَ فيه فلا عيبَ فيَّ.

^{٥١٢} ليس ذامٌ مخفَّفًا التَّشديد، وإنما هو بمعنى العيبِ.

^{٥١٣} أي: من أبقى ذكرًا طيبًا كما أبقيتُ، هان عليه الموتُ الكريه.

^{٥١٤} أي: إن آثاري كآثارِ الغمامِ من أحياءِ الأرض وإظهار ما فيها من الزينة.

وفي طلبِ التَّنَاءِ مَضَى بُجَيْرٌ
أَلَامَ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلسَّبَايَا
بنو الدنيا إذا ماتوا سَوَاءَ
ألا يا صاحبي تذكّراني
إذا ما لاح لي لَمَعَانِ بَرَقِ
وجادَ بنفِسه كعبُ بن مام^{٥١٥}
ولي سمعُ أصم على الملام
وإن عمّر المعمر ألفَ عام
إذا ما شمتُّما البرقَ الشَّامي
بعثتُ إلى الأحبّة بالسَّلام

وقال يذكر أسرَه ويذكر بعضَ حساده:

لمن جاهدَ الحسادَ أجرُ المُجاهدِ
ولم أر مثلي أكثرَ الناسِ حاسداً
ولم يرَ هذا الدهرُ قبلي فاضلاً
أرى الغلَّ من تحتِ النَّفاقِ وأجتني
وأصيرُ ما لم يجلبُ الصبرُ ذلّةً
وأعلم إن فارقتُ خللاً عرفته
وهل نافعِي إن عَضني الدهرُ مُفرداً
أيا جاهداً في نيل ما نلت من عُلا
لعمرك ما طُرقَ المعالي خفيةً
وما شاهدُ العَيْنينَ فيما يريبني
إذا شئتُ جاهرتُ العدوَّ ولم أبت
صبرتُ على اللأواءِ صبرَ ابنِ حُرّة
وأعجزُ ما حاولتَ إرضاءُ حاسدي^{٥١٦}
كأنَّ قلوبَ الناسِ لي قلبٌ واحدٍ
ولم يظفر الحسادُ قبلي بماجدٍ
من العسلِ المازي بِسْمِ الأَساودِ^{٥١٧}
والأبِسِ لِلْمَذْمومِ حُلّةً حامدٍ
وحاولتُ خللاً أنني غير واجدٍ
إذا كان لي منهم قلوبُ الأباعِدِ^{٥١٨}
رويدك إنني نلتُها غيرَ جاهدٍ
ولكنَّ بعضَ السيرِ ليس بقاصِدِ^{٥١٩}
إلى أن ألقى في الأذى غيرَ شاهدٍ
أقلِّبُ فكري في وجوهِ المَكائِدِ^{٥٢٠}
كثيرِ العدى فيها قليلِ المساعِدِ

^{٥١٥} بُجير وكعب: رجلان قُتلا حباً بالتَّنَاءِ والمروءة، ولكل منهما حديثٌ.

^{٥١٦} يقول: إن أجزَّ المجاهد لحساده، مثلُ أجر المجاهد في سبيل الله، ومن المعجزات إرضاءُ الحسود؛ فإنه لا يرضى إلا بزوال النعمة عن المحسود.

^{٥١٧} المازي: نوعٌ من العسل، والأساود: الأفاعي.

^{٥١٨} يقول: ماذا ينفعني في مصائبِ الدهر، إذا كانت قلوب الأصدقاء بمنزلة قلوب الأعداء غير المقرّبين مني.

^{٥١٩} أي: ليس المستقيم يوصل إلى المقصود، بل يكونُ السير جائلاً عدلاً عن الاستقامة.

^{٥٢٠} يقول: ليس من شأنِي أن أخفي عن عدوي ما أضمرته عنه خوفاً منه، ولا من شأنِي أن أفكر بالمكائد.

وضاربتُ حتى أوَهَنَ الضربُ ساعدي
مواقِفُه عن مثل هذه الشدائدِ
وأعددت للهيجاءِ كلَّ مجالِدِ
ثَبَاتُ البكيريَّاتِ حولَ المَراودِ^{٥٢١}
أَتَتْه الرزايا من وجوه الفوائدِ
وكان يراها عدةً للشدائدِ
عقيلتُه الحسناءُ أيامَ خالدِ^{٥٢٢}
أبوه وأهلوه بشدو القصاصِ
عوائدٍ من نُعماه خير عوائدِ
لِينقِدَنِي من قَفْرِها حَسَدُ حاسِدِ
وبذلِ العُلى والمجدِ أكرم عائدِ
إلى خُصْبِ الأكنافِ عذب المَوارِدِ
له ما تشهَى من طريفٍ وتالِدِ
وقلَّدتُ أهلي غير هذي القلائِدِ
ولكنَّها في الماجدينَ الأماجِدِ

وطاردتُ حتى أبهر الجَريَ أشقري
وكنَّا نرى إن لم يصبْ مَنْ تصرَّمتُ
جمعت سيوفَ الهندِ من كلِّ بِلدَةٍ
وأكثرُت للغاراتِ عندي وعندهم
إذا كان غير الله للمرءِ عُدَّةً
فقد جرتِ الحتفاءُ قبلَ حُذيفةِ
وجرَّتْ منايا مالِكِ بنِ نُويرةِ
وأردى زوآبًا في بيوتِ عُتَيْبةِ
عسى الله أن يأتي بخيرٍ فإنَّ لي
فكم شالَ بي من فقرِ ظلماءٍ لم يكُنْ
فإن عُدتَ يومًا عاد للحربِ والنَّدَى
مرير على الأعداءِ لكنَّ جارَه
مشهَى بأطرافِ النهارِ وبينها
منعتُ حمى قومي وسدتُ عَشيرتي
خلائق لا يُوجدن في كلِّ ماجِدِ

وكتبَ إليه أبو الحسن محمد بن الأسمر يُوصيه بالصبر والتجُدُّ فقال:

وناديتُ بالتسليم خير مجيبِ
وعودٍ على نابِ الزمانِ صليبِ^{٥٢٣}
بحدِ حسامٍ أو بحدِّ قضيبِ^{٥٢٤}

ندبتُ لحسن الصبر قلبَ نجيبِ
ولم يبقَ مني غير قلبٍ مشيعِ
وقد علمتُ أمي بأنَّ منيَّتي

^{٥٢١} البكيريَّات: النُّوق، والمَراود: جمعُ مرود، وهو: الحلقة التي تربط بها الدابة.

^{٥٢٢} كانت زوجة مالك قد حضرت إلى خالد، تسألُه إطلاقَه من الأسر، وقد قبض عليه أمير المؤمنين، فلمَّا رآها خالد بن الوليد مالَ إليها، فقتل زوجها طمعًا بها.

^{٥٢٣} يقول: قد فني بدني، ولم يبقَ مني إلا قلبٌ في معرض الزوال، وعود وهو: العظيم الصلب على عَضِّ الزمانِ ومَضِضِه.

^{٥٢٤} القضيب: الرُّمَح.

كما علمت من قبل أن يغرق ابنها
تجشمت خوف العار أعظم خطّة
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه
ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعب
رضيتُ برأيّ كان غير موفق
بمهلكه بالماء أم سبب
وأملت نصرًا كان غير قريب
وفارق دين الله غير مصيب^{٥٢٥}
ولا حب خوف بالحروب حبيب^{٥٢٦}
ولم ترض نفسي كان غير نجيب^{٥٢٧}

وقال وقد جرت بينه وبين الدمستق مناظرة، وقال له الدمستق: ما لكم وللحرب؛
إنما أنتم كتاب:

أتزعم يا ضخم اللقائيد أننا
فويلك من للحرب إن لم نكن لها
ومن ذا يكف الجيش من جنابته
وويلك من أردى أخاك بمرعش
وويلك من خلّى ابن أختك موثقًا
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا
لقد جمعنا الحرب من قبل هذه
فسل بردسًا عنّا أباك وصهره
وسل قرقاشًا والشّمقمق صهره
ونحن أسود الحرب لا نعرف الحرب^{٥٢٨}
ومن ذا الذي يضحى ويُمسي لها تربا
ومن ذا يقود العين أو يصدّم القلب
وحنك ضربًا وجهه واليد العَضْبَا^{٥٢٩}
وخلاك باللقان تبتدر الشّعبا^{٥٣٠}
وإياك لم يعصب بها قلبنا عَصبا
فكنّا بها أسدًا وكنت بها كلبا
وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا^{٥٣١}
وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا^{٥٣٢}

^{٥٢٥} أراد برب غسان جبلة بن الأيهم الغساني، لما لطم ذلك الأعرابي في الطواف، فأراد عمر الاقتصاد منه، فهرب وتنصر ثم ندم فيما بعد.

^{٥٢٦} في القاموس: المصعبان مصعب بن الزبير، وابنه عيسى أو أخوه عبد الله بن الزبير واللاجب الطريق.

^{٥٢٧} أي رضيتُ برأيّ فيه الهلاك، ولم أرض أن يقول عني أنه كان غير نجيب.

^{٥٢٨} اللقائيد: جمع لقديد، وهو لحم في الخلق.

^{٥٢٩} العَضْب: السيف، والتحنك: جعل اللجام في فم الفرس.

^{٥٣٠} يقول: من أوثق ابن أختك في وقعة المكان المعروف باللقان، وترك هاربًا تقصد شعب الجبل.

^{٥٣١} بردس: اسم لأبي الدمستق، وبرداليس: اسم موضع.

^{٥٣٢} قرقاش: اسم رجل، وكذا الشّمقمق.

ديوان أبي فراس الحمداني

وسل صيدكم آلّ الملايين إننا
وسل أهل بهرام وأهل بلنطس
وسل بالبطرطيس العساكر كلها
ألم تكفهم قتلاً ونهباً سيوفنا
بأقلامنا أحجزت أم بسُيوفنا
تركنك في وسط الفلاة تجوبها
تُفاخرنا بالضرب والطعن في الوغى
رعى الله أوقاتاً إذا قال ذمة
وجدتُ أباك العليج حين خبرته

نهَبنا ببيض الهند عرضهم نهباً^{٥٢٣}
وسل آلّ شنوان الحناجرة الغلبا^{٥٢٤}
وسل بالمنسطرياطس الروم والعربا
وأسد الشرى الملقى وإن جمدت رعبا
وأسد الشرى قُدنا إليك أم الكُتبا
كما أنفق اليربوع يلتئم التُّربا^{٥٢٥}
لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا
وأنفذنا طعنا وأثبتنا قلبا
أقلكم خبراً وأكثركم عجباً

وقال في الأسر:

ارثٍ لصبٍ أمس قد زرته
قد عدم الدنيا ولذاتها
فهو أسيرُ الجسم في بلدة
على بقايا أسره أسرا
لكنه ما عدم الصِّبرا
وهو أسيرُ القلب في أخرى

وقال يفتخر:

لقد علمت سراً الحي أنا
يفيء الراغبون إلى ذراه
لنا الجبل الممنع جانباه
ويأوي الخائفون إلى جماه

وكتب إلى أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين ابن حمدان، عند أسره إلى بلد الروم:

أبا العشائر إن أسرت لطلما
أسرت لك البيض الخفاف رجالا

^{٥٢٣} الصَّيدُ: جمعُ أصيد، وهو رئيس القوم، وملايين: جمعُ مَلبون وهو السَّكران.

^{٥٢٤} الحناجرة: الغلاظ، والغلب صفةٌ كاشفة له.

^{٥٢٥} اليربوع: دابة معلومة، يقول: تركناك تائها في الفلاة، كاليربوع الذي خرج من النفق ليأكل التراب.

لما أجلت المهر فوق رؤوسهم
يا من إذا حصل الحصان على الوجي
ما كنت نهزة أخذ يوم الوغي
حملتك نفس مرة وعزائم
وأرين بطن العير ظهر عراعر
أخذوك في كبد المضايق غيلة
إلا دعوت أخاك وهو مصاقب
إلا دعوت أبا فراس إنه
وردت بعيد الفوت أرضك خيله
زلل من الأيام فيك يُقيله
ما زال سيف الدولة القرم الذي
فالخيل ضمراً والسيوف قواطعاً
ومعود فك العفاة مداوم
ضفنا بخرشنة وقطنا ألساً
وسمتهم همم إليك منيعة
وغداً تزورك بالفكاك خيوله
إن ابن عمك ليس عم الأخطل احد

نسجت له حمر الشُعور عقالا
قال: اتخذ حُبكَ التَّريكَ نِعالا^{٥٣٦}
لو كنت أوجدت الكميّة مَجالا^{٥٣٧}
قَصْرَن من قَلل الجبال طِوالا^{٥٣٨}
والروم وحشاً والجبال رجالا^{٥٣٩}
مثل النساء ترَبُّب الرِّبِبالا^{٥٤٠}
يكفي العَظِيم ويَحْمِلُ الأثقالا^{٥٤١}
ممن إذا طَلَب الممنع نالا
سرعاً كإرسال القضا إرسالا
ملك إذا عثُر الزمان أقالا
يكفي الجسيم ويَحْمِلُ الأثقالا^{٥٤٢}
والسمر لوناً والرجال عجالا
قتل العداة إذا استغار أطالا
وبنو البوادي في قُمير جلالا^{٥٤٣}
لكنه خلج الخليج وحالا
متناقلات تنقل الأبطالا
تجاج الملوك وفكك الأغلالا

^{٥٣٦} الوجي: الثعب، وحُبك: جمع حبة، والتريك: جمع تريكة وهي بيضة الحديد.

^{٥٣٧} الكميّة: الفرس.

^{٥٣٨} المرة: الشديدة، وضمير قصرن: يرجع إلى النفس والعزائم.

^{٥٣٩} العير: الجبل، والعراعر: الإبل.

^{٥٤٠} وفي بعض النسخ: الهيبالا، والغيلة: الغفلة.

^{٥٤١} المصاقب: القريب.

^{٥٤٢} هكذا وجدته في عدة نسخ، وهو تكرار لعجز بيت سابق في القصيدة.

^{٥٤٣} قُمير كزبير: حي من أحياء العرب. يقول: نزلنا بخرشنة ضيوفاً وأتينا ألساً في وقت القيظ، وأهل

البوادي في حمير حاليين فيها.

وكتب إليه:

لذيذ الكرى حتى أراك محرّمٌ
وإنّ جفوني إن ونتٌ للئيمةٌ
سأبكيك ما أبقى لي الدهر فعلةٌ
وحكمي بكاءُ الدهر فيما ينوبني
وما نحن إلا وائلٌ ومهللٌ
وإني وإياه لعينٌ وأختها
تُصاحبني الأيام في ثوبٍ ناصحٍ
وإني لغرٌّ إن رضيتُ بصاحبٍ
دعوتُ خلوقاً حين يختلفُ القنا
وما لك لا تلقى بمهجتك الردى
ونحن أناس لا تزال سرائنا
نظرنا إلى هذا الزمان بعينه
وما لي لا أمضي حميداً ومشربي
إذا لم يكن يُنجي الفرارُ من الردى
وقيل لها سيفُ الهدى، قلتُ إنه
أما انتأش من مسّ الحديد وثقله
تجرُّ عليه الحربُ من كلِّ جانبٍ

ونار الأسى بين الحشا تتصرّمُ
وإني وإن طاوعتهنّ لألامٌ^{٥٤٤}
فإن عزّني دمعُ فما عزّني دمٌ
وحكم لبيد فيه حولٌ محرّمٌ^{٥٤٥}
صفاء وإلا مالكٌ ومتمّمٌ^{٥٤٦}
وإني وإياه لكفٌ ومعصمٌ
ويغتلنا منها على الأمن أرقمٌ^{٥٤٧}
يبشُّ وفيه جانبٌ متجهّمٌ^{٥٤٨}
وناديتُ صمّاً عنك حين يصمّمٌ^{٥٤٩}
وأنتَ من القوم الذين همُّ همٌ^{٥٥٠}
لها مشربٌ بين المنايا ومطمعٌ
فهان علينا ما يشتُّ وينظمٌ
بُعيدي أو قبلي يسيغُ المذمّمُ
على حاله فالصبرُ أرحى وأكرمُ
ليفعلَ خيرُ الفاعلين ويكرمُ
أبا وائلٍ والبيضُ بالبيض تحكّمُ
فلا ضجرٌ جافٍ ولا متبرمُ

^{٥٤٤} وُنتٌ: تأخّرت؛ أي: قصرت في البكاء.

^{٥٤٥} يقول: إن حكمي في هذا المصاب أن أبكي طول عمري، ولست كلبيد الذي يقول إلى الحول؛ فإن حكم

لبيد محرّمٌ عليّ.

^{٥٤٦} يقول: نحن وإياكم واحد في المصافاة، كما كانت العشائر التي ذكرها.

^{٥٤٧} الأرقمُ نوع من الحيّات.

^{٥٤٨} متجهّمٌ أي كالح.

^{٥٤٩} الخلوف: الذي لا يفي بالوعد.

^{٥٥٠} يخاطب نفسه تجرياً، ويقول: ما لك تخافين الموت، وأنتَ من قومٍ عرفوا بما عرفوا.

أخو غمراتٍ في الخطوبِ إذا أتى
لك الله إننا بين غادٍ ورائحِ
ويجنب ما أبقى الوجيه ولاحقِ
فإن جل هذا الأمرُ فالله فوقه
وإنني لأخفي فيك ما ليس خافياً
ولو أنني وفيت رزءك حقه
أتى حادثٌ من جانبِ الله مبرمٌ
يغذُّ المغازي في البلادِ ويُتئم^{٥٥١}
على كُرٍّ ما ألقى الجدِيلِ وشدقم^{٥٥٢}
وإن عظمَ المطلوبِ فالله أعظمُ
وأكتمُ وجدًا فيك ما ليس يكتُمُ
لما خطَّ لي كفُّ ولا قال لي فمُ

وكتب إلى أبي العشائر:

أسرت فلم أذق للنوم طعمًا
وسرنا معلمين إليك حتى
ولا حلَّ المقام لنا جزامًا
ضربنا خلفَ خرشنةٍ خيامًا^{٥٥٣}

وقال في أسر أبي العشائر يصفُ الحال، وطلبه له ووصوله إلى مرعش في أثره:

نفى النومَ عن عيني خيالٌ مسلمٌ
ظلمتُ وأصحابي عباديدُ في الدُّجى
وسائلةٍ عني فقلت تعجُّبًا
أعرنى أفيك السوء نظرة وامتق
فما أنا إلا عبدك القرنُ في الهوى
وأرضى بما ترضى على السُّخطِ والرّضى
يئسْتُ من الإنصافِ بيني وبينه
تأدّبَ من أسماءَ والركبَ نومٌ^{٥٥٤}
ألذُّ بجوَالِ الوشاحِ وأنعمُ^{٥٥٥}
كأنك ما تدرين كيف المتئمُ
لعلك ترثي أو لعلك ترحمُ^{٥٥٦}
وما أنت إلا الواحدُ المتحكّمُ
وأرضى على علمٍ بأنك تظلمُ
ومن لي بالإنصافِ والخصمُ يحكمُ

^{٥٥١} يغذ بمعنى يفرق، ويئتم بمعنى: يجري جريًا بعد جري.

^{٥٥٢} اللاحق: اسم فرس، والجديل: الزمام، والشدقم: الأسد وفحل للنعمان بن المنذر.

^{٥٥٣} معلمين: من أعلم الفرس، إذا وضع عليه صوفًا ملونًا وسمها بسمّة الحرب كما هو عادتهم.

^{٥٥٤} أي: أثنائي بالسلام من محبوبتي أسماء خيالٌ متأدّب ورفقائي من الركب نائمون لا يعلمون به.

^{٥٥٥} العباديد: الفرق من الناس والخيل الذاهبة في كل وجه. وجوَال الوشاح كناية عن الخصر.

^{٥٥٦} الخطابُ إلى شخصِ المحبوبة ولذا نكره.

وأحلي بفي الموت والموت علقم
 ومن نار غير الحب قلبي يضرم^{٥٥٧}
 تضمّنها درّ الكلام المنظم^{٥٥٨}
 ونار الأسي بين الحشا تتضرم^{٥٥٩}
 وقلبي يبكي والجوانح تلمم
 وأكتم ما ألقاه والله يعلم
 لتصدعنا من كل شعيب وتلم^{٥٦٠}
 وأحداث أيام تغد وتيئم
 ولا علمتني غير ما كنت أعلم
 ويختلنا منها على الأمن أرقم^{٥٦١}
 تجشمها صرف الردى فيجشم^{٥٦٢}
 إذا عاضنا عنها الثناء المنمم
 ومن يبذل النفس الكريمة أكرم
 وما النصر غنم والبلاء مذمم^{٥٦٣}
 وأقدمت لو أن الكتائب تقدم
 وناديت ضمًا عنك حين تصمم
 على حالة فالصبر أرجى وأكرم^{٥٦٤}

وخطب من الأيام أنساني الهوى
 ووالله ما أنسيت إلا علالة
 ألا مبلغ عني الحسين ألوكة
 لذيد الكرى حتى أراك محرم
 وأترك أن أبكي عليك تطيرًا
 وأظهر للأعداء فيك جلادة
 وما أغربت فيك الليالي وإنما
 طوارق خطب ما تغب وفودها
 فما عرفتني غير ما أنا عارف
 تكاشرنا الأيام فيمن نحبّه
 متى لم تصب منها الخطوب ابن همة
 تهين علينا الحرب نفسًا عزيزة
 وندعو كريمًا من وجود بماله
 وما الأسر عزم والبلاء محمّد
 لعمري لقد أعذرت لو أن مسعدًا
 دعوت خلوفًا حين تختلف القنا
 وما لك لا تلقى بمهجتك الردى

٥٥٧ العلالة: التعلل من قوله ما أنسيت الحر إلا تعلقًا واشتغالًا بغيره.

٥٥٨ الألوكة: الرسالة.

٥٥٩ هذا البيت هو مطلع القصيدة السابقة، وقد بعث بها إلى نفس أبي العشائر ضمنه هنا وأشار إلى ذلك

في بيت سابق.

٥٦٠ يقال: أغرب فلان أي: أتى بشيء عجيب.

٥٦١ تكاشرنا: تظاهر لنا ويختلنا يلدغنا.

٥٦٢ يقال: جشمه أي كلفه.

٥٦٣ كأنه يقول إذا ابتلي المرء بالمصيبة، وصبر عليها كانت المصيبة محمودة، وإذا ابتلي بالنعمة وكفر

وطغى كانت المصيبة مذمومة.

٥٦٤ تكرر ذكر هذين البيتين لفظًا ومعنى في القصيدة السابقة.

لَعَا يَا أَخِي لَا مَسَّكَ السُّوءُ إِنَّهُ هُوَ الدَّهْرُ فِي حَالِيهِ بؤْسٌ وَأَنْعَمُ^{٥٦٥}

وقال في عبد الله بن طاهر:

له يَوْمٌ بؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبؤْسٌ
 فلو أَنَّ يَوْمَ البؤْسِ جَرَّدَ سَيْفَهُ
 ولو أَنَّ يَوْمَ النُّعْمِ أَطْلَقَ كَفَّهُ
 وما سَاءَ نِي أَنِّي مَكَانَكَ غَائِبٌ
 طَلَبْتُكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لِي مَطْلَبًا
 وما قَعَدْتُ بِي عَنْ لِحَاقِكَ هَمَّةٌ
 نَخَفْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا أُمُورُنَا
 ونومِي بِأَمْرٍ لَا نَطِيقُ احْتِمَالَهُ
 إِلَى رَجُلٍ يَلْقَاكَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ
 ثَقِيلٍ عَلَى الأَيَّامِ أَعْقَابٌ وَطِئُهُ
 وَيُمْسِكُ عَنْ بَعْضِ الأُمُورِ مَهَابَةً
 وَنَجْنِي جُنَايَاتٍ عَلَيْهِ يُقِيلُهَا
 تَسُومُنَا فِيكَ الفِدَاءَ وَإِنَّا
 أَتْرَضِي بِأَنْ نُعْطِيَ السُّوءَ قَسِيمَنَا
 أَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الآنَ أَنهَا
 وَيَوْمَ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
 لِقَتْلِ العِدَى لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ مُجْرِمٌ
 لِبَدْلِ الفِدَى لَمْ يَبْقَ فِي الأَرْضِ مُعَدِمٌ
 وَأَسْلَمَ نَفْسِي لِلإِسَارِ وَتَسَلَّمُ
 وَقَدِمْتُ حَتَّى قَلَّ مَنْ يَتَقَدَّمُ
 وَلَكِنْ قِضَاءُ فَاتَنِي فِيكَ مَبْرَمٌ
 بِأَبْيَضِ وَجْهِ الرَّأْيِ وَالخَطْبُ مَظْلَمٌ^{٥٦٦}
 إِلَى قَوْمِنَا وَالقَرَمُ بِالقَتْلِ أَقْوَمٌ^{٥٦٧}
 وَلَكِنَّهُ فِي الحَرْبِ جَيْشٌ عَرْمَرَمٌ
 صَلِيبٌ عَلَى أَفْوَاهِهَا حِينَ يُعْجَمُ^{٥٦٨}
 فَيَعْلَمُ مَا يُخْفِي الضَّمِيرَ وَيَفْهَمُ
 وَنَخْطِيءُ أحيانًا إِلَيْهِ فَيَحْلُمُ
 لَنرْجُوكَ قَسْرًا وَالْمَعاطِسُ تَرغَمُ^{٥٦٩}
 إِذَا الجَدُّ بَيْنَ الأَغْلَبِينَ يَقَسَّمُ^{٥٧٠}
 لِإِحْدَى الذِّي كَشَفَتْ أَوْ هِيَ أَعْظَمُ

^{٥٦٥} لَعَا: كَلِمَةٌ يُدْعَى بِهَا عِنْدَ العِثَارِ بِمَعْنَى: أَنهَضَكَ اللهُ.

^{٥٦٦} أَرَادَ بِأَبْيَضِ وَجْهِ الرَّأْيِ: سَيْفَ الدَّوْلَةِ؛ أَي: نَخَفَ بِهِ عِنْدَ الضِّيقِ، فَنَسِيَ بَرَأْيَهُ.

^{٥٦٧} القَرَمُ مِنَ الأَصْلِ: شَهْوَةُ اللَّحْمِ، ثُمَّ اسْتَهْرَ، حَتَّى قِيلَ فِي شَهْوَةِ الشُّوقِ.

^{٥٦٨} يُعْجَمُ: يُبْلَاكُ عَلَى صِيغَةِ المَفْعُولِ.

^{٥٦٩} يُقَالُ: سَوَّمَهُ الأَمْرُ أَي: كَلَفَهُ، وَالْمَعاطِسُ: الأَنْوَفُ.

^{٥٧٠} الجَدُّ بِمَعْنَى البِخْتِ، وَالأَغْلَبِينَ بَنِي أَغْلَبَ، يَقُولُ: أَتْرَضَى أَنْ نَعْطِيَ الغَيْرَ سَهْمَنَا مِنَ البِخْتِ الذِّي قَسَمَ

بَيْنَ بَنِي أَغْلَبَ.

أبا وائلٍ والبييض بالبييض تحكّم^{٥٧١}
 تثقب تثقيبَ الجُمان وتنظّم^{٥٧٢}
 ترومُ علوق المعجزاتِ فترامُ^{٥٧٣}
 ونطعنُهُم ما دام للرمح لهذمُ^{٥٧٤}
 تخوضُ بحارًا بعضُ خُلجانها دمُ^{٥٧٥}
 عليه من المازي درع مختّم^{٥٧٦}
 على كلِّ ما أبقيَ الجديل وشدقمُ^{٥٧٧}
 طريقُ إلى نيلِ المعالي وسلمُ^{٥٧٨}
 وفي كلِّ يومٍ يأخذُ السيفَ منهمُ^{٥٧٩}
 فإنك روميٌّ وحظك مسلمُ^{٥٨٠}
 وبسطك موفورٌ وبيتك أيّم^{٥٨١}
 ولكنّ قتلَ الشيخِ فينا محرمُ^{٥٨٢}
 وأمسى عليك الذلُّ وهو مخيمُ^{٥٨٣}
 وفك عن الأسرى الوثاق وسلّموا^{٥٨٤}
 وإن يرغبوا في السلمِ فالسلمُ أسلمُ^{٥٨٥}

أما انتاش من ثقل الحديد ومسه
 وأرمأحنا في كلِّ لبة فارس
 وإن لسيف الدولة القرم عادةً
 سنضربهم ما دام للسيف قائم
 ونقفوهم خلف الخليج بضمر
 بكلِّ غلام من نزارٍ وغيرها
 وتجنب ما ألقى الوجيه ولاحق
 وتعتقل الصمّ العوالي لأنّها
 كأنهم يرجون ثأراً لسالف
 فقل لابن فقاشٍ دع الحرب جانباً
 فوجهك مضروبٌ وعرسك تاكل
 ولم تنب عنك البيض في كل مشهد
 إذا ضربت فوق الخليج خيامنا
 وأدى إلينا الملك فدية رأسه
 فإن يرغبوا في الصلح فالصلح سالم

فقال وهو أول بيت قاله في صباه:

رجعتُ إلى صبرٍ أمرٌ من الصبرِ

بكيّتُ فلماً لم أر الدهرَ نافعي

^{٥٧١} قد سبق ذكرُ هذا البيت في قصيدة ثانية والمعنى أن إعادة سيف الدولة التخليص قهراً، لا الفداء كما خلص أبا وائل.

^{٥٧٢} العلوق: الناقة يذبح ولدها ويحشى جلودها تبناً تشمه فتدّر حليبتها والرأم: الشم.

^{٥٧٣} اللهدم: النصلة في رأس الرمح.

^{٥٧٤} المازي: السلاح من الحديد.

^{٥٧٥} تقدم هذا البيت مع شرحه في قصيدة سابقة.

^{٥٧٦} يقول: قد ضرب وجهك وثكلتك زوجتك وأسرت أشبالك، وأهل بيتك من الأيام التي لا زواج لها.

فاتَّصل هذا البيت بأبي زهير المهلهل بن نصر بن حمدان، فكتب إليه بأبيات أولها
«يا ابنَ الكرامِ الصَّيدِ والسَّادَةِ الغرِّ»، فأجابه أبو فراس بقوله:

<p>وما لمكان أنت فيه وللقطر وأهلت للجلى وحليت بالفخر^{٥٧٧} يدًا لا أوفي شكرها أبد الدهر فما لي إلى المجد الموثل من عذر أيا ابن الكرام الصيد والسادة الغر^{٥٧٨} تحية أهل البدو مؤنسة الحضر وشعرك معدوم النظير من الشعر بدائع ما حاك الربيع من الزهر وهب نسيم الفجر يُخبر بالفجر طويت لها بين الضلوع على الجمر تعلل بالشكوى وعاد إلى الصبر وأنعم بال ما بدا كوكب دُري تروح إلى غزو وتغدو إلى نصر</p>	<p>ألا ما لمن أمسى يراك وللبدر تجللت بالتقوى وأفردت بالعلأ لقلدتني لما ابتدأت بمدحتي فإن أنا لم أمنحك صدق مودتي أيا ابن الكرام الصيد جاءت كريمة فضلت بها أهل القريض فأصبحت ومثلك معدوم النظير من الوري كأن على ألفاظه ونظامه تنفس فيه الروض وأخضل بالندى إلى الله أشكو من فراقك لوعة وحسرة مرتاح إذا اشتاق قلبه فعد يا زمان القرب في خير عيشة وعش يا ابن نصر ما استهلَّت غمامة</p>
--	--

وكتب إليه أبو فراس جوابًا قصيدة كتب إليه بها أولها «بان صبري من بين ظبي
ربيب»، قال:

<p>مقلتا ذلك الغزال الربيب عُنج الحاظه بسهم مُصيب فاتكات سهامها بالقلوب ولداء مُخامر من طبيب</p>	<p>وقفتني على الأسى والنحيب كلما عادني السلو رماني فاترات فواتك فاتنات هل لصب متيم من معين</p>
--	--

^{٥٧٧} يقول: لبست لباس التقوى وخصصت دون غيرك بالعلأ، وأصبحت أهلاً لعظام الأمور وحليت
بالفأخر.

^{٥٧٨} أراد بالكرامة القصيدة التي قال فيها: يا ابن الكرام ... إلخ.

أُيْهَا الْمُذْنَبُ الْمَعَاتِبُ حَتَّى
 كُنْ كَمَا شِئْتَ مِنْ وَصَالٍ وَهَجْرٍ
 لَكَ جِسْمُ الْهَوَى وَثَغْرُ الْأَقَاحِي
 قَدْ جَحَدْتَ الْهَوَى وَلَكِنْ أَقْرَتُ
 أَنَا فِي حَالَتِي وَصَالٍ وَهَجْرٍ
 بَيْنَ قَرَبٍ مَنْغَصٍ بِصَدْوِدٍ
 يَا خَلِيلِي خَلْيَانِي وَدَمْعِي
 مَا تَقُولَانِ فِي جِهَادِ مُحَبِّ
 هَلْ مِنْ الظَّاعِنِينَ مُهْدٍ سَلَامِي
 ابْنِ عَمِي إِنِّي عَلَى شَحْطِ دَارٍ
 صَادِقِ الْوَدِّ خَالِصِ الْعَهْدِ أَنْ
 كُلَّ يَوْمٍ يَهْدِي إِلَيَّ رِيَاضًا
 وَارِدَاتٍ بِكُلِّ بَرٍّ وَأَنْسٍ
 يَا ابْنَ نَصْرٍ وَقِيَّتِ صَرْفَ اللَّيَالِي
 بَانَ صَبْرِي لَمَا تَأْمَلَ فِكْرِي

خَلْتُ أَنْ الذُّنُوبَ كَانَتْ ذُنُوبِي
 غَيْرَ قَلْبِي عَلَيْكَ غَيْرَ كَثِيبٍ
 وَنَسِيمُ الصَّبَا وَقَدْ الْقَضِيبُ
 سِيمِيَاءَ الْهَوَى وَلِحَظَّ الْمُرِيبِ^{٥٧٩}
 مِنْ جَوَى الْحَبِّ فِي عَذَابٍ مَذِيبٍ
 وَوَصَالٍ مَنْغَصٍ بِرَقِيبٍ
 إِنَّمَا الدَّمْعُ رَاغَةً الْمَكْرُوبِ
 وَقَفَ الْقَلْبُ فِي سَبِيلِ الْحَبِيبِ
 لِلْفَتَى الْمَاكِدِ الْحَصِيفِ الْأَرِيبِ^{٥٨٠}
 وَالْقَرِيبِ الْمَحَلِّ غَيْرُ قَرِيبٍ
 سِ فِي حُضُورِهِ مَحَافِظُ فِي مَغِيبٍ
 جَاءَهَا فِكْرُهُ بِغَيْثِ سَكُوبٍ
 وَافْدَاتٍ بِكُلِّ حَسَنِ وَطِيبٍ
 وَصُرُوفَ الرَّدَى وَكُرَّ الْخَطُوبِ
 بَانَ صَبْرِي مِنْ بَيْنِ ظَبِي رَيْبِ^{٥٨١}

فأجابه أبو زهير بقصيدة أولها «هاج شوق المتيم المهجور»، فأجابه أبو فراس عنها بقوله:

مُسْتَجِيرِ الْهَوَى بِغَيْرِ مُجِيرٍ
 مَا لَمَنْ وَكُلَّ الْهَوَى مُقْلَتِيهِ
 فَهُوَ مَا بَيْنَ عُمَرٍ لَيْلٍ طَوِيلٍ
 لَا أَقُولُ الْمَسِيرُ أَرْقَ عَيْنِي
 وَمُضِيمِ الْهَوَى بِغَيْرِ نَصِيرٍ
 بَانَ سَكَابٍ وَقَلْبُهُ بِزَفِيرٍ
 يَتَلَطَّى وَعَمْرٍ يَوْمٍ قَصِيرٍ
 قَدْ تَنَاهَى الْبِلَاءُ قَبْلَ الْمَسِيرِ

^{٥٧٩} يقول: إن أنكرت حبك أقرت مني علامة الحب من النحول والاصفرار، ونظري إليك خائفًا.

^{٥٨٠} الحصيف: الكامل العاقل، وفي هذا البيت حُسن التخلص من النسيب إلى المدح.

^{٥٨١} هذا العجز صدر مطلع القصيدة التي أرسلها إليه أبو زهير، كما تقدم.

يا كَثِيبًا مِنْ تَحْتِ غَصَنِ رَطِيبٍ
شُدَّ مَا غَيْرَتَكَ بَعْدِي اللَّيَالِي
لَكَ وَصَفِي وَفِيكَ شَرِّي وَلَا أَعُ
وَلِقَلْبِي مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ شَغْلٌ
قَدْ مَنَحْتُ الرَّقَادَ عَيْنَ خَلِيٍّ
لَا جَزَى اللَّهَ مِنْ أَحَبِّ بِحَبِّ
إِنَّ لِي مِنْذُ نَأَيْتَ جِسْمًا مَرِيضًا
يَا أَخِي يَا أَبَا زُهَيْرٍ أَلَى عِنْدِ
لَمْ تَزَلْ مَشْتَكَايَ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَرَدْتُ مِنْكَ يَا ابْنَ عَمِّي هَدَايَا
بِقَوَافِ أَلَدِّ مِنْ بَارِدِ الْمَا
مُحْكَمِ قَصَرِ الْفَرَزْدَقِ وَالْأَخْ
أَنْتَ لَيْتَ الْوَعَى وَحَتَفُ الْأَعَايِي
طَلْتَ لِلضَّرْبِ فِي الطَّلَى عَنْ شَبِيهِ
كَمْ تَحَرَّيْتَنِي وَأَنْتَ كَبِيرُ الْ
فَإِذَا كُنْتُ يَا ابْنَ عَمِّ قَدْ اِمْتَحُ
هَاجَ شَوْقِي إِلَيْكَ حِينَ أَتْتَنِي

يَتَثَنَّى مِنْ تَحْتِ بَدْرِ مَنِيرِ
يَا قَلِيلَ الْوَفَا لَغَيْرِ نَظِيرِ^{٥٨٢}
رِفْ وَصَفَ الْمَوَارَةَ الْعَيْسَجُورِ^{٥٨٣}
عَنْ هَوَى قَاصِرَاتِ تِلْكَ الْقُصُورِ^{٥٨٤}
بَاتَ خَلُوعًا مِمَّا يَجُنُّ ضَمِيرِي
وَشَفَى كُلَّ عَاشِقٍ مَهْجُورِ^{٥٨٥}
وَبُكََا ثَاكِلٍ وَذُلِّ أَسِيرِ
دَكَ عَوْنٌ عَلَى الْغَزَالِ الْغَرِيرِ
وَمُغِيثِي وَعُمْدَتِي وَمُشِيرِي
تَتَهَادَى فِي سُنْدُسٍ وَحَرِيرِ
ءَ وَلَفِظِ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْتَوِرِ
طَلُّ عَنْهُ وَفَاقَ شَعَرَ جَرِيرِ
وَعِيَاثُ الْمَلْهُوفِ وَالْمُسْتَجِيرِ
وَتَعَالَيْتَ فِي الْعُلَا عَنْ نَظِيرِ^{٥٨٦}
سِنَّ طَبًّا بِكُلِّ أَمْرٍ كَبِيرِ^{٥٨٧}
تَ جَوَابِي قَنَعْتُ بِالْمَيْسُورِ^{٥٨٨}
هَاجَ شَوْقُ الْمَتِيمِ الْمَهْجُورِ^{٥٨٩}

^{٥٨٢} شدَّ ما: كلمة تعجب بمعنى ما أشد.

^{٥٨٣} المواراة المتلؤن، والعيسجور: الساحر من الجن.

^{٥٨٤} يقول: لقد شغل قلبي حسنك عن حب غيرك قاصرات الطرف التي في القصور.

^{٥٨٥} يدعو الله تعالى أن لا يجازي محبوبته، فيبليها بالحب.

^{٥٨٦} طلت: من الطول، والطل: جمع طلبة وهي صفحة العنق.

^{٥٨٧} الطبُّ بالفتح: الحاذق في عمله.

^{٥٨٨} يقول: إذا امتحت أي: تنزلت وطلبت مني الجواب؛ فحق عليك أن تقنع مني بما تيسر.

^{٥٨٩} يقول: ثار شوقي إليك حين أتتني منك القصيدة التي أولها: هاج شوقي ... إلخ.

وكتب إليه أبو فراس، وكان قد استخلفه:

أما إنَّه ربعُ الهوى ومعالِمه
لئن بتَّ تبكيهِ خلاءً لَطالما
رياحُ عَفْتِه وهي أنفاسُ عاشقٍ
وظلَّامةٌ قلَّدتها حكمَ مُهجتي
مهاةٌ لها من كلِّ وجهٍ مَصونَةٌ
وليلٍ كَفَرَعِيها قطعْتُ وصاحبي
تُصاحبني أراؤه وظباؤه
وأبي بلادِ الله لم أنتعل بها
ونحنُ أناسٌ يَعْلَمُ اللهُ أننا
إذا وُلد المولودُ منا فإنَّما الـ
سيُبلغ عني ابنَ عمِّي رسالة
فيا جافياً ما كنتُ أخشى جفائه
كذلك حظِّي من زماني وأهله^{٥٩٤}
وإن كنتُ مشتاقاً إليك فإنه
أودكُ ودّاً لا الزمان يُبيده
وأنتَ وفِي لا يذمُ وفاؤه

فلا عذرَ إن لم ينفد الدَّمعُ ساجمُهُ^{٥٩٠}
نعمتُ به دَهراً وفيه نواعمُهُ
ووبلُّ سَقاه والجفونُ غمائمُهُ^{٥٩١}
ومن يُنصف المظلومَ والخصمُ حاكمُهُ
وخودٌ لها مع كلِّ دمعٍ كرائمُهُ
رقيقٌ غرارٌ مَحْذَمُ الحدِّ صارمُهُ^{٥٩٢}
وتؤنسني أصلالُه وأراقمُهُ
ولا وطئتُها من بعيري مناسمُهُ
إذا جمحَ الدهرُ الغشومُ شكائمُهُ^{٥٩٣}
أسنَّةُ والبيضُ الرقاقُ تمائمُهُ
يبتُّ بها بعضُ الذي أنا كاتمُهُ
ولو كثرتُ عذالُه ولوائمُهُ
يصارمني الخلُّ الذي لا أصارمُهُ
ليشتاقُ صبِّ إلفه وهو ظالمُهُ
ولا النأيُ يُفنيه ولا الهجرُ ثالمُهُ^{٥٩٥}
وأنتَ كريمٌ ليس تُحصي كرائمُهُ

^{٥٩٠} يقول: إن هذا الربع محلُّ الهوى ومعاله، وعليه فلا عذرٌ للعاشق إن لم ينفد دمه فيه بكاءً عليه وتحسراً.

^{٥٩١} أي: إن الرياح التي هبت بالربع هي أنفاسُ العاشق، والوبل الذي يمطر فيه هو دمعُ أسكبته الجفون التي هي في صورة الغمام.

^{٥٩٢} يقول: وربُّ ليلٍ قطعته، سواده عظيمٌ كَفَرَعِي تلك المهاة، ورفيقي سيفٌ رقيقُ الحدِّ.

^{٥٩٣} الشكائمُ: جمع شكيمة، وهي حديدة تُوضع في فم الدابة كاللجام للفرس، شبه الدهر بالفرس الجَموح، وشبه نفسه بالشكيمة.

^{٥٩٤} أي: إن حظي من الزمان وأهله أنه يَقْطعني من أصله الخل الذي لا أقطعُه.

^{٥٩٥} يقول: إنَّ ودي لك لا يُبيده الزمان، ولا يُفنيه البعد، ولا يُنقصه الهجرُ.

أقيمُ به أهل الفخار وفرعه يشد به ركن العلا ودعائمه
أخو السيف تُعديه نداوة كفه فيحمرُّ خداه ويخفر قائمه
أعندك لي عُتبي فأحمل ما مضى وأبني رواقِ الوُدِّ إذ أنت هادمه
فلا تحسبنُ عني الجوابَ موشحًا بعقدٍ من الدرِّ الذي أنت ناظمه

فأجابه أبو زهير بقصيدة أولها «كتابي عن شوقٍ إليك ووحشة»، فأجابه أبو فراس بقوله:

أيا ظالمًا أمسي يُعاتبُ مُنصفًا أتُلمني ذنبَ المُسيءِ تَعَجْرُفًا
بدأت بتنميق العتابِ مخافة الـ عتابٍ وذكري بالجفا خشيّة الجفا
فوافى على عِلّاتِ عَتَبِكَ صابِرًا وألّفى على حالات ظلمك مُنصفًا
وكنت متى وافيت خلًّا منحتّه بهجرانه وصلًّا ومن غدره وفاءً^{٥٩٦}
فهَيِّجْ بي هذا الكتابُ صبابَةً وجددْ لي هذا العتابُ تأسفًا
فإن دنّت الأيامُ دارًا بعيده شفى القلبَ مظلومٌ من العتبِ واشتفى
فإن كنت قد أقررت بالذنبِ تائبًا وإن لم أكنُ أمسكت عنه تألفًا^{٥٩٧}

وبلغه عن قوم من أهله كراهية خلاصه فقال:

تمنيتُم أن تَفقدوني وإنما تمنيتُم أن تفقدوا العزَّ أصيدا
أما أنا أعلى من تعدون همّة وإن كنت أدنى من تعدون مَولدا^{٥٩٨}
إلى الله أشكو عُصبَةً من عشيرتي يسيئونني في القولِ غيبًا ومشهدًا
وإن حاربوا كنت المِجَنَّ أمامهم وإن ضربوا كنت المهندِّ واليذا
وإن نابَ خطبُ أو المَتِّ مُلمّة جعلتُ لها كفي وما ملكتُ فدا
يوذون أن لا يُبصروني سفاهةً وإن غبتُ عن أمرٍ تركتهمُ سدا

^{٥٩٦} يقول: من عادتي أن أصافي الخللَ وأقابلَ هجره بالوصل، وغدره بالوفا.

^{٥٩٧} أي: إن كنت مذنبًا أقررت بذنبي وإن لم أكنُ مذنبًا، فلا أعاتبُ تأنفًا لك وإبقاءً على محبتك.

^{٥٩٨} يقول: ألت أعلى من كلِّ من تعدونهم من ذوي الهمم، وإن كنت دونهم في المولد أي في السن.

معالٍ لهم لو أنصَفوا في جمالها وحظُّ لنفسي اليومَ وهو لهم غدًا
فلا تَعُدوني نعمةً فمتى غَدَتْ فأهلي بها أولى ولو أصبحوا عداً

وجدت بخط أبي فراس هذه القصيدة، وكتب بها إلى أبي الفرج الخالع، وأبي العباس أحمد بن عبيد التنوخي:

أقنَاعَةٌ من بعد طولِ جفَاءِ بدنو طيفٍ من حبيبِ ناءِ
بأبي وأمِّي شادنٌ قلنا له نفديك بالأممات والآباءِ
رشاً إذا لحظ العفيفَ بنظرةٍ كانت له سبباً إلى الفحشاءِ^{٥٩٩}
وجناته تجني علي عشاقه ببديع ما فيها من اللألاءِ^{٦٠٠}
بيض عليها حمرة فتوردت مثل المدام مزجتها بالماءِ
فكأنما برزت له بغلالةٍ بيضاء تحت غلالةٍ حمراءِ
كيف اتقاء لحاظه وعيوننا طرق لأسههما إلى الأحشاءِ
صبغ الحيا خديه لون مدامعي فكأنه يبكي بمثل بكاءِ
كيف اتقاء جاذر يرميننا بظبي الصوارم من عيون ظباءِ^{٦٠١}
يا رب تلك المقلة النجلاءِ حاشاك ممن ضمننت أحشائي
جازيتني بعداً بقربك في الهوى ومنحتني غدرًا بحسن وفاءِ
جادت عراصك يا شام سحابةً عراضة من أصدق الأنواءِ^{٦٠٢}
تلك المجانة والخلاعة والصبأ ومحل كل فتوة وفتاءِ
أنواع زهر والتفاف حداثق وصفاء ماء واعتدال هواءِ
وخرائد مثل الدمي يسقيننا كاسين من لحظ ومن صهباءِ

^{٥٩٩} يقول: إن ذلك الرشاً إذا نظر إلى رجلٍ عفيف نظرة واحدة، حملته على ترك العفة وحركته إلى ارتكاب الفحشاء.

^{٦٠٠} اللألاء: النور الساطع.

^{٦٠١} الجاذر: جمع جودر وهو ولد بقر الوحش، وظبي الصوارم حد السيف.

^{٦٠٢} المعنى: الدعاء بالغيب لجوانب الشام أن تسقى بعوارض المطر الصادق؛ لتخضر وتزهر.

وإذا أدرن على الندامي كأسها
 راح إذا ما الراح كن مطيها
 فارقت حين شخصت عنها لذتي
 ونزلت من بلد الجزيرة منزلاً
 فيمر عندي كل طعم طيب
 الشام لا بلد الجزيرة لذتي
 وأبيت مرتهن الفؤاد بمنج الـ
 من مبلغ الندماء أني بعدهم
 ولقد رعيت فليت شعري من رعى
 فحم الغبي وقلت غير ملجلج
 وصناعتني ضرب السيوف وإنني
 والله يجمعنا بعز دائم

غنيننا شعر ابن أوس الطائي: ٦٠٣
 كانت مطايا الشوق في الأحشاء
 وتركت أحوال السرور ورائي
 خلوا من الخلطاء والندماء
 من ريقها ويضيق كل فضاء
 ويزيد لا ماء الفرات منائي
 سؤداء لا بالرقة البيضاء: ٦٠٤
 أمسي نديم كواكب الجوزاء
 منكم على بعد الديار إخائي
 إنني لمشتاق إلى العلياء: ٦٠٥
 متعرض في الشعر بالشعراء
 وسلامة موصولة ببقاء

وقال أيضاً:

أشاقك الطيف ألم طارقه
 والصبح في أعقابه يساوقه
 مرق من ضبابه سرادقه

آخر ليل لم ينمه عاشقه
 طالب ثار من ظلام لاحقه: ٦٠٦
 وانجاب عن ثوب الظلام غاسقه: ٦٠٧

٦٠٣ يعني أن تلك الخرائد إذا أدرن علينا كأس الصهباء، غنينا لنا من شعر أبي تمام، البيت الآتي الذي أوله: راح ... إلخ.

٦٠٤ من ملحقات الشام، والرقة بالجزيرة.

٦٠٥ يقول: الغبي الذي لا يفهم ما يقول دام مفحومًا، وإنني أقول صريحًا غير متلثم: إنني مشتاق إلى المعالي.

٦٠٦ الضمير في أعقابه يرجع إلى الليل كأن الصبح يسوقه ويعدو خلفه، كأنه يطلب تارًا منه.

٦٠٧ السرادق ما نشر من ظلام الليل المتراكم المشابه للسرادق، أي الخيام. وانكشف عن ثوب الظلام الغسق وهو الفجر.

من بعد ما سرَّ مَشَوْقًا شَائِقُهُ أمِ الخَلِيطِ رَحَلَتْ خَرَائِقُهُ ٦٠٨
 أَجَدَّ حَادِيهِ وَحَثَّ سَائِقُهُ وَنَعَقَتْ بَبِينَهُ نَوَاعِقُهُ
 أَبْقَى عَلَيْكَ مَا الْجَوَى مَفَارِقُهُ رَسِيْسَ حَبٍ عَلِقَتْ عِلَائِقُهُ ٦٠٩
 وَفِيضُ دَمْعٍ شَرَفَتْ مَدَائِقُهُ مَزَاجَهُ مِنْ أَجَاٍ مَشَارِقُهُ ٦١٠
 قَدْ ضَمِنَتْ خَدْرَافَهُ أَبَارِقَهُ رَعَتْ بِقَايَا حَمَضِهِ أَيَانِقُهُ ٦١١
 حِينَ يَقْضِي عَاذِلَ فَنَائِقُهُ وَافَقَ مِنْ مِلْحَانٍ مَا يُوَافِقُهُ ٦١٢
 ثُمَّ اطَّبَاهُ ضَارِجٌ فَبَارِقُهُ إِلَى مُلْتٍّ لَمْ نَزَلْ نُفَارِقُهُ ٦١٣
 مِنْ أَنْفِ الْوَسْمِيِّ نَوْءٌ صَادِقُهُ مِنْبَجْسٌ مَرْتَجِسٌ صَوَاعِقُهُ ٦١٤
 إِذَا ادَّهَمَّ وَأَضَاءَ بَارِقُهُ وَهَدَرْتُ عَلَى الثَّرَى شَقَاشِقُهُ ٦١٥
 وَالْوَحْشُ فِي أَرْجَائِهِ تُسَابِقُهُ كَأَنَّهَا مَجْفَلَةٌ وَسَائِقُهُ ٦١٦
 أَهْدَتْ إِلَى أَرْبَعَةٍ وَدَائِقُهُ قَشِيْبٌ رَوْضٍ وَدَبَجَتْ نَمَارِقُهُ ٦١٧
 وَلَبِيسَتْ مِنْ زَهْرٍ حَدَائِقُهُ سَمُوْطًا حَلِيٍّ فُصِّلَتْ عَقَائِقُهُ ٦١٨

٦٠٨ الخرائق: الجماعة، يقول: كان الذي حصل لك من الخيال الذي زارك أم من الخليط الذي ترحلت جماعته عنك.

٦٠٩ المعنى: أنه أبقى عليه الخليط رسيس الحب، أي ثابتته. ورسيس الحب لم يفارقه حرق العشق.

٦١٠ أجا: عين ماء لبدر بن عقال، فيه بيوت ومنازل.

٦١١ الخدراف بالكسر: نبات ربيعي، وأبارقه جمع، وهو ما فيه حجارة ورمل وطين مختلف، والأيتان الجمال.

٦١٢ الفنائق: جمع فنيقة وهي الغزارة، وعاذل: اسم ماء، وملحان بكسر الميم جبل بني سليم.

٦١٣ أطباه أي: دعاه، وضارج: اسم مكان وبارق كذلك، والملت: المطر.

٦١٤ الوسمي: من أوصاف المطر، والمنبجس والمنفجر والمرتجس: المضطرب.

٦١٥ ادلهم: اسود، والشقاشيق الأصوات المرتفعة.

٦١٦ الوسائق: جمع وسيقة، وهي من الإبل كالرفقة من الناس.

٦١٧ الودائق: الأمطار، والقشيب: الجديد، ودبجت نمارقه أي: نقشت نمارقه؛ أي البسط والمساند.

٦١٨ السموط: الحلي، والتفصيل: يجعل فيه ما يفصل بين حبّاته.

وقال أيضًا يصف السحاب:

طال على رغم السرى اجْتِنَابُهُ ^{٦١٩}	وزائر حبيبُهُ أَغْبَابُهُ
رائحةً هبوبُها هبَابُهُ	جاءت به مسبلَةً أَهْدَابُهُ
باكٍ حزينٌ مُرْعِدًا سحَابُهُ	ركب حَبَاهِ والسُّهَاهِ رِكَابُهُ
رُكْنَ شَرِيرٍ أَصْفَقَتْ هِضَابُهُ ^{٦٢٠}	كأنما قد حَمَلَتْ سحَابُهُ
وَضُرِبَتْ على النَّرَى قِبَابُهُ ^{٦٢١}	حتى إذا ما اتَّصَلَتْ أَسْبَابُهُ
وَشَرِقَتْ بِمَائِهَا شِعَابُهُ	وامتدَّ في أَرْجَائِهِ أَطْنَابُهُ
وَحَلَيْتُ في نَوْرِهَا رِحَابُهُ ^{٦٢٢}	أَجْلِي عن وَجْهِ الثَّرَى اِكْتِنَابُهُ
لم يُؤْسِه من فَقْدِهِ إِيَابُهُ ^{٦٢٣}	كأنما لَمَّا انجلى منجَابُهُ

وقال أيضًا:

يبشُرُ الرَّائِدُ فيها الرَّاعِي ^{٦٢٤}	وبقعةٍ من أَحْسَنِ البِقَاعِ
كأنما يَسْتُرُ وَجَهَ القَاعِ ^{٦٢٥}	بالخِصْبِ والمرْتَعِ والوَسَاعِ
ما يَنْشُرُ الرُّومَ لذي الكِلَاعِ ^{٦٢٦}	من سائِرِ الأَلْوَانِ والأَنْواعِ
والماءُ مَنْحَطٌّ من التَّلَاعِ	من صَنْعَةِ الخالِقِ لا الصُّنَاعِ
وَعَرَدَ الحِمَامُ للسِّجَاعِ ^{٦٢٧}	كما تُسَلُّ البِيضُ للِقِرَاعِ
وَنُشِرَ البِهارُ في البِقَاعِ	ورقص الماءُ على الإيقاعِ

^{٦١٩} يقول: ربُّ زائرٍ حَبِيبُهُ إلى المَزورِ انْقِطَاعُهُ، وكان قد طال اجْتِنَابُهُ.

^{٦٢٠} الشَّرِير: جانبُ البَحْرِ.

^{٦٢١} الأَسْبَابُ: جمع سبب، وهو الحبل.

^{٦٢٢} النَّور: الزهر، والرحاب: جمع رحبة، وهو المكان المتسع.

^{٦٢٣} المنجَابُ: محلُّ انكشافِ الماء وهو وَجْهُ الأَرْضِ، ولم يوسه: أي: لم يقطع.

^{٦٢٤} الرائد: هو الذي سبق القوم؛ لطلب الماء والكلأ.

^{٦٢٥} الوَسَاع: ما يَتَفَرَّقُ في الجبل من النبات.

^{٦٢٦} ذو الكِلَاعِ الأكبر، يريد به النُّعْمان، تجمعت عليه أزواد اليمن، وكان الرُّوم يهادونه بالأثواب المَنْقوشة.

^{٦٢٧} شبه انحطاط الماء من التَّلَاع، وهي الأماكن العالية بانحطاط السيوف للمُقارعة.

وقال:

أطرحوا الأمرَ إلينا واحملوا الكلَّ علينا
إننا قومٌ بحملِ الـ صعبٍ للأمرِ كُفينا
وإذا ما هزَّ منَّا موطنَ الذلِّ أبينا
وإذا ما هدمَ العـ زُّ بنو العزِّ بنينا

وقال في الغزل:

أشفقت من هجري فعَلَّ بُت الظنونَ على اليقينِ
وضننت فيّ مظنةً والظنُّ من شيمِ الضنينِ^{٦٢٨}

وقال:

وجُلَّ نارٍ مشرقٍ على أعالي شجره
كأنَّ في رءوسه أصفره وأحمره
قراضة من ذهبٍ في خرقٍ مُعصفره^{٦٢٩}

وقال:

يا من يلوم على هواه جماله انظرُ إلى تلك السوالفِ واعذرِ
حسنتُ وطاب نسيْمُها فكأنها مسكٌ تساقط فوقَ وردٍ أحمرِ

^{٦٢٨} الضنين: البخيل، يقول: لا ألوئك على ظنك بي الهجر، فالبخيلُ موصوف بالظن. ومثل ذلك قول الشاعر:

إن الحريصَ بسوءِ ظنِّ مَوْلَعٍ

^{٦٢٩} شبه زهر الرُّمان، وهو أصفر وأحمر، بقراضة من ذهب، في خرق صُفر.

وقال:

أهدي إليّ صبابةً وكأبةً
فأعادني كلف الفؤادِ حميدا
إن الغزالة والغزالة أهدتا
وجهاً إليك إذا طلعت وحيدا

وقال:

يقولان لا تخرق بجلمك هيبهً
وأحسنُ شيءٍ زينَ الهيبهَ الحلمُ
فلا تتركَنَّ العفو من كل ذلّةٍ
فما العفو مذمومًا وإن عظمَ الجرمُ

وقال:

ويغتأبني من لو كفاني غيبة
وطني من الأخبارِ ما لو ذكرته
لكنتُ له العينَ البصيرة والأذنا
إذا قرعَ المغتابُ من ندمٍ سنًا^{٦٢٠}

وقال عند مسيره إلى الموصل:

ولقد أبيتُ وجلُّ ما أَدعو بهِ
حتى الصباحِ وقد أقصَّ المضجُعُ^{٦٢١}
لا هُمَّ إن أخي إليكَ وديعتي
أبدًا وليسَ يضيعُ ما يستودعُ

وكتب إلى أخيه أبي الهيجاء:

تقرُّ دموعي بشوقي إليكَ
ويشهد قلبي بطول الكُرْبِ
وإنني لمجتهدٌ في الجُحودِ
ولكنَّ نفسي تأبى الكذبَ^{٦٢٢}

^{٦٢٠} يقول: يغتأبني مَنْ لو لم يغتأبني؛ لكنت له بمنزلة العين والأذن؛ أي: معينا له في جميع أموره، والحال أن عندي من الأخبار بحقه ما يسوءه، فلو ذكرتها لقرع سنه ندما على ما اغتأبني به.

^{٦٢١} أقصَّ المضجُعُ؛ أي: خشن، أي: ذهب عني لذة النوم والراحة.

^{٦٢٢} المعنى في قوله: لمجتهد في الجحود، يكتم حبه صوتا له أن يُداع.

ديوان أبي فراس الحمداني

وإني عليك لجاري الدُموع
وما كنت أبقي على مهجتي
ولكن سمحت لها بالبقاء
ويبقى اللبيب له عُدَّة
وإني عليك لصبٍ وصبٍ ٦٢٣
لو أنني انتهيتُ إلى ما يجبُ
رجاء اللقاء على ما تحبُ
لوقتِ الرضى في أوانِ الغضبِ

وكتب إلى أخيه من القسطنطينية:

وقد كنتُ أشكو البعد منك وبيننا
فكيف وفيما بيننا ملك قيصرٍ
بلادُ إذا ما شئتُ قربها الوجدُ
ولا أمل يُحيي النفوسَ ولا وعدُ

وقال، وقد نظر إلى غلام أعجبه:

ويقولُ الحبيسُ إذا رَقَّ مولا
إن عبداً عبية فوق مولا
ي فقل لي مولاي من مولاكا
ك ومولاك ليس ينكرُ ذاكاً ٦٢٤

وقال، وقد عقد الجسر بمنبج:

كأنما الماءُ عليه الجسرُ
كأننا يوم استتب العبرُ
درجُ بياضٍ خطٌّ فيه سطرُ
أسرة موسى يوم شق البحرُ ٦٢٥

وقال أيضاً يصف ناراً:

لله بردٌ ما أشد
جاء الغلامُ بناره
دَّ ومنظرٌ ما كان أعجبُ
حمراء في جمر تلهبُ

٦٢٣ الوصبُ: المُلَازم على الأمر، أو أمر يضر وكلاهما جائزٌ هنا.

٦٢٤ أي إنَّ عبداً ملكته، وهو أن عبده أعظم من مولاك، ومولاك يشهد بذلك.

٦٢٥ العبر: القوم الكثير عددهم، يعني أنَّ القوم الذين اجتمعوا على عقده، يشبهون أسباط موسى عند ازدهام وقت شقِّ لهم البحر.

ديوان أبي فراس الحمداني

فكأنما جمعَ الحلِّ يَّ محرق منه ومذهبٌ
ثمَّ انطفتُ فكأنَّها ما بيننا ندُّ مشعَّبٌ

وقال في وصف السبي:

وخريدةٌ كرمتُ على أربابِها وعلى بوادِرِ خَيلنا لم تُكْرَمِ
خُطبتُ بحدِّ السيفِ حتى زُوِّجتُ كُرْهاً وكان صداقها للمقسمِ
راحتُ وصاحبها بعُرسِ حاضر يُرضى الإله وأهلها في ماتمٍ^{٦٣٦}

وقال يصف الماء والبرك:

انظرِ إلى زهر الربيعِ والماءُ في بركِ البديعِ
وإذا الرياحُ جَرَتْ عليـ هِ في الذَّهابِ وفي الرجوعِ
مرتُ على بيضِ الصَّفَا نَحِ بينها حَلَقُ الدُّرُوعِ

وقال:

ألا ليتِ شعري هل أنا الدَّهْرَ واجدٌ قريناً له حسنُ الوفاءِ قرينُ
فأشكو ويَشكو ما بقلبي وقلبه كلانا على غير الثُّقاتِ ضنينُ^{٦٣٧}

وقال:

صاحبٌ لما أساءَ أتبعَ الدلوَ الرشَاءَ^{٦٣٨}

^{٦٣٦} يقول: وربِّ بَكَرٍ لم تُمسسِ كرمت على أهلها وإنما على خَيلنا لم تكن كريمةً؛ لأخذها إياها بالإهانة والمذلة، وقد زُوِّجت قهراً بغانمها الذي خطبها بسيفه وهو يُرضي الإله إذ يأتيها حلالاً، وأهلها في حزن عليها.

^{٦٣٧} أي: كلُّ منا بخيلٌ بالشكوى إلى مَنْ لا ثقةَ به.

^{٦٣٨} الرِّشَاءُ: الحيل، ومعناه: أنه بالغ في الإساءة؛ لأنه إذا وَقَعَ الدلو في البئرِ وبقيَ الحبل يُمكن إخراجُه به، وأما إذا أتبعَ الحبلَ بالدلو فبأي شيءٍ يخرج.

ديوان أبي فراس الحمداني

وأنا لم أروِ منه بسوى الصبرِ شفاءً
أحمدُ الله على ما سرّني منه وساءَ^{٦٣٩}

وقال أيضًا:

أشدُّ عدوِّك الذي لا تُحاربُ
لقد زدْتُ بالأيام والنَّاسُ خِبرَةً
فأقصاهمُ أقصاهمُ من إساءتي
ولا أنس دارًا ليس فيها مُؤانسُ
وخيرُ خليلِكَ الذي لا تناسبُ^{٦٤٠}
وجرَّبتُ حتى هدَّبتني التَّجاربُ
وأقربُهم مما كرهت الأقاربُ
ولا قرب أهلٍ ليس فيهم مقاربُ

وقال:

لا تطلبنَّ دُنُو دَا
أبقي لأسبابِ المودِّ
رِ من خليلٍ أو معاشِرِ
ة أن تزور ولا تجاوزِ

وقال:

ما كنت مذ كنت إلا طوعَ خلَّابي
يجني الخليل فاستحلي جنائته
ويُتبع الذنب ذنبًا حين يعرفني
يجني إلي فأحنو صافحًا أبدًا
ليست مواخذةُ الإخوانِ من شاني
حتى أدل على عفوي وإحساني
عمدًا وأتبع عُفرانًا بغُفراني
لا شيء أحسن من حانٍ على جانٍ

وقال أيضًا:

إذا كان فَضلي لا أسوِّغ نفعه
ومن أضيِّع الأشياءِ مُهجة عاقلٍ
فأفضلُ منه أن أرى غيرَ فاضلٍ
يجور على حوِّبائها كلُّ جاهلٍ^{٦٤١}

^{٦٣٩} الضميرُ في منه إلى الله، يقول: إني أحمدُ الله على السراءِ والضراءِ.

^{٦٤٠} يقول: أشدُّ الأعداءِ الذي لا تحاربه، وخيرُ الأخلَاءِ الذي لا تعرفه ولا يعرفك؛ فإن الإخوان جواسيسُ

العيون.

^{٦٤١} الحوِّباء: النفس.

وقال في غرض:

يا معجبًا بنجومه لا النحس منك ولا السعادة
الله ينقص من يشا وفي يد الله الزيادة
دع ما تريد وما أريد سدُ فإن لله الإرادة

وقال:

تناهض القوم للمعالي لما رأوا نحوها نهوضي
تكلّفوا المكرمات كدًا تكلف الشعر بالعروض^{٦٤٢}

وقال:

في الناس إن فتشّتهم من لا يعزك أن تُدله
اترك مجاملة اللئيم م فإن فيها العجز كله

وقال:

لست بالمستضيم من هو دوني لاعتداءٍ ولست بالمستضام
ابدل الحقّ للخُصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحُكّام
لم تخالط يد المظالم كفي حذرًا من أصابع الأيتام

^{٦٤٢} يقول: لما رأى الناس نهوضي إلى المكرمات، أرادوا بتقليدي بها تطبّعًا وتكلفًا كما يتكلف الذي لا سليقة له نظم الشعر بعلم العروض الذي قيل فيه:

قد كان شعر الوزي صحيحًا من قبل أن يُخلَقَ العروض

وقال:

انظر لضعفي يا قويُّ
وكن لفقري يا غنيُّ
أحسِنُ إليّ فإنَّني
عبدٌ إلى نفسي مُسيِّ

وقال:

المرءُ رهن مصائبٍ لا تنقضي
حتى يُوازي جسمه في رمسه
فموجَل لقي الردى في أهله
ومعجل يلقي الأذى في نفسه

وقال:

وكنت إذا جعلت الله
رمثني كل حادثة
لي سترًا من النوبِ
وطارقةٍ فلم تصبِ

وقال:

هل ترى النعمةَ دامتْ
أو ترى أمرين جاءا
لصغيرٍ أو كبيرٍ
أولًا مثل أخيرٍ
ريفٌ بتقليبِ الدُّهورِ
وإنما تجري النَّصا
وغيرٌ من غنيِّ
ففقيرٌ من غنيِّ

وقال في غرض قصدهُ:

عطفْتُ على عمرو بنِ تغلبَ بعد ما
ولا خيرَ في هجرِ العشيرةِ لا ترى
تعرَّضُ مني جانبٌ لهمُ صلْدُ
ولكنْ دنوُّ لا يولد هجره
تروح على لمَّ العشيرةِ أو تغدو
تباعدهم طورا كما تبعد العدا
وهجر رفيقٍ لا يُصاحبه زهدُ
وتُكرمهم طورا كما يُكرم الوفدُ

وقال:

بعد الجَفَاءِ إِلَى المَجْفُوِّ سَبَّاقُ
أَعْصِي الهَوَى وَأَطِيع الرَأْيِ فِي وِلْدِ
فَمَا نَظَرْتُ بَعِينِ السُّوءِ مَعْتَمِدًا
وَمَا دَعَانِي إِلَى مَا شَاءَهُ سَخَطُ
وَدُونَ مَا يَأْمَلُ المِشْتَاقُ مِعْتَاقُ^{٦٤٣}
بَعْدَ النَّصِيحَةِ مِنْهُ فَهُوَ أَخْلَاقُ^{٦٤٤}
إِلَيْهِ إِلَّا وَلِلْإِحْسَانِ إِطْرَاقُ^{٦٤٥}
إِلَّا ثَنَانِي إِلَى مَا شَاءَ إِشْفَاقُ

وكتب إليه سيف الدولة من الأسر:

وَمَا شَكَّكُنْتَنِي فِيكَ الخُطُوبُ
وَأَشْكُرُ مَا كُنْتُ فِي ضَجْرَتِي
وَلَا عَيَّرْتَنِي عَنْكَ النُّوبُ
وَأَحْلُمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَبِ

وقال أيضًا:

لَمْ أُوَاخِذْكَ بِالْجَفَاءِ لِأَنِّي
فَجْمِيلُ العَدُوِّ غَيْرُ جَمِيلِ
وَأَثِقُ مِنْكَ بِالْوَفَاءِ الصَّحِيحِ
وَقَبِيحُ الصَّدِيقِ غَيْرُ قَبِيحِ

وقال:

خَفُضْ عَلَيْكَ وَلَا تَكُنْ قَلِقَ الحِشَا
فَالدَّهْرُ أَقْصَرُ مَدَّةً مِمَّا تَرَى
مِمَّا يَكُونُ وَعَلَّهُ وَعَسَاهُ
وَعَسَاكَ أَنْ تُكْفِيَ الذِّي تَخْشَاهُ^{٦٤٦}

^{٦٤٣} المعتاق: على وزن مرصاد بمعنى المتقدم، ويقصد أن القلوب تشهد فراسةً، أي: أن المجفوء يشعر من نفسه بالجفاء قبل أن يقع، وعلى غير ما يأمل المشتاق.

^{٦٤٤} الأخلاق: جمع خلق بالضم، وهو السجية والطبع والمروءة والدين.

^{٦٤٥} يقول: إنني نظرت إليه بعين السوء؛ لتأديبه، والحال أن قلبي مطرقٌ محبةً له.

^{٦٤٦} يقول: هوّن عليك الأمر، فلا تضطرب لما عسى يقع في المستقبل؛ فالدهر والعمر أقصر مدّة مما تضطرب له، وتخشى وقوعه؛ فلربما كُفيت شرّ ما تخشاه بعناية الله.

وكتب إليه أيضًا:

أيا عاتبًا لا أحملُ الدهرَ عَتْبَهُ عليَّ ولا عندي لأنعمِهِ زهدُ
سأسكتُ إجلالًا لعلمِكَ إنني إذا لم تكنْ خصمي لي الحجاجُ اللُدُّ^{٦٤٧}

وقال أيضًا:

لا أحبُّ الجميلَ من سرِّ مولَى لم يدع ما كرهته إعلانا
إن يكنْ صادقُ الودادِ وإلا تركَ الهجرُ للوصالِ مكانا

وقال أيضًا:

فوالله ما أحدثتُ في الحبِّ سلوَةً ووالله ما حدّثتُ نفسي بالصبرِ
وإنك في عيني لأبهى من الغنى وإنك في قلبي لأحلى من العمرِ
فما حُكْمِي المأمولِ جُرْت مع الهوى ويا ثقّتي المأمولِ جُرْت مع الدهرِ^{٦٤٨}

وقال أيضًا:

لجُدْتُ بنفسِي أن يقالَ مبجلٌ وأقدمتُ حينًا أن يُقالَ جبانُ
وعندي بقايا ما وهبت مفاضة ورمحٌ وسيفٌ قاطعٌ وحصانُ^{٦٤٩}

وقال:

أساءَ فزادته الإساءةُ حُظوةً حبيبٌ على ما كان منه حبيبُ
يعدُّ عليَّ الواشيانَ ذنوبَهُ ومن أينَ للوجهِ الجميلِ ذنوبُ

^{٦٤٧} أي: صادقُ الحُجبةِ.

^{٦٤٨} فكأنه يقول: شأنُ الهوى والدهرِ الجور؛ فقد شاركهما المحبوبُ بالجور عليه.

^{٦٤٩} المفاضة: الدرع.

فيا أيُّها الجاني ونسأله الرُّضى ويا أيها الخاطي ونحنُ نتوبُ
لحَى الله مَنْ يرعاك في القُرب وحده ومن لا يودُّ الغَيْبَ حينَ تَغيبُ^{٦٥٠}

وقال:

وزيارة من غير وعدٍ في ليلةٍ طرقتُ بسعدِ
بات الحبيبُ إلى الصِّبَا ح مُعانقي خدًا بخدِّ
يمتارُ فيَّ وناظري ما شئتُ من خمِرٍ ووردِ^{٦٥١}
ما زال لي مولى يها بُ فصيرتهُ الرَّاحُ عبدي
ليستُ بأول منةٍ مطويَّةٍ للرَّاحِ عِندي

وقال:

ومغضٍ للمهابةِ عن جوابي وإنَّ لسانه الغضبُ الصَّقيلُ^{٦٥٢}
أطلتُ عتابه عنتًا وظلمًا فدمعُ ثم قال كما تقولُ

وقال أيضًا:

أغصُّ بذكره أبدًا بريقي وأشرقُ منه بالماءِ القراحِ
وتمنعني مراقبةُ الأعادي غدوِّي للرِّياةِ أو رواجي
ولو أني أملكُ فيك أمري ركبتُ إليك أعناقَ الرِّياحِ

^{٦٥٠} لحى: أي قبَّح ولعن مَنْ لا يكونُ في جِفظ عهدك في القُرب، كما يكون في البعد.
^{٦٥١} يمتار من الميرة، وهو: جلبُ الطعام، والمراد التمتع؛ أي: يتمتع فمي من رُضابه الذي كالخمر، وناظري

من خذه الذي كالورد.

^{٦٥٢} العَضْبُ الصَّقيلُ: السيفُ المَصقولُ.

وقال:

قمرٌ دونِ حَسَنِه الأَقْمَارُ وقضيبٌ من النَّقَا مُسْتَعَارُ
لَا أَعَاصِيهِ فِي احْتِرَامِ المَعَاصِي فِي هَوَى مِثْلِهِ تَطْيِبُ النَّارُ^{٦٥٣}
قَد حَذِرْتَ المَلَا حَ دَهْرًا وَلِكنْ سَاقَنِي نَحْو حَبِّهِ المِقدَارُ
كَمْ أَرَدْتَ السَّلْوَ فَاسْتَعَطَفْتَنِي رُقِيَّةً مِنْ رِقَاك يَا عِيَارُ^{٦٥٤}

وقال أيضًا:

قَد عَرَفْنَا مَغزَاكَ يَا عِيَارُ وَتَلَطَّطْتُ كَمَا أَرَدْتَ النَّارُ
لَمْ أزلْ ثَابِتًا عَلَى الهَجْرِ حَتَّى خَفَّ صَبْرِي وَقَلَّتِ الأَنْصَارُ
كَلَّمَا أَحَدْتُ الحَبِيبَانَ أَمْرًا كَانَ فِيهِ عَلَى المَحَبِّ الخِيَارُ

وقال أيضًا:

مَنْ أَيْنَ لِلرِّشَاءِ الغَرِيرِ الأَحْوَرِ فِي الخَدِّ مِثْل عِذَارِهِ المُتَحَدِّرِ
قَمْرٌ كَأَنَّ بَعَارِضِيهِ كِلَيْهِمَا مَسْكًَا تَسَاقَطَ فَوْق وَرْدِ أَحْمَرِ

وقال أيضًا:

هَوَايَ هَوَاكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنْ مَسَّنِي فِيكَ بَعْضُ المَلَالِ
وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ غَدْرَةٍ وَقَوْلٍ تَكْذِبُهُ بِالفِعَالِ
وَوَعْدٍ تَعْدَبُ فِيهِ الكِرَامُ حَلَاءٍ وَصَالٍ فَهَلْ مِنْ نَوَالِ
وَدُقْنَا مَرَارَةً كَأْسِ الصُّدُودِ فَأَيْنَ حَلَاوَةُ كَأْسِ الوِصَالِ

^{٦٥٣} أي طأوعه في المعاصي؛ لأن جهنم تطيب لي إن كنت أحببه.

^{٦٥٤} العيار: الكثير المجيء والذهب.

وقال:

ندلُّ على موالينا ونجفُو
بأقوالٍ يُجانِبَنَّ المعالي
ونعتبهم وإنَّ لنا الذُّنُوبَا
وألسنةٌ يُخالفنَّ القلوبَا

وقال:

صبرتُ على اختيارِكَ واضطِراري
وكان يعافُ حملَ الضِّيمِ قلبي
وقلُّ مع الهوى فيكَ انتِظاري
فقرَّ على تحمُّله قَراري

وقال:

فديتُكَ حالَ ظُلمِكَ واحتمالي
وكم أبصرتُ من حُسنٍ ولكنَّ
كما كثرتُ ذُنُوبَكَ واعتذاري
عليكَ لِشِقوتي وقَعَ اختياري

وقال في غرض:

سبَقَ الناسَ في الهوى منصورُ
خُلِقَ العُودُ ناعماً فتَنَاهُ
فَسِوَاهُ مَكَلَّفَ مَغْرورُ^{٦٥٥}
وهُوَ صَعْبٌ على سِوَاهُ عَسِيرُ
إِنْ حَبَّ الصَّبَا وَإِنْ طَالَ لَا يَقْدُ
فَهُوَ فِي أَضْلَعِ الصَّغِيرِ صَغِيرُ
نَحْ فِيهِ على الدُّهُورِ دُثُورُ
وَهُوَ فِي أَضْلَعِ الكَبِيرِ كَبِيرُ

وقال:

بأبي شادنٍ بديعُ الجمال
سلَّ سيفَ الهوى عليَّ ونادي
أعجميُّ الهوى فصيحُ الدلال
يا لثأرَ الأعمامِ والأخوالِ

^{٦٥٥} منصور: غلامه.

كيف أرجو مَمَّن يَرَى الثَّأْرَ عِنْدِي خُلُقًا مِنْ تَعَطُّفٍ وَوَصَالٍ^{٦٥٦}
ما درتُ أُسْرَتِي بِذِي قَارٍ إِنْ بَعْضُ مَا جَدَلُوا مِنَ الْأَبْطَالِ
أَيُّهَا الْمُلْزَمِي جِرَائِرَ قَوْمِي بعدما قَضَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي
لم أكنُ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ ولكنُ بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي^{٦٥٧}

وقال:

وما تَعَرَّضَ لِي بِأَسْ سَلُوتُ بِهِ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي فِي إِثْرِهِ طَمَعُ
ولا تَنَاهَيْتُ فِي شُكْرِي مَحَبَّتَهُ إِلَّا وَأَكْثَرُ مِمَّا قَلْتُ مَا أَدْعُ

وقال:

قد كان لي فيكَ حُسْنُ صَبْرٍ خلوتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ مِنْهُ
لم تَتَّرِكْ لِي الْجَفُونَ إِلَّا ما اسْتَنْزَلْتَنِي الْجَفُونَ عَنْهُ
قد حالَ يا قَلْبُ ما تُتْلَاقِي إن ماتَ ذُو صَبْوَةٍ فَكُنْهُ^{٦٥٨}

وقال أيضًا:

جاريةٌ كحلاءَ ممشوقةً في صَدْرِهَا حُقَّانٍ مِنْ عَاجٍ^{٦٥٩}
شجا فؤادي طرفها الساجي وكلُّ ساجٍ أبدًا شاجي^{٦٦٠}

^{٦٥٦} كأنه قال هذه الأبيات في مملوك رومي، يقول: سل عليَّ سيفَ الفتنِ وناذِ يا لثاراتِ أعمامه وأخواله الذي أوقع بهم، وكيف أرتجى التعطفَ والوصلَ ممن يعتقد أن له ثأراً عليَّ.
^{٦٥٧} يقول: يا مَنْ أَلْزَمْتَنِي بِجِرَائِمِ قَوْمِي، إني لستُ أنا الجاني؛ ولكني قد صليتُ بنازها، ومثلُ ذلك قولُ الشاعر:

غيري جنى وأنا المسبب فيكمُ فكأنني سبابة المتندمُ

^{٦٥٨} أي فكُنْ أنتَ ذلك الميْت؛ لتستريحَ مما تُتْلَاقِيه.

^{٦٥٩} أراد بِالْحُقَّينِ: ثدييها.

^{٦٦٠} الساجي: الأسود.

وقال:

لي صديقٌ على الزَّمانِ صديقي
لو تراني إذا استهلَّتْ دُموعي
أسرُقُ الدمعَ من نديمي بكأسٍ
ورفيقٌ مع الخطوبِ رفيقي
في صَبوحِ ذكْرتهُ أو عَبوقِ
فأحلي عقيانها بالعقيقِ

وقال أيضاً:

لما رأى لحظاتي في عوارضه
لات اللثامِ على وجه أسرتهُ
فيما أشاء من الرِّيحانِ والراح
كأنها قمرٌ أو ضوءٌ مصباحٍ^{٦٦١}

وقال أيضاً:

وشادنٍ من بني كسرى شغفت به
إن زار قصر ليلى في زيارته
كأنما الشمسُ بي في القوسِ نازلة
لو كان أنصفني في الحبِّ ما جارا
وإن جفاني أطال الليل أعماراً
إن لم يزرني وفي الجوزاءِ إن زارا^{٦٦٢}

وقال يعاقب غلامه منصوراً:

ولي في كلِّ يومٍ منك عتبٌ
صبرتُ عليك لا جلدًا ولكن
أقومُ به مقامَ الإعتذارِ
صبرتُ على إختيارِك وإضطرابي

^{٦٦١} لات اللثام أي: أرخاهُ على وجهه، كأنه القمرُ أو نورُ المصباحِ.

^{٦٦٢} نزولُ الشمسِ في القوسِ يكون في اليومِ التي ليلتهُ أقصرُ الليالي، ونزولهُ في الجوزاءِ وهي أطولُ الليالي، فزيارتهُ تقصُرُ الليلَ وليلُ هجره طويلاً، ومن ذلك قول الشاعر:

يجودُ بالطولِ ليلى كلما بخلتُ بالطولِ ليلى وإن جادت به بخلًا

وقال أيضاً:

وإني لأنوي هجره فيردُّني
فيغلطُ قلبي ساعةً ثم يَنثني
وقد كان لي عن ودِّه كل مذهب
ولا غرَّو أن أعنو له بعدَ عزَّةٍ
هوَى بين أثناءِ الضُّلوعِ دَفينُ
ويجفو عليه تارةً ويلينُ
ولكنَّ مثلي بالإخاءِ ضنينُ
فقد قيلَ في غيرِ الشَّفِيقِ يَهونُ

وقال عند وقوفه على قصيدة محمد بن سكرة الهاشمي التي يفخر بها على الطالبين:

الدينُ مخترمٌ والحقُّ مهتَضمٌ
والناسُ عندك لا ناسٌ فيحفظهم
إني أبيتُ قليلَ النومِ أرَّقني
وعزمُه لا ينامُ الدهرَ صاحبُها
يُصانُ مهري لأمرٍ لا أبوحُ به
يا للرجالِ أما لله منتصرٌ
بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ
مبجلونَ فأصفي شربهم وشلُّ
فالأرضُ إلا على سگانها سعةٌ
للمتقين من الدنيا عواقبها
لا يطغينُ بني العباس ملكهمُ
أضحى بآلِ رسولِ الله مقتسِمٌ^{٦٦٣}
سوءُ الدعاءِ ولا شاءُ ولا نَعَمُ
قلبٌ تكأف فيه الهمُّ والهممُ
إلا على ظفرٍ في طيِّه لَزَمُ^{٦٦٤}
والدَّرْعُ والرُّمْحُ والصَّمصامةُ الخدمُ^{٦٦٥}
من الطُّغاةِ ولا للدينِ منتقمُ
والأمرُ تملكُه النسوانُ والخدمُ
عند الوُرودِ وأوفى وِردهمُ لحمُ^{٦٦٦}
والمالُ إلا على أربابه ديمُ^{٦٦٧}
وإن تعجَّلَ منها الظالمُ الأثمُ
بنو عليٍّ موالِيهم وإن رَغِمُوا^{٦٦٨}

٦٦٣ الاخترامُ: الضياعُ، والمقتسمُ النَّامُ المرتابُ.

٦٦٤ اللزَمُ محرّكة: فضلُ الشيءِ.

٦٦٥ يقول: أصون فرسي وبردعي ورُمحي وسيفي القاطع لأمرٍ لا أظهره إلا في محلّه.

٦٦٦ الوشل ما يُتناول بالكفِّ، واللحمُ الشيءُ القليلُ النَّافه، والمراد: أنهم يرضون بالقليل.

٦٦٧ يقول: إنَّ الأرضَ واسعةٌ على غيرِ الذين يستحقُّون أن يملكوها، والمالُ كثيرٌ كالديم على غير من يجبُ

أن يكونوا أربابه.

٦٦٨ أي: لا يغترُّ بنو العباس بملكهم؛ فأولادُ عليٍّ رضي الله عنهم موالِيهم بالرغم عنهم.

أَتَفَخَّرُونَ عَلَيْهِمْ لَا أبا لَكُمْ
 وما تَوَازَنَ يوماً بَيْنَكُمْ شَرَفٌ
 ولا لَجِدُّكُمْ مَسْعَاءَ جَدِّهِمْ
 ليس الرشيْدُ كَمُوسَى في القياسِ ولا
 حتى إذا أَصَبَحَتْ في غير صاحبِها
 وصيِّرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كأنَّهُمْ
 تالِه ما جهَلَ الإنسانُ موضعَها
 ثم ادَّعَاها بنو العَبَّاسِ إرْتَهُمْ
 لا يُذَكِّرُونَ إذا ما عُصَبَةٌ ذُكِرَتْ
 ولا رَأَهُم أبو بكرٍ وصاحبُه
 فهل هُم يَدْعُوهَا غيرَ واجِبَةٍ
 أمَّا عليٌّ فقد أدْنَى قِرابَتِكُمْ
 أينكُرُ الحَبْرُ عبدُ الله نِعْمَتَهُ
 بيئسَ الجِزَاءُ جَزَيْتُمْ في بني حَسَنٍ
 لا بيعةَ رَوَعْتَكُمْ عن ديارِهِمْ
 ألا صَفَحْتُمْ عن الأَسْرَى بلا سَبَبٍ
 حتى كأنَّ رَسولَ اللهِ جَدَّكُمْ^{٦٦٩}
 ولا تَساوَتْ بِكُمْ في موطنِ قَدَمٍ
 ولا نُفَيْلَتُكُمْ من أُمَّهَمُ أُمَّ^{٦٧٠}
 مَأْمُونِكُمْ كالرُّضِيِّ إن أنصَفَ الحَكَمُ^{٦٧١}
 باتتْ تُنازِعُها الذُّوبانُ والرَّحْمُ^{٦٧٢}
 لا يَعْلَمُونَ ولاةَ الحَقِّ أَيُّهُمْ
 لكنَّهُم سَتَرُوا وَجَهَ الَّذِي عَلِمُوا
 وما لهُم قَدَمٌ فيها ولا قَدَمٌ
 ولا يُحَكِّمُ في أمرٍ لهُم حَكَمٌ
 أهلاً لما طَلَبُوا مِنْهُم وما زَعَمُوا^{٦٧٣}
 أم هل أَيَمَّتْهُم في أَخْذِها ظَلَمُوا
 عند الوِلايَةِ إن لم تَكْفِرِ النُّعْمُ^{٦٧٤}
 أبوكُمْ وَعُبَيْدُ اللهِ أم قَتَمٌ^{٦٧٥}
 أباهم العَلَمَ الهادي وَأُمَّهَمُ
 ولا يَمِينٌ ولا قُرْبَى ولا نِمْ
 لِلصَّافِحِينَ ببَدْرِ عن أسيرِكُمْ

^{٦٦٩} كأنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ جَدَّكُمْ لا جَدَّهُمْ، مع أَنَّهُ جَدُّهُمْ فَلَهُمُ الحَقُّ في الفَخْرِ.

^{٦٧٠} الأُمُّ القُربِ واليسيرِ والبينِ. ونُفَيْلَتِكُمْ هي نُفَيْلَةُ بِنْتُ كَلِيبِ بنِ حَسانِ بنِ مَلِكِ بنِ النَمْرِ بنِ قاسِطِ

جَدِ العَبَّاسِ، يعني لا تَقارِبُونَ الطَّالِبِيِّينَ لا من جِهةِ الأَباءِ، ولا من جِهةِ الأُمَّهاتِ.

^{٦٧١} يقول: ليس هارونُ الرشيْدُ كَمُوسَى الكاظمِ ولا ابنُه المَأْمونُ، كالرُّضِيِّ بنِ موسى الكاظمِ رضي اللهُ عنهم.

^{٦٧٢} الضميرُ في «أصبحت» عائِدٌ إلى الخِلافةِ، وإن لم يسبِقْ لها ذِكْرٌ، والذُّوبانُ بالضَّمِّ: بقيةُ الوَبْرِ، والرَّحْمُ

جمع رَحْمٍ: طائرٌ.

^{٦٧٣} أي: إن أبا بكرٍ وعمرَ رضي اللهُ عنهما، لم يريا بني العَبَّاسِ أهلاً لما طَلَبُوا مِنْهُما.

^{٦٧٤} أي: إن الإمامَ عليًّا رضي اللهُ عنه قَرَّبَكُمْ مِنْهُ وأَكْرَمَكُمْ في زَمَنِ وِلايَتِهِ، فَحَقَّكُمْ أن تَشْكُرُوهُ إن لم يكن هناك كِفرانٌ بالنُّعْمَةِ.

^{٦٧٥} قَتَمٌ بالثاءِ بنُ العَبَّاسِ بنُ عبدِ المَطْلَبِ، وهو أخو عبيدِ اللهِ.

وعن بناتِ رسولِ الله شَتَمَكُمُ^{٦٧٦}
 تلك الجرائمُ إلا دونَ نيلِكُمُ^{٦٧٧}
 غدرِ الرشيدِ بيحيي كيفَ ينكتُمُ^{٦٧٨}
 عن ابنِ فاطمةَ الأقوالُ والتُّهَمُ
 وكم دمَ لرسولِ اللهِ عندَكُمُ
 أظفارِكُمُ من بَنِيهِ الطَّاهِرِينَ دَمُ
 يوماً إذا قَضَتِ الأخلاقُ والشَّيْمُ
 ولم يكن بينِ نوحٍ وابنه رَجْمُ^{٦٧٩}
 وأبصروا بعدَ يومٍ أمرهم غَمُ^{٦٨٠}
 ومعشراً هلكوا من بعد ما سَلِمُوا
 ولا الهبيريَّ نَجَّا الحلفُ والقَسْمُ^{٦٨١}
 لا يدعوا مُلكها أملاكها العَجْمُ
 وغيركم أمرٌ فيهنَّ محتَكُمُ^{٦٨٢}
 وفي الخلافِ عليكم يخفقُ العَلَمُ
 عند السُّؤالِ وعمالين إن عِلِمُوا
 ولا يضيعون في حُكْمٍ إذا حَكَمُوا
 ومن بيوتِكُمُ الأوتارُ والنغمُ
 قَفَ بالديارِ التي لم يُعِفها قَدَمُ

ألا كَفَفْتُمُ عن الدَّيْباجِ ألسُنَكُم
 ما نال منهم بنو حربٍ وإن عَظُمْتُ
 يا جاهداً في مَساويهم لِيَسْتَرها
 ذاقَ الرُّبيريُّ عبءَ الحَتَفِ وانكشَفْتُ
 كم غدرِةً لَكُمُ في الدَّيْنِ واضِحِةً
 أأنتمُ ألهِ فيما ترونَ وفي
 هيهاتَ لا قَرُبْتُ قَرِبي ولا رَحْمُ
 كانتِ موَدَّةُ سلمانٍ لهم رَحِمًا
 بَاءُوا بِقَتْلِ الرضِيِّ من بعدَ بَيْعَتِهِ
 يا عصبَةَ شَقِيَّتٍ من بعد ما سَعِدْتُ
 لا عن أبي مسلمٍ في نَصِحِهِ صَفَحُوا
 أبلغَ لديكِ بني العباسِ مَأْلِكَةَ
 أيُّ المفاخرِ أضحى في مَنابِرِكُمُ
 وهل يَفِيدُكُمُ من مَفخرِ عِلْمٍ
 خَلُّوا الفخارَ لِعَلَّامِينَ إن سُئِلُوا
 لا يَغْضَبُونَ لغيرِ اللهِ إن غَضِبُوا
 تَبْدُوا التلاوةَ من أبياتِهِمْ أَبَدًا
 إذا تَلَّوا آيَةَ عني أَمامَكُم

^{٦٧٦} أي: هَلَّا كَفَفْتُمُ ألسِنَتِكُمُ عن وجوه أجدادهم الآلِ الكرام، وعن بنات رسول الله ﷺ السبِّ والشَّتِيمة.

^{٦٧٧} يقول: ما فعل بنو أمية من الجرائم هو دون ما فعلتم أنتم معهم، فقد زُدتُمُ الإساءةَ إلى أهل البيت.

^{٦٧٨} يُشير إلى غدرِ الرشيدِ بيحيي البرمكي.

^{٦٧٩} إشارةً إلى ما ورد في الحديثِ الشريف: «سلمانٌ منَّا آل البيت»، وإلى قولهِ تعالى في حق كنعان بن نوح

... إلخ.

^{٦٨٠} يقول: قتلوا الرضِي بنَ موسى الكاظمِ رضي الله عنهما من بعد أن بايَعهم، واشتدَّ عليهم الأمرُ بعد

قتله.

^{٦٨١} يقول: لم يصفحوا عن أبي مسلم الخرساني مع نصحه لهم، ولا عن الهبيري مما بينهم من الإيمان.

^{٦٨٢} أي فخرٍ لَكُمُ في المنابرِ التي بنيتموها، وغيركم من الأعجام يأمر ويحتكم فيها.

منهم عليَّةُ أم منكم وهل لكم
 ما في بيوتهم للخمّر معتصراً
 ولا تبيت لهم خنثى ثناؤمهم
 فالركن والبيت والأستار منزلهم
 وليس من قسم في الذكر نعرفه
 شيخ المغنّين إبراهيم أو لهم^{٦٨٣}
 ولا في بيوتهم للشرّ معتصم
 ولا يرى لهم فرد له حشم
 وزمزم والصفا والحجر والحرم
 إلا وهم غير شك ذلك القسم

وكتب إلى سيف الدولة من بلاد الروم:

يا ضارب الجيش في أوساط مفرقه
 لا تحرز الدرع مني نفس صاحبها
 ولا أعود برمحي غير منحطم
 حتى تقول لك الأعداء راغمة
 هيهات لا أجد النعماء منعمها
 يا من تحاذر أن تمضي علي يد
 وأنت ممن أضن الناس كلهم
 ما زلت أجهله فضلاً وأنكره
 حتى رأيتك بين الناس مجتنباً
 فعنده وعيون الناس ترمقني
 لقد ضربت بنفس الصارم العضب
 ولا أجز دماء البيض واليلب^{٦٨٤}
 ولا أروح بسيفي غير مختضب
 هذا ابن عمك أضحى فارس العرب
 خلفت يا ابن أبي الهيجاء في أبي^{٦٨٥}
 ما لي أراك لبيض الهند تسمخ بي
 فكيف تبذلني للسمر والقضب
 وأوسع النفس من عجب ومن عجب
 تثني علي بوجه غير متئب^{٦٨٦}
 علمت أنك لم تخطيء ولم أصب

^{٦٨٣} عليَّة ك «مئة» اسم أم إمام من كبار المحدثين. يقول: إن هذا الإمام منهم أم منكم وإبراهيم الموصلي

شيخ المغنين منكم أم منهم؟ على أن المقصود أن علية المحدث منهم، وشيخ المغنين إبراهيم منكم.

^{٦٨٤} اليلب محرّكة: الدرع والترس من الجلود، أو جلود يُخرز بعضها إلى بعض، تلبس على الروس خاصة

والفولاذ والحديد والعظم من كل شيء.

^{٦٨٥} أي خلقت أبي في الإنعام عليّ والميل إليّ.

^{٦٨٦} الاجتناب: البعد، والاتئاب: الاستحياء.

وقال أيضاً وقد كتَبَ بها إلى سيف الدولة من الأسر، يُعزيه بأخته:

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجد
إني أجلك أن تكفى بتعزية
هي الرزيئة إن ضنت بما ملكت
بي بعض ما بك من حزن ومن جزع
لم ينغصني بُعدي عنك من حزن
لأشركنك في البأساء إن طرقت
أبكي بدمع له من حسرتي مدد
ولا أسوغ نفسي فرحة أبداً
وأمنع النوم عيني أن تلد به
يا مفرداً بات يبكي لا معين له
هو الأسير المبقى لا فداء له

جلَّ المصابُ عن التّعنيفِ والفندِ
عن خيرٍ مُفتقدٍ يا خيرَ مُفتقدِ
فيها الجفونُ فما تسخو على أحدٍ
وقد لجأت إلى صبرٍ فلم أجدِ
هي المؤاساةُ في قربٍ وفي بُعدٍ
كما شركتكَ في النعماءِ والرغدِ
وأستريحُ إلى صبرٍ بلا مددِ
وقد عرفت الذي تلقاهُ من كمدِ
علماً بأنك موقوف على السهدِ
أعانك الله بالتّسليمِ والجدِ^{٦٨٧}
يفديك بالنفسِ والأهلين والولدِ

وقال يرثي أبا المكارم ويعزيه عنه:

ما عمر الله سيف الدين مغتبطاً
من كان عن كل مفقود لنا بدلاً
يبكي الرجال وسيف الدين مبتسماً
لم يجهل القوم منه فضل ما عرفوا
هل مبلغ القمر المدفون رائحة
ما بعد فديك لي أهل ولا ولد
يا من أتته المنايا غير حافلة

فكلُّ حادثَةٍ يرمي بها جلُّ^{٦٨٨}
فليس منه على حالاته بدل
حتى عن ابنك تُعطي الصبرَ يا جبِلُ
لكن عرفت من التّسليم ما جهلوا^{٦٨٩}
من المقال عليها للأسى حُلُ
ولا حياة ولا موت ولا أمل
أين العبيد وأين الخيل والخولُ

^{٦٨٧} أراد بالمفرد نفسه؛ لأنه وحيد في الأسر.

^{٦٨٨} يقول: كل ما يصاب به سيف الدولة من الحوادث؛ فهو عظيم فأين الاغتيال.

^{٦٨٩} يقول: لم يجهل الرجال الذين بگوا فضل الذي عرفوا فضله فبكاؤهم في محله، لكن عرفت أنت فضل

التسليم لله الذي جهلوه.

أين الليوثُ التي حوليك رابضةٌ
أين السيوفُ التي قد كنتُ أقطعُها
يا ويحُ حالكِ بل يا ويحُ كلُّ فتى
أين الصنائعُ أين الأهلُ ما فعلوا
أين السوابقُ أين البيضُ والأسلُ
أكلُ هذا تخطى نحوك الأجلُ

وقال يعزيه بأخته:

قولا لهذا السيدِ الماجدِ
هيهات ما في الناسِ من خالدِ
كُن المعزّي لا المعزّي به
قولَ حزينٍ قلبه فاقدِ
لا بدَّ من فقدٍ ومن فاقدِ
إذ كانَ لا بدَّ من الواحدِ

وقال يرثي أبا المرجان جابر بن ناصر الدولة وتوفي بالرحبة:

الفكر فيك مقصّر الآمالِ
لو كان يخلدُ بالفضائلِ فاضلُ
أو كنتُ تُفدى لافتدتكِ سراتنا
أو كان يدفع عنك بأسُ أقفلتِ
أعزز على ساداتِ قومك أن تُرى
والسُمرُ عندك لم تدقِ صدورها
والسابغاتُ مصونةٌ لم تبتدلِ
وإذا المنيةُ أقبلتُ لم يثنيها
ما للخطوبِ وما لأحداثِ النوى
لما تسربلِ بالفضائلِ وارتدى
وتشاهدتُ صيد الملوكِ لفضله
أبى المرجى غير حزني دارسُ
والحرصُ يعدل غايةَ الجهالِ
وصلتُ لك الأجال بالآجالِ ٦٩٠
بنفائسِ الأرواح والأموالِ
صرعى تكدس بالفتنا العسالِ ٦٩١
فوق الفراشِ مقطّع الأوصالِ
والخيلُ واقفة على الأطيالِ
والبيضُ سالمةٌ مع الأبطالِ
جرصُ الحريصِ وحيلةُ المحتالِ
أعجلنَ جابرَ غايةَ الإعجالِ
بردا العلا واعتمَ بالإقبالِ ٦٩٢
وأرى المكارمَ في مكانِ عالِ
أبدًا عليكِ وغير قلبي سألِ ٦٩٣

٦٩٠ يقول: لو كان بالفضائل يخلد فاضلٌ في الدنيا؛ لوصلتُ لك الأعمارَ بعُمرِكَ فخلدت لأنَّ بقاءك لازمٌ.

٦٩١ أي: أقبلتُ سراتنا إقبالَ المصروعين، شرع الرماح لدفع الموت عنك.

٦٩٢ أي لبس ثوبَ العلا، ونعم بالإقبال.

٦٩٣ المعنى: أن حزني عليك لا يندرس، وقلبي لا يسُلك.

ولئن هلكتَ فما الوفاءُ بهالكِ ولئن بليتَ فما الوفاءُ ببالِ
لا زلتَ مغدوَّ الثرى مطروقَه بسحابةٍ مجرورة الأذيالِ ٦٩٤
وحجبَن عنكَ السيئاتِ ولا يزلُ لكِ صاحبٌ من صالحِ الأعمالِ

وقال يصف حال الوقعة:

ضلالٌ ما رأيتُ من الضلالِ معاتبَةٌ الكريمِ على النوالِ ٦٩٥
وإن مسامعي عن كلِّ عذلي لفي شغلٍ بحمدٍ أو سُؤالِ
لا والله ما بخلتُ يميني ولا أصبحتُ أشقاكم بمالي ٦٩٦
ولا آسى بحكمٍ فيه بعدي قليلُ الحمدِ لي سوءُ الفعالي
ولكنْ سوفَ أفنيه وأفني نخائرَ من ثوابٍ أو كمالِ
وللوراثِ إرثُ أبي وجدِّي جياذ الخيلِ والأسلِ الطوالِ ٦٩٧
وما تجني سراً بني أبينا سوى ثمراتِ أطرافِ العوالي
ممالكنا مكاسبنا إذا ما توارثها رجالٌ عن رجالِ
إذا لم تمس لي نارٌ فإنني أبيتُ لنارٍ غيري غيرَ صالحِ
أويننا بين أطنابِ الأعادي إلى بلدٍ ممن النطَّارِ خالِ ٦٩٨
نشدُّ بيوتنا من كلِّ فجٍّ به سمُّ الأراقمِ والصَّلالِ ٦٩٩

٦٩٤ مغدو الثرى ومطروقه: أي لا تزال السحُبُ تَسقي ثراك بالغدوِّ والعشايا.

٦٩٥ يقول: معاتبَةٌ الكريمِ على النوالِ ضلالٌ ما رأيتُ مثله. فضلالٌ: خبرٌ مقدم ومعاتبَةٌ الكريمِ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

٦٩٦ الشقيُّ بالمالِ: هو البَخيلُ الذي يجمعُ المالَ المبشرِ بحدثٍ، أو وارث.

٦٩٧ جواب على سؤالٍ تقديره: إذا أفنيته فما تبقي للوارث؟ أجاب: إنما أبقى لهم ما تركه أبي وأجدادي، وهو الخيلُ الحسانُ والرماحُ الطوالِ.

٦٩٨ النطَّار: الخيالُ المنصوب بين الزرع. يقول سكتاً في الخيامِ التي نصَّبناها بين خيامِ الأعادي في بلدٍ خاليةٍ من الزرعِ لا نطَّار فيها.

٦٩٩ الأراقم: جمعُ أرقم، وهي: الحيةُ التي عليها نَقشُ كالرَّقْمِ، والصَّلالُ: جمعُ صلٍّ وهو ولدُ الأفعى، والضمير في «به» راجعٌ إلى البلدِ.

نَعَافُ قَطُوفَهُ وَنَمَلُّ مِنْهُ
 مَخَافَةً أَنْ يُقَالَ بِكُلِّ أَرْضٍ
 أَسِيفَ الدَّوْلَةِ الْمَأْمُولِ إِنِّي
 وَمَنْ وَرَدَ الْمَهَالِكَ لَمْ تَرُعُهُ
 إِذَا قُضِيَ الْجِمَامُ عَلَيَّ يَوْمًا
 وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا النَّاسِ بِأَسَا
 وَأَهْجَمَهُمْ عَلَى جَيْشٍ كَثِيفٍ
 ضَرَبْتَ فَلَمْ تَدْعُ لِلسَّيْفِ حَدًّا
 وَقَلْتَ وَقَدْ أَظْلَمَ الْمَوْتُ: صَبْرًا
 أَلَا هَلْ مِنْكَرُ أَبْنِي نَزَارٍ
 أَلَمْ أَثْبُتْ لَهَا وَالْخَيْلُ فَوْضَى
 تَرَكْتَ ذَوَابِلَ الْمِرَّانِ فِيهَا
 وَرَحْتَ أَجْرُ رُمَحِي عَنْ مَقَامٍ
 فِقَائِلَةٌ تَقُولُ أَبَا فِرَاسٍ
 وَقَائِلَةٌ تَقُولُ جُزَيْتَ خَيْرًا
 وَمُهْرِي لَا يَمَسُّ الْأَرْضَ زَهْوًا
 كَأَنَّ الْخَيْلَ تَعْلَمُ مِنْ عَلَيْهَا
 عَلَيْنَا أَنْ يِعَاوِدَ كُلَّ يَوْمٍ
 فَإِنْ عَشْنَا نَحْرُنَاهَا لِأُخْرَى

وَيَمْنَعُنَا الْإِبَاءُ مِنَ الزَّيَالِ
 بَنُو حَمْدَانَ كَفَوْا عَنْ قِتَالِ ٧٠٠
 عَنِ الدُّنْيَا إِذَا مَا عَشْتِ سَالِ
 زَايَا الدَّهْرِ فِي أَهْلِ وَمَالِ
 فَفِي نَصْرِ الْهُدَى بِيَدِ الضَّلَالِ ٧٠١
 وَأَصْبِرْهُمْ عَلَى نَوْبِ اللَّيَالِي
 وَأَعُوذْهُمْ عَلَى حَيِّ جَلَالِ
 وَجَلْتَ بَحِيثُ ضَاقَ عَنِ الْمَجَالِ
 وَإِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ سَوَاكُ غَالِي ٧٠٢
 مَقَامِي يَوْمَ ذَلِكَ أَوْ مَقَالِي
 بَحِيثُ تَخَفُ أَحْلَامُ الرَّجَالِ
 مَخْضَبَةٌ مَحْطَمَةٌ الْأَعَالِي
 تَحَدَّثُ عَنْهُ رَبَاتُ الْجِبَالِ ٧٠٣
 لَقَدْ حَامَيْتَ عَنِ حَرَمِ الْمَعَالِي
 أَعِيدُ غَلَاكَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ
 كَأَنَّ تَرَابَهَا قَطْبُ النَّبَالِ ٧٠٤
 فِي بَعْضِ عَلَى بَعْضِ تُغَالِي
 رَخِيصَ عِنْدَهُ الْمَهْجُ الْغَوَالِي
 وَإِنْ مِتْنَا فَمَوَاتُ الرِّجَالِ

٧٠٠ أي نكره السكنى بذلك البلد الخالي ونسألم منه، لكن يمتنعنا عن التحول عن سكنى الخيام في البلد القفر الخوف من أن يُقال: إننا تركنا الحرب فإذا سكننا نكون مهينين لها.

٧٠١ أي: أموت بيد أهل الضلال في نصرة الهدى والدين.

٧٠٢ يقول: قلت: صبرًا. والموت محيط بك كالظل وإن الصبر في ذاك المقام عزيز على سواك.

٧٠٣ ربات الجبال: المخدرات.

٧٠٤ أي: كأن الأرض يدور عليها قطب من النبال.

وقال يفتخر:

سَلِي عَنِي نِسَاءَ بَنِي مَعَدٍّ
أَلَسْتُ أُمَّدَّهُمْ لَذَوِي ظِلًّا
وَأَثْبَتَهُمْ إِلَى الْحَدَثَانِ جَاشًا
أَلَسْتُ أَقْرَهُمَ لِلضَّيْفِ عَيْنًا
رَضِيْتُ الْعَازِلَاتِ وَمَا يَقْلِنُهُ
وَكَمْ فَجِرَ سَبَقْنَ إِلَى مَلَامِي
وَرَاجِعَةٍ إِلَيَّ تَقُولُ سِرًّا
فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ طَمَعًا تَوَلَّتْ
أَرِيَّتِكَ مَا تَقُولُ بِنَاتِ عَمِي
أَمَّا وَاللَّهِ لَا يُمْسِينِ حَسْرِي
وَلَكِنْ سَوْفَ أَوْجِدُهُنَّ وَصَفَا
مَتَى مَا يَدُنُّ مِنْ أَجْلِ كِتَابِي

يَقْلُنَ بِمَا رَأَيْنَ وَمَا سَمِعْنَهُ
وَأَوْسَعَهُمْ لَدَى الْأَضْيَافِ جَفْنَهُ^{٧٠٥}
وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى الْفُرْسَانِ طَعْنَهُ
أَلَسْتُ أَمْرَهُمْ فِي الْحَرْبِ لُهْنَهُ^{٧٠٦}
وَإِنْ أَمْسَيْتُ عَصَاءَ لُهْنَهُ
فَعَدْتُ ضَحَى وَلَمْ أَحْفَلْ بِهِنَّ
أَعُودُ إِلَى نَصِيحَتِهِ لَعْنَهُ^{٧٠٧}
فَقَالَتْ فِي عَاتِبَةٍ وَقْلِنَهُ
إِذَا وَصَفَ النِّسَاءَ رَجَالَهُنَّ
يَلْقُقْنَ الْكَلَامَ وَيَعْتَذِرْنَ
وَأَبْسُطُ فِي النَّدَى بَكْلَامَهُنَّ^{٧٠٨}
يَكُنْ بَيْنَ الْأَعْنَةِ وَالْأَسْنَةِ^{٧٠٩}

وقال أيضًا في أخرى:

بَكَرْنَ يَلْمُنَنِي وَرَأَيْنَ جُودِي
فَقُلْتُ لَهُنَّ: هَلْ فَيَكُنُّ بَاقٍ
وَإِنْ يَكُنِ الْحِذَارُ مِنَ الْمَنَابِيَا

عَلَى الْأَرْمَاحِ بِالنَّفْسِ الْمَضْنَةَ^{٧١٠}
عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ إِذَا طَرَقْنَهُ
سَبِيلًا لِلْحَيَاةِ فَلَا تَمَنَّهَ^{٧١١}

^{٧٠٥} الْجَفْنَةُ: أَعْظَمُ الْقِصَاعِ؛ أَي: الصُّحَافِ.

^{٧٠٦} اللَّهْنَةُ بِضَمِّ اللَّامِ: اللَّحْمَةُ.

^{٧٠٧} لَعْنٌ لُغَةٌ فِي لَعْلٍ. يَقُولُ وَكَمْ عَازِلَةٌ رَجَعَتْ إِلَيَّ، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا سِرًّا: عُودُوا إِلَى نَصِيحَتِهِ عَلَّهْ

يَسْمَعُ وَيَرْعَوِي.

^{٧٠٨} أَي سَوْفَ أَفْعَلُ مِنَ الْمُنَاقِبِ وَالْمَكَارِمِ مَا يَصِفُنَنِي بِهِ.

^{٧٠٩} يَقُولُ: مَتَى دَنَا يَوْمٌ مَوْتِي يَكُونُ بَيْنَ الْخِيُولِ وَالرِّمَاحِ.

^{٧١٠} الْمَضْنَةُ بِكسْرِ الضَّادِ: النَّفِيسَةُ.

^{٧١١} أَي فَلَا تَمَنَّهَ.

سأشدها على ما كان مني
وإن أهلك فعن أجل مسمى
فإن أسلم فعرضي سوف يوفى
فلا يأمرنني بمقام ذل
وموت في مقام العز أشهى
وأبسط في الندى بكلامهنة^{٧١٢}
سيأتيني ولو ما بينكنه^{٧١٣}
وأتبعكن إن قدمتكنه
فما أنا بالمطيع إذا أمرنه
إلى الفرسان من عيش يمهنه^{٧١٤}

وقال يفتخر:

لمن الجدود الأكرمو
من ذا أجد كما أع
من ذا يقوم لغيره
من ذا يرد صدوره
أحمي حريمي أن تبا
وتخافني كوم اللقا
تُسمي إذا طرق الضيو
ناري على شرف تو
يا ناز إن لم تجلبي
والعز مَضروبُ السرا
تجني ولا يجني علي
ن من الوري إلا ليه
د من الجدود العالیه
بين الصُفوف مقاميه
ن إذا أغرن علانيه
ح ولست أحمي ماليه
ح وقد أمن عذابيّه^{٧١٥}
ف فناؤها بفنائيه^{٧١٦}
جج للضيوف الساريه
ضيفاً فلست بناريه
دق والقباب الجاريه^{٧١٧}
ه وتتقي الجلى بيه

^{٧١٢} هذا البيت إشارة إلى ذكره في آخر القصيدة التي قبل هذه.

^{٧١٣} أي الأجل المسمى لا بد أن يأتي، ولو كنت بينكن على فراس الحرير، وما هنا زائدة.

^{٧١٤} يقول نهياً للعائلات: لا يأمرنني بأن أكون ذليلاً من دون كيد الأعداء؛ لأنهن إذا أمرنني فبخلاف ذلك،

فالموت بالعز أشهى من العيشة بالمهنة.

^{٧١٥} الكوماء هي: العظيمة السنم من النوق، واللّقاح هي التي قبلت أن تلقح بالفحل.

^{٧١٦} فنائيه أي: داري.

^{٧١٧} السرادق: الذي يمد في صحن البيت، كالظلة. والجارية: الشمس.

وقال أيضًا يفتخر:

إذا مررت بوادٍ جاشَ غاربه
وإن وقفتَ بنادٍ لا يُطيفُ به
نُغير في الهجمة الغراءَ ننحرها
وتجفَلُ الشولُ بعد الخمسِ صاديةً
وتصبح الكومُ أشتاتًا مروعةً
ويصبحُ الضيفُ أولانا بمنزلنا
فَاعِقِلْ قَلْوَصَكَ ذَاكَ التُّرْبُ وَإِدِينَا^{٧١٨}
أهلُ السفاهةِ فاجلسُ فهو نادرنا
حتى ليعطش في الأحيان راعينا^{٧١٩}
إذا سمعنا على الأمواه حاديننا^{٧٢٠}
لا تأمنِ الدهرَ إلا من أعاديننا
نرَضَى بِذَاكَ وَيَمْضِي حَكْمُهُ فِينَا^{٧٢١}

وقال، وقد وقع ببني كلاب فخرج النساءُ إليه، فصفح عن الأموال جميعًا:

بني زرارة لو صحت طرائقكم
لكن جهلتُم لدينا قدر أنفسكم
فإن تكونوا براءً من جنائيتِه
ما بالكم يا أقلَّ الله خيركم
كَلِفْتُمُ عِنْدَنَا بِالْمَنْزَلِ الدَّانِي
وبائِعُ باعكم ربًّا بخسرانٍ
فإنَّ مَنْ رَفَدَ الجاني هو الجاني
لا تعضبون لهذا الموتى العاني^{٧٢٢}

وقال أيضًا:

وفتيانٍ صدقٍ من غطاريفٍ وائلٍ
إذا قيلَ ركبُ الموت قالوا له: انزل^{٧٢٣}

^{٧١٨} جاش: أقبل وارتفع، والغارب: أعالي موج المياه، والقלוص: الناقة.

^{٧١٩} الهجمة من الإبل: ما زاد عددها عن الأربعين، أو ما بين السبعين والمائة.

^{٧٢٠} الشول: جمع شائل وهي التي تشول بذنبها للقاح، وبعد الخمس أي: بعد منعها من الماء خمسة أيام.

^{٧٢١} أي: يصبح الضيف صاحب المنزل، يتحکم فينا ونحن أتباع له، وقد قيل:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

^{٧٢٢} قول «يا أقلَّ الله خيركم» على حذف المنادى، والتقدير: يا قوماً أقلَّ الله خيركم.

^{٧٢٣} أي قالوا له: انزل عندنا فهو كناية عن أنهم لا يهابون الموت.

يسومهم بالخير والسر ماجد
 له بطش قاس تحته قلب راحم
 وعزومة فتاك من الضيم فاتك
 عزوف أنوف ليس يرغم أنفه
 شديد على طي المنازل صبره
 وكل معلقة السرة بضيغم
 سریت بها من جانب البحر أغتدي
 كأن أعالي رأسها وسنامها
 إلى عرب لم تختشي غلب غالب
 تواصت بمر الصبر دون حريمها
 فبين قتيل بالدماء مضرج
 فلما أظعت الجهل والغيط ساعة
 يتيمات نحمةن ليس يرينني
 شفيح النزاريات غير مخيب
 رددت برغم الجيش ما حاز كله
 فأصبحت في الأعداء أي ممدح
 مضى فارس الخيل بن زيد بن زمعة
 جرور لأذيال الخميس المذيل^{٧٢٤}
 ومنع بخيل تحته ذيل مفضل
 وفي أبي يأخذ الضيم من عل^{٧٢٥}
 جريء متى يعزم على الأمر يفعل^{٧٢٦}
 إذا هو لم يظفر بأكرم منزل
 وكل معلقة الرحال بأجدل^{٧٢٧}
 إلى كفر طاب صوبها لم يحول
 منارة قسيس قرابة هيكل^{٧٢٨}
 ربية حولي عازم والمخيل^{٧٢٩}
 فلما رأتنا أجفلت كل مجفل^{٧٣٠}
 وبين أسير في الحديد مكبل
 دعوت بجلمي أيها الحلم أقبل
 بعيد التجافي أو قليل التفضل
 وداعي النزاريات غير مخذل^{٧٣١}
 وكلفت مالي غرم كل مضلل^{٧٣٢}
 وإن كنت في الأصحاب أي معذل
 ومن يدن من نار الوقعة يصطل

٧٢٤ الخميس: الجيش.

٧٢٥ الفتاك: الذي يقتل أو يجرح مجاهرة، والفاك: من فتك في الأمر لج، فيحمل على الأول وعلى الثاني؛

تفادياً من تكرار لفظتين بمعنى واحد.

٧٢٦ عزوف أي: زهود فيما لا يعنيه، أنوف: يأنف الرذائل لا يذل نفسه.

٧٢٧ المعلقة: اللابسة الحلي، والمعلقة: المرفوعة، والضيغم: الأسد.

٧٢٨ شبه رأس قلعة كفر طاب بالمنارة، وظهرها بهيكل النصرى، والسنام: الظهر.

٧٢٩ أي طليقة قبيلتي عازم والمخيل.

٧٣٠ أجفلت كل مجفل أي: ذهب كل مذهب.

٧٣١ أي لا يخيب شفيعن ولا يخذل داعيهم.

٧٣٢ يقول: رددت رغماً عن الجيش كل ما كان حازه، وضمنت ما ضل من مالهن بمالي.

وَقَرَمَ بَنِي الْبَنَّا تَمِيمَ بْنَ غَالِبٍ
وَلَوْ لَمْ تَفْتِنِي سَوْرَةُ الْحَرْبِ فِيهِمَا
وَعَدْتُ كَرِيمَ الْبَطِشِ وَالْعَفْوِ فِيهِمَا
فَتَيَّانَ طَعَّانَانَ فِي كُلِّ جَحْفَلٍ
جَرِيَتْ عَلَيَّ رَسْمٌ مِنَ الصَّفْحِ أَوْلٍ
أَحَدْتُ عَنْ يَوْمٍ أَعْرَّ مَحْجَلٍ

وقال يذكر إيقاعه ببني كلاب:

وَلِي مَنَّةٌ فِي رِقَابِ الضَّبَابِ
عَشِيَّةَ رَوْحِنَ مِنْ عَرْفَةِ
وَقَدْ طَالَ مَا وَرَدَتْ بِالْجِبَا
قَدَدْتُ الْبَقِيْعَةَ قَدَّ الْأَدِيمِ
وَجَاوَزْنَ حَمَصَ فَلَمْ يَنْتَظِرْنَ
وَبِالرَّسْتَنِ اسْتَوْبَلْتُ مَوْرِدًا
وَجَزْنَ الْمَرْوَجَ وَقَرْنِي حِمَاهُ
وَعَامَضَتِ الشَّمْسُ إِشْرَاقَهَا
فَلَاقَتْ بِهَا عُصَبَ الدَّارَعِيِّ
عَلَى كُلِّ سَابِقَةٍ بِالرَّيْدِيفِ
وَلَمَّا اعْتَقَرْنَ وَلَمَّا عَرَفْنَ
وَأُخْرَى تَخَصَّ بَنِي جَعْفَرٍ ٧٣٣
وَأَصْبَحَنَ فَوْضَى عَلَى شَتْرٍ ٧٣٤
وَ عَاوَدَتِ الْمَاءُ فِي تَدْمُرٍ ٧٣٥
مِ وَالْغَرْبُ فِي شِبَهِ الْأَشْقَرِ ٧٣٦
عَلَى مَوْرِدٍ أَوْ عَلَى مَصْدَرٍ
كُوْرِدِ الْحَمَامَةِ أَوْ أَنْزِرِ
وَشَتْرَ وَالْفَجْرِ لَمْ يُسْفِرِ ٧٣٧
فَلَفَتِ كَفَرَطَابَ بِالْعَسْكَرِ
نَ كُلُّ مَنِيعِ الْحَمَى مِسْعَرِ ٧٣٨
وَكُلُّ شَبِيهِ بِهَا مَجْفِرِ ٧٣٩
خَرَجْنَ سِرَاعًا مِنَ الْعَثِيرِ ٧٤٠

٧٣٣ الضَّبَابُ: اسم موضع، والمرادُ أهله.

٧٣٤ عرفة: اسم موضع، وشتر بلد معروف.

٧٣٥ الجباه: جمع جبية، وهو الذي يردُّ الماءَ ولا سقي له.

٧٣٦ البقيةة: اسمُ موضع، والأديم: الجلد، وقَدَدت: قَطَعْتُ. يقول: قَطَعْتُ الْبَقِيْعَةَ، وَالْغَرْبُ كَلَوْنُ الشَّيْءِ

الْأَشْقَرُ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ.

٧٣٧ قرني حماه وشتر: جانباهما.

٧٣٨ الدارعين: جمع دارع، وهو اللابسُ الدرعَ، والمِسْعَرُ الَّذِي يُوقَدُ نَارَ الْحَرْبِ.

٧٣٩ المجفر من الخيل: الواسعُ الوَسَطِ.

٧٤٠ الْعَثِيرُ: الْغِبَارُ.

ننكب عنهن فرسانهن
فلما سمعت ضجيج النساء
أحارث من صالح غافر
رأى ابن عليان ما سره
فإني أقوم بحق الجوا
ونبدأ بالأخير الأخير^{٧٤١}
ء ناديت: حارٍ ألا أقصر^{٧٤٢}
لهن إذا أنت لم تغفر
فقلت رويدك لا تسرر
ر ثم أعود إلى العنصر

وقال أيضًا عند اجتماع الأمراء بالرقعة لما حاصر أبو تغلب أخاه حمدان بها:

المجد بالرقعة مجموع
إن بها كل عميم الندى
وكل مرفوع القرى بيته
لكن أتاني خبر رائع
إن بني عمي وحاشاهم
ما لعصا قومي قد شقها
بني أب فرق ما بينهم
عودوا إلى أحسن ما بينكم
لا يكمل السؤدد في ماجد
أنبذل الود لأعدائنا
ويوصل الأبعد من غيرنا
لا يثبت العز على فرقة
والفضل مربي ومسموع
يداه للجد ينابيع
علا على العلياه مرفوع
يضيع عنه السمع والروع
شعبهم بالخلف مصدوع^{٧٤٣}
تفارط منهم وتضيغ
واش على الشحاء مطبوع
تستحسن الغر المربيع^{٧٤٤}
ليس له عود ومرجوع^{٧٤٥}
وهو عن الإخوة ممنوع
والنسب الأقرب مقطوع
غيرك بالباطل مخدوع^{٧٤٦}

^{٧٤١} أي: نبدأ بالخيار قبل غيرها.

^{٧٤٢} حارٍ مرخمٌ حارث، وأراد نفسه؛ لأن اسمه الحارث؛ أي: لما سمعت ولولة النساء تحركت في المروءة، فقلت لنفسي: أقصري عن الفتك بهم.

^{٧٤٣} أراد بالخلف: المخالفة الواقعة بينهم.

^{٧٤٤} يقول: عودوا إلى أحسن ما كان بينكم من الألفة والمودة، تستحسنون أيها الغر المربيع. والغر:

الواضح، والمربيع: جمع مربوع.

^{٧٤٥} أي: رجوع إلى الحق، وهو الصواب.

^{٧٤٦} يقول: لا يثبت العز إذا تفرقت الكلمة، وانشقت العصا؛ فإن ذلك باطل، وغيرك مخدوع به.

وكتب إلى سيف الدولة يذكر أسرَه، ويعرض بذكر تجافي الغلام له:

جنى جان وأنت عليّ جان
صبرت عليه حتى جاء طوعاً
فإن يك عدله في الجسم كانت
ومثل أبي فراس من تجافي
فعداء فعدت بالكرم الغزير
إليك وتلك عاقبة الصبور
فما عدل الضمير على الضمير^{٧٤٧}
له عن فعله مثل الأمير

وقال:

سلي عني سراة بني كلاب
لقيناهم بأسياف قصار
وولي بابن عوسجة كثير
يرى البرغوث إذ نجاه منا
تدور به إماء بني قريط
فقلن له السلامة خير غنم
وعادوا سامعين لنا فعدنا
ونحن متى رضينا بعد سخط
ببالس عند مُشْتَجِر العوالي
كفأن مؤونة الأسل الطوال
وساع الطعن في صنك المجال
بكل عقيلة وأحب مال^{٧٤٨}
وتسلمه النساء إلى الرجال
وإن الذل في ذاك المقال
إلى المعهود من شرف الفعال
أسرنا ما جرحنا بالنوال

وقال:

أما يمنع الموت أهل النهى
أما عارف عالم بالزمان
ويا زاهياً آمناً والجمام
تسر بشيء كأن قد مضى
ويمنع من غيه من غوى
يروح ويغدو قصير الخطأ
إليه سريع قريب المدى^{٧٤٩}
وتأمن شيئاً كان قد أتى^{٧٥٠}

^{٧٤٧} يقول: إن فارقك في الجسم كانت الفرقة واقعة، لكن ما فارقك بقلبه كما لم تُخرجه أنت من قلبك.

^{٧٤٨} يعني: لو فرض أن البرغوث نجاه منا في ذلك الوقت؛ لأخذه بعقائل نسائه وأحب أمواله.

^{٧٤٩} الحمام بكسر الحاء: الموت.

^{٧٥٠} أي: تفرح بشي قريب أن يذهب عنك، وتأمن الموت وقد دنا منك.

إذا ما مررت بأهل القبور لأيقنت أنك منهم غداً
 وأن العزيز بها والدليل سواء إذا سلما لليلى
 غريبين ما لهما مؤنس وحيدين تحت أطباق الثرى
 ولا أمن غير عفو الإله ولا عمل غير ما قد مضى
 فإن كان خيراً فخييراً تنال وإن كان شراً فشرّاً ترى

قال ابن خالويه: لما توفّي سيف الدولة رحمه الله، عزم أبو فراس على التغلّب على حمص فأتصل خبره بأبي المعالي ابن سيف الدولة وغلّام أبيه قرعويه، وكان صاحب حلب؛ فأرسل إليه بجوشن وقد ضرب ضربات، فمات في الطريق، فقال قبل موته:

إذا لم يُعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
 وإن هو لم ينصرك لم تلقَ نصراً وإن عزّ أنصارٌ وجلّ قبيل
 وإن هو لم يُرشدك في كلِّ مسلكٍ ضللت ولو أنّ السّمك دليل

وقال أيضاً:

أراني وقومي فرقتنا مذاهب وإن جمعتنا في الأصول المناسب
 فأقصاهم أقصاهم عن مساءتي وأقربهم مما كرهت الأقارب
 غريبٌ وأهلي حيث ما كنت حاضرٌ وحيدٌ وأهلي من رجال عصاب^{٧٥١}
 نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيت ليس المصاقب
 وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
 وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى وما عذره إن حاذرته المطالب
 ومن كان غير السيف كافلاً رزقه فللذّل منه لا محالة جانب

^{٧٥١} أصل «حاضر»: «حاضرون لي». يقول: أنا غريبٌ بين أهلي، وإن كان عندي وحيدٌ من الخلان، وأهلي عصابٌ من الرجال، فلماذا لا يُعاملونني معاملةً الأهل إن كان وجودهم وعدمه سواء.

هذا آخر شعر قاله أبو فراس رحمه الله تعالى، في رواية أبي عبد الله الحسين بن محمد بن خالويه رحمهم الله:
وقد وجدت في نسخة ثانية الأرجوزة الآتية زائدة عن النسخة التي أخذت عنها،
فأثرت إثباتها في آخر هذه النسخة إتماماً للفائدة، وأرجح أنها من كلامه والله أعلم.
وقال في الطرد أرجوزة:

العمر ما تمَّ به السرورُ
هي التي أحسبها من عمري
وأغدرَ الدهرَ بمن يُصفيه
أعددت أيامَ السرورِ عدًّا
ألذُّ ما مرَّ من الأيامِ
عند انتباهي سحرًا من نومي
كل نجيب يرد الغبارا
وخمسة تُفرد للغزلان
تُرسل منها اثنين بعد اثنين
فهنَّ حتفٌ للظباءِ قاضٍ
والبازيرين باستعدادٍ
والزرقاف الفَرخ والملمعُ
عجل لنا اللفات والأوساطا
تكون بالشَّرابِ مبشراتٍ
واجتنبوا الكثرةَ والفضولا
وضمَّنوني صيدكم ضمانا
عشرين أو فويقها قليلا
شرطك بالفضلِ وبالنجابةِ
مظنةَ الصيدِ لكل خابِرٍ
تختالُ في ثوبِ الأصيلِ المذهبِ
مكتنفاً من سائرِ النواحي
ونحن قد زُرناه بالأجالِ

ما العمر ما طالت به الدُّهورُ
أيامِ عَزِّي ونفازِ أمري
ما أجورَ الدهرَ على بنيه
لو شئت مما قد قللنَّ جدًّا
أنعتُ يومًا مرًّا لي بالشَّامِ
دعوتُ بالعُقارِ ذاتِ يومٍ
قلتُ له اختَر سبعةً كبارًا
يكونُ للأرنبِ منها اثنانِ
واجعل كلابَ الصَّيدِ نوبتين
ولا تضيعُ أكلبِ العِراضِ
ثم تقدَّمتُ إلى الفهادِ
وقلتُ إن خمسة لتقنعُ
وأنت يا طبأخُ لا تباطأ
ويا شرابيِ البلسقياتِ
بالله لا تستصحبوا ثقيلا
ردُّوا فلانًا وخذوا فلانا
واخترتُ لما وقفا طويلا
عصابةً أكرِم بها عصابه
ثم قصدنا صيدَ عينِ باصرِ
جئناه والشَّمسُ قبيلَ المغربِ
وأخذ الدراج في الصَّياحِ
في غفلةِ عنَّا وفي ضلالِ

أَنَّ المَنَايا فِي طُلُوعِ الفَجْرِ
 نَادَاهُمْ حَيَّ عَلَى الفِلاحِ
 مَجْرَدَاتِ وَالخِيُولِ تَبْرَحُ
 وَصِخُ بِنَا أَنْ عَنَّ ظَبْيِي وَاجْتَهْدُ
 إِلَيْهِ يَمْضِي مَا يَفْرُ مَنَّا
 كَأَنَّمَا نَزَحْفُ لِلقِتالِ
 غَلِيْمٌ كانَ قَريبًا مَن شَرَفُ
 فقلْتُ إِنْ كانَ العِيانُ قَدِ صَدَقُ
 حَسبُها يَقْضِي وَكانتِ نائِمَةٌ
 وَدُرْتِ دَوْرينَ وَلِمَ أوسَّعِ
 لِكُلِّ حَتْفٍ سَبَبُ مَن السَّبَبُ
 تَطْلِبُها وَهي بَجْهَدِ جَاهِدِ
 لَيْسَ بِأَبْيَضٍ وَلا غَطْرانِ
 فإِياكُمْ يَنْشَطُ لِلبَرازِ
 وَلو دَرَى ما يَبْتَدِي لأذَعَنَّا
 أَنْتِ لَشَطِرِ وَأنا لَشَطِرِ
 أَحسَنَ فِيها بَازِهِ وَأَجْمَلًا
 وَالصِيدُ مَن آلتِهِ الصِّياحُ
 أَكَلِ هَذا فَرَحًا بَذا الطَّلَقُ
 قَدِ حَرَزَ الكَلْبُ فَجَزُ وَجَازًا
 وَهو كَمَثَلِ النَارِ فِي الحُلْفاءِ
 حَلَّتْ بِها قَبْلَ العَلوِّ البِلَوِي
 آخِرَ عودِ يُحسِنُ الفِراارِ
 مَطَرِدُ مَحَكِّكَ مُلَزَزُ
 مَن حُلِلَ الدَّيباجِ وَالعَنابِ
 يَجْرُ فَضْلَ السَّبَقِ لَيْسَ يَغْفَلُ
 وَإِنما يَرُقُّبُهُ لَحِينَهُ

يَطْرُبُ لِلصُّبْحِ وَلَيْسَ يَدْرِي
 حَتَّى إِذا أَحسَّ بِالصِّياحِ
 نَحْنُ نَصْلِي وَالبِزاةُ تَجْرَحُ
 فقلْتُ لِلعِهادِ امْضِ وَأَنْفَرِدُ
 فَلَم يَزَلْ غَيرَ بَعِيدٍ عَنَّا
 وَسَرْتُ فِي صَفٍّ مَن الرِّجالِ
 فَمَا اسْتَوينا كُنَّا حَتَّى وَقَفُ
 ثَم أَتاني عَجَلًا قالَ السَّبَقُ
 سَرْتُ إِلَيْهِ فَأراني جاشِمَهُ
 ثَم أَخَذتُ نَبْلَةً كانَتْ مَعِي
 حَتَّى تَمَكَّنْتُ فَلَم أَخِطِ الطَّلَبُ
 وَضَجَّتِ الكِلابُ فِي المَقاوِدِ
 وَصَحَتْ بِالأسودِ كالأَخْطافِ
 ثَم دَعَيْتِ القَومَ هَذا بَازِي
 فقالَ مَنهم أَغِيدُ: أنا أَنَا
 فقلْتُ قابِلَني وِراءَ النَهرِ
 طارَتْ لَه دَرَجَةٌ فَأرَسَلًا
 عَلَّقَها فَعَطَّعَطا وَصاحُوا
 فقلْتُ ما هَذا الصِّياحُ وَالقَلَقُ
 فقلْتُ إِنَّ الكَلْبَ يَشوِي البَازا
 فَلَم يَزَلْ يَزَعِقُ بي مَولايِ
 طارَتْ فَأرسلتِ فَكانتِ سَلوِي
 فَمَا رَفَعَتِ البَازِ حَتَّى طارا
 أَسودُ صِياحُ كَريمٍ كَرزُ
 عَلَيه أَلوانُ مَن النِّيابِ
 فَلَم يَزَلْ يَعلو وَبَازِي يَثْقُلُ
 يَرُقُّبُهُ مَن تَحْتَهُ بَعِينَهُ

معلقة والموت منه يقربُ
 والموتُ قد سبقه إليه
 وغير ما يظهر في الصدور
 شيطانةً من الطيور ماردهُ
 ولم تزلُ أعينُهُم عليها
 من بعد ما قاربها وشداً
 ليت جناحيه على دراجهُ
 وقال هذا موضعُ ملعونُ
 أو سقطتُ لم يلقُ إلا مدرجاً
 والموضعُ المنفردُ المكشوفُ
 وقرة ظاهرة معروفةُ
 فلا تعلقُ بالكلام الباردِ
 مع الدباشي ومع القماري
 فاجعله في عنزٍ من القطيع
 قلتُ أراه فارهاً على الحجَلُ
 تفادياً من غمِّه وعتبه
 تشاهدوا كلكمُ علينا
 يقيم فيها جاهه ودينه
 دون العقاب وفويق الرمج
 ينظر من نارين في غارين
 آثارُ متن الدار في الرمادِ
 وأخذ مثل الجبال وافره
 يلقي الذي يحمل منه كداً
 زادت على قدر البزاة بسطه
 أخلف على الردِّ فقال كلاً
 وكلتي مثل يميني وافيته
 فصدتني وعلته خجله
 وهشَّ للصيِّد قليلاً ونشطُ

حتى إذا قرُب فيما يجبُ
 أرخى له بنجبه رجلية
 صحنًا وصاح القوم بالتكبير
 ثم تسايرنا فطارت واحدة
 من قرب فأرسلوا إليها
 فلم يعلق بازه وأدى
 صحت: أهذا الباز أم دجاجه
 واحمرت الأوجه والعيونُ
 إن لرها الباز أصابت بنجا
 أعدل بنا للمنبج الخفيف
 فقلت هذي صحبةً ضعيفه
 نحن جميعاً في مكان واحد
 قص جناحيه يكن في الدار
 واعد إلى جلجلة البديع
 حتى إذا أبصرته وقد خجلُ
 دعه وهذا الباز فاطرده به
 وقلت للخيل الذي حولينا
 بأنها عارية مطمونه
 جئت بباز حسن وهرج
 زين لرائيه وفوق الزين
 كأن فوق صدره والهادي
 ذي منسر فحم وعين غائره
 ضخم قريب الدستان جدًا
 وراحة تحمل كفي بسطه
 سرَّ وقال هات قلت مهلاً
 أما يميني فهي عندي غاليه
 قلت فخذ هبةً بقبله
 فلم أزل أمسه حتى انبسطُ

مبادراً أسرع من قولٍ قد
 قلت له الغدرة من شرِّ العملِ
 ليس لطيرٍ معنا مطارٌ
 والطيرُ فيه عددُ الجرادِ
 لكثرةِ الصيدِ وللإمكانِ
 كالفارسينِ التقياً أو كاداً
 ثلثةً خضراً وطيراً أبقعا
 وأمکن الصيدُ فأرسلناهما
 لكنها أكبر منهن ظللٌ
 وطائرٌ يُعرفُ بالخِصاني
 طيِّعةٌ ولحمها أيدينا
 صرَفها الجوعُ على الإرادَه
 تساقطت ما بيننا من الغرقِ
 ثم انصرفنا راغبين عنها
 عشراً أراها وفويق العَشرِ
 وحدد الطرق إليها وزرقُ
 وكنَّ في وادٍ بقرب جنبه
 فاحتاطَ منها امسحا مثل الجملِ
 ممكناً رجلي من رجليه
 قد سقطتها عن يمين الراتبه
 أطعتُ حرصي وعصيتُ دائي
 وإنما ختلتها إلى الأجلِ
 يمضي بعنق كالرشاء المحسدِ
 وهل لما قد حانَ سمعٌ وبصرُ
 أيقنت أن العظمَ غيرَ الفضلِ
 عثرتُ فيه وأقال الدهرُ
 إصابةُ الرأي مع الجرمانِ
 انزل على النهرِ وهاتٍ ما حضُرُ

صاح به اركبْ فاستقلَّ عن يدي
 وضمَّ ساقيه وقال قد حصلُ
 سرت وसारَ الغادرُ العيَّارُ
 ثم عدلنا نحو نهرِ الوادي
 أدرتُ شاهينين في مكانِ
 توازنا وأطرّدا أطرادا
 نمتُ شذاها فأصابا أربعا
 ثم ذبحناها وحصلناهما
 فجدلا أربعةً مثل الأولِ
 ابعث منها وانيستان
 خيلٌ تناجيهنَّ كيف شينا
 وهي إذا ما استصعبَ القيادة
 وكلما شدَّ عليها في طلقِ
 حتى أخذنا ما أردنا منها
 إلى كراكيِّ بقُرب النهرِ
 لما رآها الباز من بعد لصقِ
 فقلتُ صدناها وربُّ الكعبه
 فدرت حتى أمكنتُ ثم نزلُ
 ما انحطَّ إلا وأنا إليه
 جلست كي أشبعه أذاهبه
 لم أجزه بحسن البلاءِ
 ولم أزلُ أختلها وتنختلُ
 عمدت منها لكبير مُفردِ
 طار وما طارَ ليأتيه القدرُ
 حتى إذا جدَّ له كالعَدلِ
 ذاك على ما نلت منه أمرُ
 خيرٌ من النجاحِ للإنسانِ
 صحت إلى الطبَّاحِ ماذا تنتظرُ

من حَجَل الطير ومن دراج
 يَمْنَعنا الحِصْصُ عن النِزولِ
 نَلْتَمَسُ الوَحْشَ وَالطُّبَّاءَ
 يَقدِّمُه أفرغُ عِبلُ الهاديِ
 من غِبرِ الوِسميِّ والوَلِيِّ
 ومِرْقَعِ مَقْتَبِلِ جَنِيِّ
 لِعاعِ وادٍ واغِلِ النِنباتِ
 بوِاكِفِ مِتصِلِ الرِبابِ
 نِظْرَةَ لا صِيبَ ولا مِشْتاقِ
 حَتى أَصابَتْه بِناءِ اللَّياليِ
 لِما رآه اِرْتَدَّ ما أَعطاهُ
 حَتى سَبَقْناه إِلى المِيقادِ
 شَدَّ على مِبطِنه واسْتَبْطِنا
 رَعَتْ حِما العُورينِ حِوْلاً كامِلا
 فِانعِربِوا بِالقَدْرِ المِقدُورِ
 قَد نِغَلت بِالْحِضْرِ وهى جَاهِدَه
 يُخْبِرها بِسِئِءٍ عَن حالِها
 هِما عَليها وَالزِمانُ إِلِبا
 حَتى تَبقى فِى العِراجِ أربَعُ
 إِلى الأِراوى وَالكِباشِ وَالْحِجَلِ
 نَحِوزُها حِوْراً إِلى الغِيابِ
 فِى ليلَةٍ مِثْلِ الصِباحِ مُسْفِرَه
 وَقَد سَبَقْنا بِجِياذِ الخِيلِ
 حَتى عَدَدنا مِئَةً وَزَيْداً
 حَتى طَلبتِ صاحِباً فلم أَصِبا
 بِغِيرِ تَرْتِيبِ وَغِيرِ ساقِ
 أَسْعَدَ من راجٍ وَأَحْطى من عَدَا

جاء بأوشاطٍ وجردٍ تاجٍ
 فما تنازلنا عن الخيولِ
 ثم عدلنا نطلبُ الصحراءَ
 عن لنا سربُ بجزعٍ وادٍ
 قد صدرت عن منهلٍ رويٍ
 ليس بمطروقٍ ولا بكبيٍ
 رعين فيه غير مذعوراتٍ
 مرَّ عليّ غدقُ السحابِ
 لما رأنا مالَ بالأعناقِ
 ما زال في خفيضٍ وحسنِ حالٍ
 شرب حماه الدهرُ ما حماه
 بادرت بالصقار والفهادِ
 فجدل الفهد الكبير الأقرنا
 وجدل الآخر عنزاً حائلاً
 ثم رميناهنَّ بالصقورِ
 فردن منها في القراجِ واحدَه
 مرت بنا والصقرُ في قذالها
 ثم تناهى ونباها الكلبُ
 فلم تزيلها به وتصرعُ
 ثم عدلنا عدلةً إلى الجبلِ
 فلم نزل بالخيَلِ والكلابِ
 ثم انصرفنا والبغالُ موقرَه
 حتى أتينا رحلنا بليلِ
 ثم نزلنا وطرَحنا الصيِّداً
 فلم نزل نلقي ونشوي ونصبُ
 شرباً كما عن من الزقاقِ
 فلم نزل سبعَ ليالٍ عدداً

تم ديوان أبي فراس، والحمد لله أولاً وآخراً.

